السبع المثاني

أسرار ومعاني

تفسير سورة الفاتحة

إعداد
دكتور/ حسين عامر

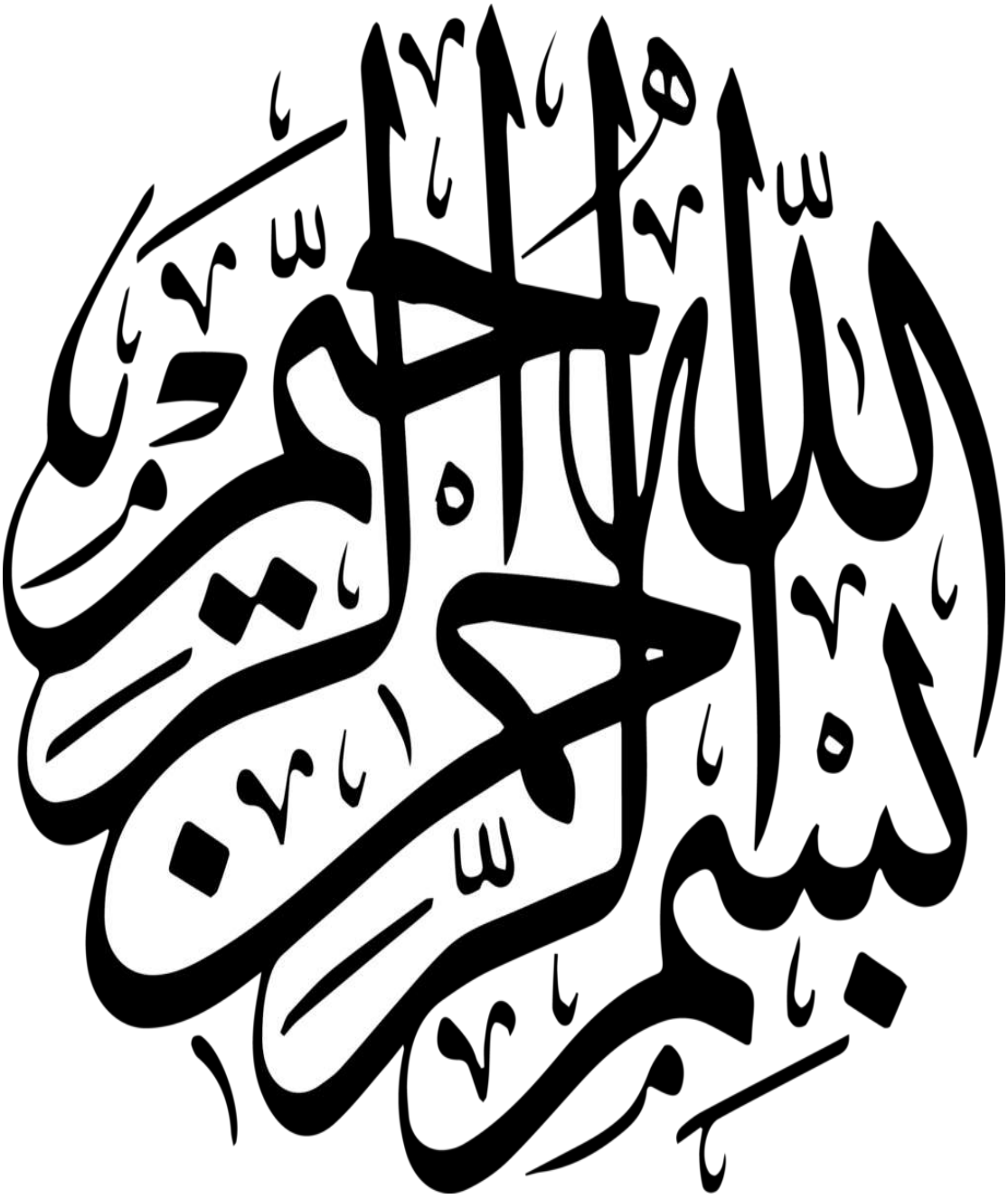
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أنزل الله عليه: **{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}** [الحجر: 87]، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد/

تُعد سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن الكريم ، وهي السورة التي افتتح الله به آيات كتابه العظيم، وهي أم الكتاب، ولم ينزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، سورة مثلها؛ فهي من خصائص أمة محمد ﷺ، ونزلت من كنز تحت العرش، وقد بشر بها النبي ﷺ مع خواتيم سورة البقرة كنورين عظيمين.

وهذه السورة المباركة ليست مجرد كلمات تُقرأ، بل هي ميثاق عبودية يتجدد مع كل ركعة، يقف فيها العبد بين يدي مولاه، يثني عليه، ويمجده، ثم يسأله أعظم مسألة ألا وهي: الهداية.

والفاتحة سورة لا تصح الصلاة إلا بها، ولذا يتلوها المسلم في كل ركعة، بما يعادل سبع عشرة مرة في الفرائض اليومية وحدها، ناهيك عن النوافل وسنن الصلاة ؛ هذا التكرار كل يوم هو دعوة للتأمل والتدبر في معانيها الجليلة وأسرارها العظيمة؛ ففيها الثناء على الله وتمجيده، وإثبات التوحيد والعبودية له سبحانه وتعالى، وقصده وحده بالدعاء ، بطلب الهداية والثبات على الصراط المستقيم، طريق الذين أنعم الله عليهم، والابتعاد عن سبيل المغضوب عليهم والضالين .

وهذا الكتاب بفضل الله وتوفيقه ثمرة تأملات وخواطر ألقيتها في رمضان 1446هـ ، حول سورة الفاتحة، ، مستفيدًا من كنوز التفسير التي تركها لنا علماؤنا الأجلاء كابن جرير الطبري والقرطبي وابن كثير، وقد استلهمت في كثير من المعاني ما سلكه الإمام ابن القيم في كتابه "مدارج السالكين" الذي أفاض في شرح معاني الفاتحة وأسرارها .

وقد قصدت في الكتابة سهولة العبارة مع عمق المعنى ، وربط معاني الفاتحة بالواقع المعاصر وربما يلاحظ القارئ الكريم غلبة الأسلوب الوعظي في بعض السياق ليكون فيه ترقيقا للقلوب، وإبراز المعاني الإيمانية لهذه السورة المباركة.

وفي الختام، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من قرأه وتدبره، وأن يجعلنا من أهل القرآن ، وأن يرفعنا بها في الدنيا والآخرة .إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

د. حسين عامر

مدينة لافال /كندا

في محرم 1447هـ يوليو 2025

سورة الفاتحة

وهي مكية

وآياتها 7 آيات

التمهيد ويحتوي على

أولا / التعريف بالسورة.

ثانيا / أسماؤها.

ثالثا / ما ورد في فضلها.

رابعا / بعض الأحكام

الفقهية المتعلقة بها.

سورة الفاتحة

الفصل التمهيدي

ويحتوي على:

أولا/ التعريف بالسورة.

ثانيا/ أسماؤها.

ثالثا/ ما ورد في فضلها.

رابعا / بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بها.

أولا/ التعريف بالسورة

سورة الفاتحة: آياتها سبع آيات، وكلماتها 25 كلمة، وحروفها 113 حرفا، وهي مكية، والدليل على ذلك: أن الصلاة فرضت بمكة .

ثانيا/ أسماؤها

سورة الفاتحة لها أسماء كثيرة، وذلك من دلائل فَضْلِها، وعَظَمَةِ شأْنها، والعرب تقول كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

ومن أسمائها:

1- فاتحة الكتاب

وهو أكثر الأسماء وروداً في الأحاديث والآثار الصحيحة، ففي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"**، وقد سميت بالفاتحة لأنها:

- **يفتتح بها كتاب الله**، فهي أول سورة في ترتيب المصحف.
- **تفتتح بها الصلاة**، فلا تصح الصلاة إلا بها.

- **تفتتح بها المجالس والأدعية**، كثير من الناس يبدؤون بها تفاؤلًا واستفتاحًا للخير، وهذا لا حرج فيه.

وترتيب السور في المصحف ليس اجتهادًا بشريًا، بل **بأمر الله**، وكان جبريل عليه السلام يُعارض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام في رمضان، أي يُراجعه معه، وفي العام الأخير عارضه القرآن مرتين.

2- أم القرآن

ودليل هذا الاسم :

ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"
وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام" رواه مسلم [1]

والمقصود بأم القرآن هنا سورة الفاتحة ، وسميت "أم الكتاب" لأن: أم الشيء تعني **قلبه وأصله ومجمعه.** [2]

وبناء على هذا المعنى: فإن الفاتحة جمعت معاني القرآن، وتسميتها بأم القرآن لتضمنها أصول معانيه ؛ باعتبار أن ما تضمنته من المعاني جامع لما تضمنته سائر سورِهِ؛ ففيها حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده، وإفراده بالعبادة، والاستعانة، وسؤاله الهداية التي من وفّق لها فهو من الذين أنعم الله عليهم من عباد الله الصالحين السائرين على الصراط المستقيم، وقد نجّاه الله

---

(1) الخداج هي الناقصة، يقال: طفل خديج إذا ولد غير تام الخلقة أو قبل أوان ولادته، والعرب تسمي ما يولَد قبل تمامِ حملِه خديجاً وخديجة.

(2) كما نقول "أم الرأس" للنقطة التي في وسط الرأس، ونقول عن مكة "أم القرى" ، لأنها في قلب العالم، ومن أعظم وأشرف البقاع ، وأهم جزء في الكلام يُقال عنه :"أمّ الكلام"، أي خلاصته، ومن الطريف أن البعض إذا سمع عبارة "مصر أم الدنيا"، قال مازحًا" : ومن أبوها؟"، وهذا من باب المزاح، لأن "أم" هنا ليس المقصود به المعنى الحرفي للأبوة والأمومة، ووصف مصر بأنها "أم الدنيا" هو تعبير إعلامي لا دليل شرعي أو لغوي صريح عليه، إنما هو تعبير تقريبي نسبي؛ فكل إنسان يحب وطنه، ويراه أعزّ مكان في عينه، ولا حرج في ذلك.
الخلاصة أن "أم الشيء" في اللغة تعني قلبه، ومجمعه، ومقدمته، وموضع أهميته.

من سلوك سبل الأشقياء من المغضوب عليهم والضالين.
وسائر سور القرآن الكريم تفصيل وبيان لهذه المعاني، واحتجاج لها بأنواع الحجج، وضرب الأمثال والقصص والعبر التي تبين هذه المعاني وتجليها.

3- أم الكتاب

وقد ورد في هذا الاسم أحاديث منها:
ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن أبي قتادة ،عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب وسورتين، وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب.

قال البخاري في صحيحه: (وسميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة.)

والكلام في معنى هذا الاسم نظير ما تقدّم من القولين في اسم "أمّ القرآن»، والصواب الجمع بين المعنيين لصحّتهما، وصحّة الدلالة عليهما ، وعدم تعارضهما.

4- السبع المثاني

وقد استُدّل لهذا الاسم بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ [الحجر: 87] ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد بالسبع المثاني في هذه الآية سورة الفاتحة ؛ كما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"** رواه البخاري.
والمراد بالسبع المثاني: آياتها السبعة، وسميت مثاني لأنّها تُثنى أي تعادُ في كلِّ ركعة، بل هي أكثر ما يُعاد ويكرر في القرآن.

5- القرآن العظيم

ودليل هذا الاسم ما تقدّم من أحاديث: **(هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)**

والمراد به سورة الفاتحة، سميت بذلك لأن **معانيها جمعت مقاصد القرآن كله**؛ فأُطلق عليها "القرآن" من باب إطلاق الكل على الجزء تعظيمًا .[3]

(3)(3)

6- الصلاة:

لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي» الحديث رواه مسلم وسيأتي عند الحديث عن فضلها.

والمقصود بالصلاة هنا :**الفاتحة**، من باب تسمية الجزء باسم الكل، لأنها:أشرف ما في الصلاة، أو لأن الصلاة لا تصح إلا بها، أو لأن فيها دعاءً وثناءً، كما في الآية:﴿**وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم**﴾ [التوبة :103]

7- سورة ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾

وهذا من باب تسمية السورة بأول آية فيها، ولهذا نظائر كثيرة في أسماء السور؛ كسورة ﴿قل هو الله أحد﴾، وسورة ﴿هل أتى على الإنسان﴾، ومن أدلّة هذا الاسم: حديث البخاري**" الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»**

8- الرقية:

لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "وما يدريك أنها رقية» ؟

وبعض العلماء أوصل أسماءها إلى أكثر من خمسة وعشرين اسمًا، لكن الصحيح أن نقتصر على ما ثبت فيه الدليل.

****

ثالثا / ما ورد في فضل الفاتحة

صحّ في فضل سورة الفاتحة أحاديث كثيرة دلَّت على أنّها أعظمُ سُوَرِ القرآن، فهي سورة مباركةٌ كثيرة الفضائل، عظيمة القَدْر، جليلة المعاني، ومن الأحاديث الصحيحة الصريحة في فضلها:

1- حديث نزول الفاتحة وخواتيم البقرة

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما جبريل عليه السلام جالسٌ عند النبي ﷺ، سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء قد فُتح اليوم، لم يُفتح قطّ إلا اليوم. فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم.

فسلّم وقال: أبشر بنورين أُوتيتهما لم يُؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته."

النقيض: هو الصوت الذي يحدث من حركة أجزاء السقف، كصوت الخشب حين يتحرك.

هذا الحديث فيه ثلاث بشارات عظيمة :

البشارة الأولى :عِظم النور الذي جاءت به سورة الفاتحة

- فهي نورٌ عظيم، لأنها تبصّر العبد بربه وأسمائه وصفاته، وتوقظ في قلبه محبة الله وخوفه ورجاءه.
- وتُعرّف المؤمن بمقصد وجوده في هذه الحياة، وأنه خُلق لعبادة الله وحده لا شريك له.
- وتُعلّمه الافتقار إلى الله، وأنه لا ينجح في شأن من شؤونه إلا بعون ربه وتوفيقه.
- وترشده إلى طريق الهداية، وتُعرّفه بصفات المهتدين، وحالهم، وعاقبتهم الطيبة.

- وتنبهه إلى أن الفلاح الحقيقي لا يكون إلا بالعلم النافع والعمل الصالح.
- وتحذّره من طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، ومن طريق الضالين الذين عملوا بغير علم.

فهي سورة تجمع أصول الدين، وتحيي قلب العبد، وتنتظم معانيها شؤون حياته كلها.

البشارة الثانية :خصوصية الأمة بها دلالة على تكريم الله لنا:

إن إنزال سورة الفاتحة تشريفٌ خاصٌ لأمة محمد ﷺ، لم تُعطَ مثلها أمة قبلها، وهذا التكريم الرباني يستدعي من أهل هذا الفضل أن:يفرحوا بنعمة الله، ويشكروا هذا الفضل العظيم، ويعملوا بهداياته، فمن تلقى هذه الكرامة بالشكر والاتباع، كانت له نورًا ونجاة في دنياه وآخرته، ومن أعرض عنها، كانت عليه حسرة وندامة.

البشارة الثالثة :أن الدعاء بها مستجاب

في الحديث: لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته.

المراد بـ "الحرف" هنا ليس الحرف الأبجدي فقط، بل الكلمة والجملة، سواء كانت طلبًا كـ **"اهدنا الصراط المستقيم"** أو خبرًا كـ **"الحمد لله رب العالمين".**فالطلب يُجاب، والذكر يُثاب عليه العبد.

2- أعظم سورة في القرآن:

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت، قال: فأتيته فقال: "ما منعك أن تأتيني» ؟

قال: قلت: يا رسول الله إني كنت أصلي قال: ألم يقل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) [الأنفال: 24] ثم قال: "لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» قال: فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ؟

قال: "نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» رواه البخاري

وورد قريب من هذا المعنى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ بن كعب، وهو يصلي فقال: يا أبيّ، فالتفت ثم لم يجبه، ثم قال: أبي، فخفف أبيّ ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: السلام عليك أي رسول الله، قال: وعليك السلام ما منعك أي أبيّ إذ دعوتك أن تجيبني؟

قال: أي رسول الله إني كنت في الصلاة.

قال: أولست تجد فيما أوحى الله تعالى إلي (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)؟ قال: بلى يا رسول الله لا أعود.

قال أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟

قلت: نعم أي رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأرجو ألا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها.

قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي يحدثني وأنا أتبطأ مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث، فلما دنونا من الباب قلت: أي رسول الله ما السورة التي وعدتني؟

قال: ما تقرأ في الصلاة؟ قال: فقرأت عليه أم القرآن قال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنها السبع المثاني.

3- قصة رقية أبي سعيد الخدري بها:

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يُضيّفوهم.

فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعل أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لُدِغ، وسعينا له بكل شيء، لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟
فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن – والله – لقد استضفناكم فلم

تُضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفلّ عليه، ويقرأ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة.
قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا،
فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهمًا."

وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك اللديغ.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**واضربوا لي بسهم** » قاله تطييباً لقلوبهم ومبالغةً في تعريفهم أنه حلال لا شبهة فيه.

4- قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال مالك يوم الدين قال الله: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» رواه مسلم

والمراد بلفظ الصلاة القراءة كقوله تعالى: **(ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)** [الإسراء: 110] أي بقراءتك.

5- لا تصح الصلاة إلا بها

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج » ثلاثا غير تمام.

رابعا / بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بها

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: هل يتعين للقراءة في الصلاة فاتحة الكتاب أم تجزئ هي أو غيرها؟

على قولين مشهورين:

القول الأول: فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم، أنها لا تتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصلاة واحتجوا ب :

أ- عموم قوله تعالى: **(فاقرؤا ما تيسر من القرآن)** [المزمل: 20]

ب- ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسيء صلاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: **"إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»** قالوا فأمره بقراءة ما تيسر ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا.

القول الثاني: أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزئ الصلاة بدونها، وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء، واحتجوا على ذلك ب :

أ- حديث: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» والخداج هو الناقص كما فسر به في الحديث "غير تمام»

ب -ما ثبت في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»

ج- وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن»

المسألة الثانية: هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟

هناك ثلاثة أقوال للعلماء :

الأول : يجب على المأموم أن يقرأ الفاتحة في الصلاة الجهرية كالسرية وهو المذهب عند الشافعية وقول ابن حزم من الظاهرية.

لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه- قال : قال رسول الله " :من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن، فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج، غير تمام "

القول الثاني: أن الإمام يتحمَّل قراءة الفاتحة عن المأموم ما دام خلف الإمام، سواء كانت الصلاة سريّة أو جهرية، وهو مذهب الحنفية.

القول الثالث : وهذا قول جمهور العلماء، وهو مذهب ومالك وأحمد وأحد قولي الشافعي (قاله في المذهب القديم) واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومذهبهم التفصيل والتفريق بين الجهرية والسريّة، قالوا : إذا كان المأموم يسمع قراءة الإمام، ويؤمن عليها فالإمام يتحمل عنه قراءة الفاتحة، وإذا كان المأموم لا يسمع قراءة الإمام ولا يؤمن عليها لكون الصلاة سرية فعليه أن يقرأها .

القول الراجح:

هو القول الثالث، وهو أن المأموم إذا كان يسمع قراءة الإمام في الصلاة الجهرية فلا يقرأ لا بالفاتحة، ولا بغيرها، بل يجب عليه الإنصات لقراءة إمامه؛ ولا يشرع للإمام السكوت ليقرأ المأمومون .

والأدلة على ذلك ما يأتي:

1- قول الله تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) قال الإمام أحمد: أجمع الناس على أن هذه الآية نزلت في الصلاة.

2- وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن رسول الله قال: { إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا } رواه الخمسة إلا الترمذي.

3- وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إن رسول الله خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال: أقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا.... الحديث وفيه-: وإذا قرأ فأنصتوا.)

4- **وروى الدارقطني عن عبد الله بن شداد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة }** وقد روي هذا الحديث مسندا من طرق كلها ضعاف، والصحيح أنه مرسل، إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله- قال: " إن هذا المرسل قد عضده ظاهر القرآن والسنة

وقال به جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين ومثل هذا المرسل يحتج به باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم" [4]

5- ومما يؤيد ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من أنه " لو كانت القراءة في الجهر واجبة على المأموم للزم أحد أمرين:

- إما أن يقرأ مع الإمام.
- وإما أن يجب على الإمام أن يسكت له حتى يقرأ .

ولم نعلم نزاعا بين العلماء أنه لا يجب على الإمام أن يسكت لقراءة المأموم بالفاتحة ولا غيرها، وقراءته معه منهي عنها بالكتاب والسنة؛ فثبت أنه لا تجب عليه القراءة معه في حال الجهر.

بل نقول: لو كانت قراءة المأموم في حال الجهر والاستماع مستحبة، لاستحب للإمام أن يسكت لقراءة المأموم، ولا يستحب للإمام السكوت ليقرأ المأموم عند جماهير العلماء، وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وغيرهم، وحجتهم في ذلك أن النبي لم يكن يسكت ليقرأ المأمومون، ولا نقل هذا أحد عنه. [5]

فهذه الأدلة تفيد بمجموعها عدم مشروعية قراءة الفاتحة للمأموم في الصلاة الجهرية إذا سمع قراءة الإمام.

وأما حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه – عن النبي أنه قال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) متفق عليه، وحديث أبي هريرة –رضي الله عنه- في صحيح مسلم أن النبي قال: (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القران فهي خداج ثلاثاً غير تمام)

فهذه النصوص يمكن الجواب عنها بجوابين:

الأول : أنها مخصوصة بالنصوص الأولى، فتحمل على غير المأموم جمعاً بين الأحاديث، بدليل الإجماع على عدم الأخذ بعمومها، قال الإمام أحمد رحمه الله: "ما سمعنا أحداً من أهل الإسلام يقول: إن الإمام إذا جهر بالقراءة لا تجزئ صلاة من خلفه إذا لم يقرأ".

---

[4] الفتاوى الكبرى 290/2.
[5] الفتاوى الكبرى 290/2.

والثاني : أن الإمام إذا قرأ وأنصت له المأموم وأمّن على قراءته، فهو في حكم من قرأها، كما أخبر الله تعالى عن دعاء موسى على فرعون، فقال: ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يونس: 88-89] فثنى الضمير مع أن المتكلم واحد.

قال أهل العلم: لأن هارون كان يؤمن على دعاء موسى، فنسب الدعاء إليهما جميعاً.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: " وقد يحتج بهذه الآية من يقول: إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتها".

****

الفصل الأول

أسرار ومعاني الاستعاذة

أولا/ معنى الاستعاذة.

ثانيا/ الاستعاذة عبادة دالة على التوحيد.

ثالثا/ الاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن.

رابعا/ موضع الاستعاذة.

خامسا/ صيَغ الاستعاذة.

الفصل الأول

أسرار ومعاني الاستعاذة

أولا/ معنى الاستعاذة.

ثانيا/ الاستعاذة عبادة دالة على التوحيد.

ثالثا/ ما الحكمة من خلق إبليس؟

رابعا / الاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن.

خامسا / موضع الاستعاذة.

سادسا/ صيَغ الاستعاذة.

أولا/ معنى الاستعاذة

الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله عز وجل والاحتماء بجنابه، من شرّ كل ما يُخاف منه، وخاصة شرّ الشيطان.

(أعوذ بالله) معناها ألتجئ وأستعين بالله.

والعُوّذ أصله اللحم الملتصق بالعظم، وفي المثال العربي يقولون: **(أطيب اللحم عُوّذه)** يعني اللحم الملتصق بالعظم هذا أطيب في الطعم وإذا أردت أن تأخذ من هذا اللحم شيئا يبقى جزء منه ملتصقا بالعظم ، فجاء معنى التعوذ بالله عز وجل أو الاستعاذة بالله ليدل على معنى الاحتماء بالله والالتصاق بركنه وجنابه وحفظه.

فحينما تقول أعوذ بالله أي أنا ألتجئ مستعينا محتميا بالله جل وعلا.

هذا الالتجاء وهذا الالتصاق دائم لا أنفك عنه، أعوذ بالله في كل أحوالي، من كل شيء أخافه وكل شيء أهابه وكل شيء لا أستطيع له دفعا.

(الشيطان) مُشتقّ من «شطن » أي: بَعُدَ، والعرب تقول شطنت الدار إذا بعدت، و**الشيطان** سُمّي بذلك لبُعده عن الحق، وطرده عن رحمة الله.

والشيطان: هو كل مخلوق متمرّد عن طاعة الله، سواء كان من الجن أو الإنس أو حتى من الدوابّ، كما جاء في القرآن:﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾ [الأنعام:112]

(الرجيم)الرجم في اللغة الرمي بالشرّ وبما يؤذي ويضرّ، ويكون في الأمور الحسية والمعنوية؛ فمن الأول الرجم بالحجارة، ورجم الشياطين بالشهب، ومن الثاني: الرجم بالقول السيء من السبّ والشتم والقذف

والرجيم بمعنى مرجوم، كما يقال: لَعِين بمعنى ملعون، وقتيل بمعنى مقتول، وهكذا فيما كان على فَعِيلٍ وهو بمعنى مفعول.

ثانيا/ الاستعاذة عبادة دالة على التوحيد

الاستعاذة عبادة عظيمة تدل على:

1- التوحيد الخالص لله ؛ فالعبد إذا استعاذ بالله فإنه يعلن افتقاره إلى ربّه جلّ وعلا، وإقراره بضعفه، وحاجته إلى مولاه.

2- الاستعاذة تستلزم إيمان العبد بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وتدبيره وتصرّفه التامّ في الكون.

3- تدل على إيمان العبد بقدرة ربّه جلّ وعلا على إعاذته مما يرجو ويخاف .

4- وتدل على إيمانه بعزّة الله وجبروته وأنه لا يعجزه شيء.

5- وتدل على إيمانه بعلم الله عزّ وجلّ بحاله وحال ما يستعيذ منه، وإحاطته بكلّ شيء علما.

6- وتستلزم أيضاً إيمان العبد بسمع الله وبصره وحياته التامّة وقيّوميّته فهو سبحانه: ﴿ **قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [الرعد: 33]

7- والمستعيذ بالله ينشغل قلبه بعبادات يحبها الله: كالصدق والإخلاص والمحبّة والخوف والرجاء والتوكّل وغيرها.

8- أن النفس البشرية إذا أمِنَت المضارّ ارتاحت إلى اتّباع الهوى وطول الأمل، ودخل عليها من الآفات ما يسوء به الحال، والمآل؛ فكان من حكمة الله تعالى أن قدّر من أقدار الشرّ ما يحمل عباده على الاستعاذة به جلّ وعلا، واتّباع هداه؛ فتتطهّر قلوبهم، وتتزكّى نفوسهم .

9- التجاء القلب إلى الله تعالى وطلب إعاذته يدل على اعتقاده أن النفع والضر بيد الله وحده جلّ وعلا، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ثالثا/ ما الحكمة من خلق إبليس؟

1- ظهور عبودية أنبيائه وأوليائه حينما يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم ويستعينون بالله في دفعه ودفع وساوسه ، ونحن نتعبد لله بقولنا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وكان النبي يستفتح الصلاة بقوله: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه "

2- ومن الحكم أن يعلم العباد أن الله سبحانه وتعالى لما قدر وقوع إبليس ووسوسته بالمعاصي أن هذا من باب إظهار الشيء وضده ، كما يقولون في اللغة العربية :

(وبضدها تتميز الأشياء)

فخلق الله النفس الطاهرة جبريل رسول الله من الملائكة الذي ينزل بالوحي على الرسل ، وقدر الله سبحانه وتعالى خلق النفس الخبيثة إبليس الذي لا يعرف إلا المعصية ، وخلق الله السموات والأرض البياض والسواد الحرارة والبرودة ....الخ ، فخلق الشيء وضده لتتميز الأشياء فما كنا لنعرف الخير ووضوحه وصفاءه إلا بعد أن نرى الشر وظلمته وسواده.

3- ومن الحكم أننا ما كنا لنعرف الطاعة إلا بالمجاهدة لترك المعاصي والاستعانة بالله سبحانه وتعالى ، وإلا بمعرفة كلام الله حينما قال : -(**لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين**)- [يس/60]

وقال تعالى : -(**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو**

حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)- [فاطر/6] ومعرفة كلام الأنبياء والعلماء والاستجابة لتحذيرهم لنا من الشيطان.

4- ومن الحكم أن الله شرع التوبة لكل من عصى وشرد عن طريق الله وطاعته ،فمن هنا يأتي إبليس فيوسوس فيستجيب له من يستجيب ويزل من يزل ، ثم يلقي الله في قلبه نور الهداية والطاعة ويستشعر معنى التوبة والرجوع إلى الله عز وجل، ويستغفر الله ، فما كان لنا فعل ذلك ونحن على الطاعة الدائمة وهذا ما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما قال : **(والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) وقال : " كل بني آدم خطاء، وخير الخطّائين التوابون".** [6]

رابعا/ الاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]

فالشيطان يريد أن يحول بين المرء وبين الانتفاع بالقرآن بما يستطيع من الكيد، فإن استطاع أن يردّه عن تلاوته أصلاً ردّه حتى يقع في هجران القرآن؛ فإن عصاه المسلم فقرأ القرآن اجتهد في صدّه عن الانتفاع بتلاوته بإفساد قصده، أو إشغال ذهنه، أو التلبيس عليه في قراءته أو غير ذلك من أنواع الكيد، إذ لا شيء أنكى على الشيطان ولا أغيظ عليه من أن يتّبع المسلم هدى ربّه جلّ وعلا ويفوز بفضله ورحمته.

وَمَن عصمه الله من كيد الشيطان عند تلاوته للقرآن كان أقرب إلى إحسان تلاوته، وتدبّر آياته، والتفكّر في معانيه، وعَقْلِ أمثاله، والاهتداء بهداه، وكان أحرى بالخشية والخشوع، والسكينة والطمأنينة، والتلذّذ بحلاوة القرآن، ووجدان طعم الإيمان، والفوز بنصيب عظيم من فضل الله ورحمته.

---

[6] والبعض يفهم من هذه الأحاديث أن معناها لابد من الوقوع بالمعاصي ، وهذا ليس مقصودا من الحديث ، بل المفهوم يامن أذنبت فقد شرع الله لك التوبة ، يامن بعدت عن الله واتبعت طريق الشيطان ارجع إلى طريق الرحمن ، تب إلى الله واستغفر ربك -(واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما)- [النساء/106]

خامسا/ موضع الاستعاذة

قبل القراءة يستعيذ القارئ ويجهر بها على نحو ما يجهر بقراءته.

وهناك إجماع من العلماء على أنّ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليست قرآنا، لكنها تستحب قبل التلاوة.

وفي الصلاة يندب للمصلي بعد دعاء الاستفتاح وقبل القراءة ، أن يأتي بالاستعاذة سرا.

وهل يقولها في الركعة الأولى أم في سائر الركعات ؟ قولان:

الأول : في كل ركعة، لوجود الفاصل بين القراءتين بالركوع والسجود.

الثاني : في الركعة الأولى فقط، لأنه لم يتخلل القراءتين سكوت بل تخللهما ذكر، فهي كالقراءة الواحدة إذا تخللها حمد الله، أو تسبيحه.

وتشرع عند الوسوسة في أي موضع من الصلاة:

لحديث مسلم عن عثمان بن ابى العاص يا رسول الله إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي.

فقال رسول الله : ذاك شيطان يقال له " خنزب " (بضم الخاء وكسرها) فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا.

قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى. [7]

سادسا/ صيَغ الاستعاذة

ورد في صيغ الاستعاذة عدد من الأحاديث منها:

1- حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استبّ رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه،

---

[7] ولكن قد يقول البعض نحن نتعوذ ولكن الوسوسة لا تزول ؟! والجواب : هذا يختلف من إنسان لآخر ، فالمؤمن التقي بمجرد الاستعاذة يطرد الشيطان (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) فهؤلاء يطردون الشيطان بمجرد الذكر. أما ضعاف الإيمان فإن القلوب إذا انشغلت بالدنيا وحبها حتى لم يعد مكانا في القلب لذكر الله لا يمكن أن يطرد الشيطان بمجرد الاستعاذة فلابد من إفراغ القلب من الدنيا أولاً والإقبال علي الله بعد ذلك ، وفي الدعاء المأثور: (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا).

مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم كلمة، لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل: (ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: إني لست بمجنون.) رواه البخاري ومسلم .

2- **عن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه.** "رواه أبو داود في سننه وحسنه الألباني.

همزه: وساوسه ، ونفخه: الكبر، ونفثه: كل كلام قبيح أو شعر حرام.

****

الفصل الثاني

أسرار ومعاني البسملة

"بسم الله الرحمن الرحيم"

الفصل الثاني

أسرار ومعاني البسملة

بسم الله الرحمن الرحيم (1)

معنى البسملة:

البسملة :مصدرٌ مشتق من جملة "بسم الله الرحمن الرحيم"، كما يُقال: "الحوقلة" من "لا حول ولا قوة إلا بالله"، و"الحمدلة" من "الحمد لله"، و"الحسبلة "من " حسبنا الله ونعم الوكيل" ، والحيعلتين : " حي على الصلاة؛ حي على الفلاح"[8]

فـ"بسمل" تعني: قال "بسم الله الرحمن الرحيم"، و"يبسمل" أي يبدأ بشيء بهذه العبارة، و"البسملة" تُطلق على القول نفسه أو فعله.

ومعناها: "بِسْمِ اللَّهِ" أي أبدأ مستعينًا باسم الله.

(الرحمن الرَّحِيمِ) هما اسمان من أسماء الله تعالى يدلان على عظمة رحمته وسَعتها، فكأن المعنى: أبدأ عملي هذا مستعينًا بالله، متبركًا باسمه، راجيًا رحمته، طالبًا عونه وتوفيقه. [9]

والبسملة افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل، ثم اختلفوا هل هي آية من الفاتحة أم لا؟

على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها آية من كل سورة إلا براءة: وهذا قول الشافعي وأحمد في رواية عنه وإسحاق بن راهويه.

القول الثاني: ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وهو قول مالك وأبو حنيفة وأصحابهما.

---

[8] الأسلوب الذي تتكوَّن فيه كلمة واحدة مشتقة من جملة كاملة يُسمّى في اللغة العربية "الاشتقاق الكبير" أو "النحت"، ويسمّيه بعض العلماء "النحت اللغوي".
والنحت في اللغة هو تركيب كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر للدلالة على معنى مركب منهما، وقد عرّفه ابن فارس بأنه نوع من الاشتقاق، يؤخذ فيه من جملتين أو أكثر كلمة واحدة تدل على معناه.

[9] وسيأتي مزيد شرح في الآية الثالثة من السورة إن شاء الله تعالى.

القول الثالث: هي آية مستقلة في أول كل سورة لا منها، وهذا رواية عن الإمام أحمد بن حنبل ، وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي، وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله.

حكم الجهر بها :

أما الجهر بها فمفرع على هذا، فيتفرع القول على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول : مذهب المالكية أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها، ويستحب ترك قراءتها في الفرض دون النافلة ، ودليلهم:-قوله-صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه جل وعلا: **(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله ربِ العالمين...)** وجه الدلالة:- أن المقصود بالصلاة في الحديث الفاتحة كما هو ظاهر، ولم يعد من آياتها البسملة.

الثاني: مذهب الشافعية :أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعلى هذا فقراءتها واجبة في الفاتحة، وحكمها حكم الفاتحة في السر والجهر.

واستدلوا بعدة أدلة منها:

1- **حديث نعيم المجمر ، قال : صليت وراء أبي هريرة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ بأم القرآن) الحديث وفي آخره قال : والذي نفسي بيده أني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه النسائي.**

قال الحافظ في الفتح : وهو أصح حديث ورد في الجهر بالبسملة.

2- **وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كانت قراءته مدا، ثم قرأ ببسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم.**

3- **وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين . رواه أحمد وأبي داود وصححه الألباني**

الثالث: مذهب أبي حنيفة والثوري وأحمد بن حنبل: لا يجهر بالبسملة في الصلاة ، وأنها آية مستقلة أنزلت للتيمن والفصل بين السور ، وأن قراءتها في الفاتحة جائزة بل مستحبة ، ولا يسن الجهر بها . واستدلوا بـ:

1- في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين)

2- وبما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين.

3- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال مالك يوم الدين قال الله: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» رواه مسلم.

4- حديث أنس قال : (صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان ، وكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم) رواه النسائي.

5- حديث(سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل...) وسورة تبارك 30 آية من دون البسملة، وهذا جواب على الشافعية.

6- واستدلوا بكتابة الصحابة لها في المصاحف مع حرصهم على ألا يكتبوا مع القرآن غيره.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "فإن كتابتها في المصحف بقلم القرآن تدل على أنها من القرآن، وكتابتها مفردة مفصولة عما قبلها وما بعدها تدل على أنها ليست من السورة.

وقال ابن القيم : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر (ببسم الله الرحمن الرحيم) تارة ، ويخفيها أكثر مما يجهر بها ، ولا ريب أنه لم يجهر بها دائما في كل يوم وليلة خمس مرات أبدا ، حضرا وسفرا ، ويخفي ذلك على خلفائه الراشدين وعلى جمهور أصحابه وأهل بلده في الأعصار الفاضلة .

والعلماء متفقون على صحة صلاة من جهر بها ومن أسر بل وصحة صلاة من تركها ، فهذه من المسائل التي يسعنا فيها الخلاف لأنه خلاف معتبر.

كيفية عد الآيات:

هناك اتفاق على أن الفاتحة سبع آيات ، فكيف يتم عدها مع الاختلاف الوارد في " بسم الله الرحمن الرحيم"؟

أولا / من يرى أنها آية من الفاتحة يعدها هكذا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 1-7]

ثانيا/ من لا يرى البسملة آية من الفاتحة يعد الآيات هكذا:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 1-7]

****

الفصل الثالث

"الحمد لله رب العالمين"

وفيه ثلاثة مباحث

الأول: أسرار ومعاني "الحمد لله رب العالمين"

الثاني : معنى اسم الرب جل وعلا

الثالث عبودية الكائنات لرب العالمين

الفصل الثالث

المبحث الأول

أسرار ومعاني "الحمد لله رب العالمين"

وسنتناول هذه النقاط بعون الله ومدده:

أولا / معنى الحمد.

ثانيا/ دوام الحمد لله تعالى.

ثالثا/ لا أحصي ثناء عليك

رابعا/ الحمد في السراء والضراء

خامسا/ ما الفرق بين الحمد والمدح ؟

سادسا/ ما الفرق بين الحمد والشكر؟

سابعا/ ما ورد في فضل الحمد

أولا / معنى الحمد

(الحمد لله) ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله.

والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى.

فكل المحامد لله سبحانه وتعالى، لأنه هو الخالق لكل شيء، وكل ما يُحمد في هذا الكون فهو منه، وقائم به سبحانه.

فإذا رأينا شخصًا يُحمد على حسن خلقه، أو يُثنى عليه لكرمه أو علمه، فكل ذلك من عطاء الله عز وجل، فالذي يستحق الحمد الكامل هو الله تعالى، فهذا الشخص ما كان له أن يُحمد لولا أن الله أكرمه ووفقه، فجعل له هذا الخُلق أو هذا الفضل بين الناس، فهو في الحقيقة **قائم بالله**، وبهذا يكون الله سبحانه

هو المستحق للحمد أولًا وآخرًا، كما قال تعالى:﴿**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ**﴾]القصص:70.[

فالله سبحانه له جنس المحامد كلها، لأن كل من اتصف بشيء يُحمد عليه، فإنما هو من فيض الله ونعمه، وقائم بأمره سبحانه.

وقال بعض العلماء: إن معنى **"الحمد لله"** هو: الحمد التام الكامل لله عز وجل؛ لأن البشر إذا مُدِح أحدهم، لا يُمكن أن يُمدَح مدحًا تامًا مطلقًا، فكل إنسان فيه ما يُحمد عليه وما قد يُذم عليه.

فنقول: فلان عنده صفات حسنة كذا وكذا، لكن إن غضب تغيّر، أو إن مرض تغيّر حاله... فالبشر يُحمد في جانب، ويُذم في جانب آخر، وهذه حال البشر جميعًا.

أما رب العالمين جل جلاله، فهو المحمود حمدًا تامًا لا نقص فيه بوجه من الوجوه؛ فهو محمود في ذاته، محمود في أسمائه، محمود في أفعاله، محمود في تشريعه، محمود في قضائه وقدره، وتدبيره.

ولذلك علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول في الدعاء:
"اللهم لك الحمد كله" أي أن كل الحمد له، فلا نحمده على شيء ونذمه على آخر – حاشاه سبحانه – بل هو محمود حمدًا مطلقًا تامًا دائمًا، فالحمد لله دائمًا وأبدًا.

من نعم الله أن علمنا كيف نحمده:

يقول الشعراوي رحمه الله في التفسير:(ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه علمنا صيغة الحمد. فلو أنه تركها دون أن يحددها بكلمتين. . لكان من الصعب على البشر أن يجدوا الصيغة المناسبة ليحمدوا الله على هذا الكمال الالهي. . فمهما أوتي الناس من بلاغة وقدرة على التعبير فهم عاجزون على أن يصلوا الى صيغة الحمد التي تليق بجلال المنعم فكيف نحمد الله والعقل عاجز أن يدرك قدرته أو يحصي نعمه أو يحيط برحمته؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلمَ أعطانا صورة العجز البشري عن حمد كمال الالوهية لله، فقال: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» .

وكلمتا الحمد لله، ساوى الله بهما بين البشر جميعا، فلو أنه ترك الحمد بلا تحديد، لتفاوتت درجات الحمد بين الناس بتفاوت قدراتهم على التعبير، فهذا أمي لا يقرأ ولا يكتب لا يستطيع أن يجد الكلمات التي يحمد بها الله، وهذا عالم له قدرة على التعبير يستطيع أن يأتي بصيغة الحمد بما أوتي من علم

وبلاغة، وهكذا تتفاوت درجات البشر في الحمد طبقا لقدرتهم في منازل الدنيا.

ولكن الحق تبارك وتعالى شاء عدله أن يسوي بين عباده جميعا في صيغة الحمد له. . فيعلمنا في أول كلماته في القرآن الكريم. . أن نقول {**الحمد للَّهِ**} ليعطي الفرصة المتساوية لكل عبيده بحيث يستوي المتعلم وغير المتعلم في عطاء الحمد ومن أوتي البلاغة ومن لا يحسن الكلام.

ولذلك فإننا نحمد الله سبحانه وتعالى على أنه علمنا كيف نحمده وليظل العبد دائما حامدا. ويظل الله دائما محمودا.)[10]

ثانيا/ دوام الحمد لله تعالى

إن من أعظم ما يُفارق به حمد الله عن حمد المخلوقين :أنه حمد دائم لا ينقطع.

فأنت إذا أحسن إليك إنسان بمعروف، شكرته وحمدته على جميله، ثم ينتهي الأمر... لأن الإحسان قد انتهى، أو لأنه لا يقدر على الاستمرار.

أما عطاء الله عز وجل، فإنه لا يتوقف عنك أبدًا:

- منذ أن خلقك من العدم...
- إلى أن يقبض روحك...
- بل وتستمر نعمه عليك حتى في قبرك، ثم في آخرتك، إن كنت من أهل رضاه.

فحمد الله عز وجل لا يُحدّ بوقت، ولا ينحصر في مناسبة، بل هو واجب دائم مستمر، لأنه عز وجل ينعم على عبده ليلاً ونهارًا، بلا توقف ولا انقطاع.

وقد قال الله تعالى:﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾]إبراهيم:34[
"نعمة" هنا اسم جنس يشمل كل أنواع النعم، لا تستطيع حصرًا ولا عدًّا.

ولهذا لما قال أحد الصحابة – بعد الرفع من الركوع– **ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه "**

---

[10] «تفسير الشعراوي» (1/ 55)

وفي رواية عند الإمام مالك في *الموطأ* :كما يحب ربنا ويرضى"
قال النبي صلى الله عليه وسلم:لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها، أيهم يكتبها أول "رواه مسلم.

وهذا يدل على محبة الله لهذا الحمد، وأنه لم يُسمَع من عبد قبل ذلك بهذا اللفظ، فكان حمدًا جديدًا يُرضي الله تعالى، حتى تسارع الملائكة لكتابته ورفعه.

فأي مقام أعظم من هذا؟! أن تقول كلمة يُرضى عنها رب العالمين، وتسابق الملائكة لكتابتها؟

ولهذا ينبغي أن يكون الحمد لله شعار المسلم في كل حين، لأن نعم الله لا تتوقف، ولأن الله يحب الحمد، ويُرضى به، ويُثيب عليه أعظم الثواب.

ثالثا/ لا أحصي ثناء عليك

حينما تقوم بالإخبار عن أحدهم معرفا به تقول: فلان الفلاني... رئيس كذا، مدير كذا، صاحب كذا، مؤسس كذا...

لكن إذا أردت أن تخبر عن الله عز وجل، فإنك تقول:**الحمد لله رب العالمين"** [الفاتحة: 2]
الكون كله بيده : **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: 1]**

و ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس:83]

نعم، نحن نمدح الناس على صفات محدودة: نقول عن فلان إنه مؤدب، من بيت طيب، من أسرة معروفة، يصلي، حسن الخلق... هذا حمد محدود.

لكن إن أردنا أن نثني على الله بما هو أهله، فإننا لا نستطيع، ولهذا قال النبي ﷺ في دعائه: **(لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)** ، أي: يا رب، أنا أعجز عن أن أصفك بما يليق بجلالك، فأنت كما أثنيت على نفسك.

وفي سورة الكهف:﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: 109]
أي: لو تحوّل ماء البحر إلى حبر، وكتبنا به أسماء الله وصفاته وكلماته، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله فكلمات الله تامّة، لا نقص فيها، ولذلك نقول:أعوذ بكلمات الله التامات"
لأن صفاته كاملة:

- علمه: لا يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان.

- قدرته: لا يعجزه شيء، ولا يحدها حد.
- سمعه: يسمع كل الأصوات، في وقت واحد، لا تخفى عليه خافية.
- بصره: يرى كل شيء، في السماوات والأرض.

أما نحن:

- علمنا محدود، يسبقه جهل، ويلحقه نسيان.
- قوتنا محدودة، بصرنا محدود، سمعنا محدود، أموالنا محدودة، حياتنا نفسها محدودة...وحتى أعظم الملوك في الأرض، قد يُمنَع من اتخاذ قرار!

أما رب العالمين، فإذا أراد شيئًا قال له : "كن فيكون، لا معقّب لحكمه، لا أحد يراجع الله في قضائه: قال تعالى: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾[يونس:107]

فالله عز وجل لا يردّ حكمه أحد، ولا يعارضه أحد، ولا يُنازعه أحد في ملكه. كمال صفات الله وعجز البشر عن الإحاطة بها

فحين تريد أن تثني على الله بما هو أهله، تعجز، وفي سورة لقمان، يقول الله:﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ [لقمان:27]

لو أخذنا كل أشجار الأرض، مثلًا: يقولون إن في كندا 318 مليار شجرة تقريبًا [11] لوحولناها كلها إلى أقلام، وأخذنا البحار مدادًا (حبراً)، وكتبنا بها أسماء الله وصفاته وأفعاله... ما نفدت كلمات الله.

فإذا قلت في أذكارك:**أعوذ بكلمات الله التامات"**
فاستشعر أنك تستعيذ بالله بصفاته **الكاملة التي لا نقص فيها**.

فسمع الله تام...بصره تام...علمه تام...رحمته تامة...قدرته تامة...

أما الإنسان: فعلمه ناقص، وقدرته محدودة، وسمعه وبصره يعتريهما الضعف، ويحيط بهما النقص.

---

[11] وهذا الرقم يجعل كندا ثاني أكثر دولة في العالم من حيث عدد الأشجار بعد روسيا، أما عدد الأشجار بروسيا 642 مليار شجرة تقريبًا

ومن هنا، كان **اللجوء إلى غير الله مذلّة وضياعًا**.
ومن ذهب إلى عرّاف أو كاهن فقد كفر بما أنزل على محمد، لأنه ترك باب الملك، وذهب إلى عبد مسخر للشيطان .

فوالله لو أمضينا أعمارنا كلها في مدح الله، ما وفيناه حقه،
كما قال النبي ﷺ:**لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"**

رابعا/ الحمد في السراء والضراء

ونحن نحمد الله عز وجل في كل حال، ونحمده على كل نعمة، وعلى كل قدر، لأنه سبحانه مستحق للحمد مطلقًا.

ومن المعروف عند الناس: أن من أحسن إلينا نشكره، ونثني عليه لإحسانه ومعروفه، لكن من أساء إلينا، ماذا نفعل؟

نكرهه، نقاطعه، نبتعد عنه، نهجره .

أما الله سبحانه وتعالى جل جلاله، فإنه يُحمد في السراء والضراء، يُحمد في المنع كما يُحمد في العطاء، وهذه لا تليق إلا به سبحانه.

فإذا أنعم الله عليك بنعمة، تقول:الحمد لله "

وإذا ابتُليت بمصيبة، تقول:الحمد لله" أيضًا.

وهذا هو السر الذي جعل الناس يُعجَبون بثبات أهل غزة – مثلًا:– يموت لهم شهيد، يُقتل ابنها، زوجها، أبوها، أهلها... ثم لا تسمع منها إلا:الحمد لله".

وهذا من الأمور العظيمة، التي لا يطيقها اللسان البشري إلا إذا كان القلب عامرًا بالإيمان.

عند المصيبة، ما الذي تقول؟ إذا لهج لسانك بالحمد، فاعلم أن قلبك خاشع، مؤمن، واثق بربه، يعلم أن ما قدّره الله خير.

ولهذا قال النبي ﷺ متعجبًا: **(عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن:إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**) رواه مسلم.

فالمؤمن يعلم يقينًا أن ما عند الله خير مما فاته، وأن حمده لله سبب في عوض الله له بخيرٍ أعظم.

وفي الحديث القدسي:قال الله تعالى لملائكته:قبضتم روح ولد عبدي؟
"قالوا: نعم
قال :"قبضتم ثمرة فؤاده؟"
قالوا: نعم
قال :"فماذا قال عبدي؟"
قالوا: حمدك واسترجع
فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسمّوه: بيت الحمد" رواه الترمذي.

فالله تعالى له الحمد دائمًا وأبدًا، له الحمد كله، وله الشكر كله، له الحمد في السراء، والحمد في الضراء، له الحمد في الشدة والرخاء، في العطاء والمنع.

علاج ضيق الصدر:

وحينما ضاق الأمر برسول الله ﷺ، واشتد عليه أذى الكفار، قال الله له في القرآن:﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ** ﴾
ثم أرشده سبحانه إلى العلاج والدواء:﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الحجر: 97-98]

فما الذي يصنعه التسبيح في النفس؟
حينما تذكر الله، ويجري اسمه على لسانك وقلبك، فأنت تعتصم بالله، وتوقن أن ربك لا يغيب عنه حالك، يرى مكانك، ويسمع كلامك، ويعلم ضعفك، ويستجيب دعاءك.
فإذا أوذي الإنسان من مخلوق، سُبّ أو ظُلم أو هُدّد أو خُذل، فإن المخرج هو:أن يعتصم بالله، الذي بيده ملكوت كل شيء.

خامسا/ ما الفرق بين الحمد والمدح ؟

قد تمدح من لا تحب، لأن المدح في أصله هو وصف الشيء بصفة كمال، سواء أحببته أم لا، وسواء عرفته أم لا.

فربما تمدح شاعرًا لإبداعه في الشعر، أو عالمًا في الطب أو الفلك أو الهندسة، وربما لم تره قط، أو مات قبل أن تولد بمئات السنين. فأنت تمدحه على شيء فعله أو أثر تركه، دون أن يكون هناك بالضرورة محبة أو تعظيم أو ولاء.

أما الحمد لله سبحانه وتعالى، فهو مدح مقرون بمحبة وتعظيم، أي أن العبد حينما يحمد الله، لا يذكره بكمال صفاته وأفعاله فقط، بل يفعل ذلك محبةً له، وتعظيمًا، وخضوعًا.

فأنت حين تقول **:"الحمد لله"**، فأنت تثني عليه لكماله وجلاله، ولكنك في الوقت ذاته تحبه، وتخشاه، وتُجله، وتشعر في قلبك بصدق أنه مستحق لهذا الحمد من كل وجه.

ولهذا فإن الحمد أخص من المدح، لأنه يجمع بين الثناء والمحبة والتعظيم، بخلاف المدح الذي قد يخلو من المحبة.

سادسا/ ما الفرق بين الحمد والشكر؟

الحمد يختلف عن الشكر من حيث المعنى والدلالة، وإن كان بينهما تقارب في اللغة.

فالحمد هو الثناء على الله تعالى لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، سواء أنعم عليك أم لم يُنعِم.
فإذا قلت: "إن الله واحد لا شريك له"، أو قلت: "إن الله لم يتخذ ولدًا ولا صاحبة"، فأنت تحمد الله على كمال ذاته وتنزهه، وتُثني عليه بما هو أهله، سواء تعلّق ذلك بك شخصيًا أو لا.

أما الشكر، فهو الثناء على الله على النعم والإحسان، كأن تقول: "أشكر الله على الصحة، أو على العمل، أو على العافية، أو على نعمة الأمن"، فالشكر مرتبط بما أسداه الله إليك من خير، كما قال تعالى:﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾]إبراهيم:7[

فالشكر يكون على النِّعم، أما الحمد، فيكون على النِّعم، وعلى صفات الكمال، وعلى الأفعال الإلهية الجليلة.

وجميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر– كما يقع أحيانًا في ألفاظٍ مثل "الفقير والمسكين"، أو "الإسلام والإيمان" – لكن من دقة التعبير الشرعي أن نُميِّز بينهما عند الحديث عن الثناء على الله

فالحمد يجمع في طياته الشكر، والتوحيد، والثناء، والمحبة، والتعظيم، ولهذا استُفتِحت به أعظم سورة في القرآن:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال ابن عباس (الحمد لله) كلمة كل شاكر.

والمعنى: أن قولك "الحمد لله" إذا أُنعِم عليك يتضمن:

ـالاعتراف بالنعمة

ـالاعتراف بالمنعِم

ـالثناء عليه وتمجيده بما هو أهله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه: قد علمنا سبحان الله ولا إله إلا الله، فما الحمد لله؟ فقال علي: كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال.

سابعا/ ما ورد في فضل الحمد

1-عن الأسود بن سريع قال: قلت يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال: "أما إن ربك يحب الحمد" رواه النسائي وصححه الألباني.

2- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)؛ متفق عليه.

(خفيفتان على اللسان) وصفهما بالخِفة على اللسان والثِّقَل في الميزان ؛ لبيان قلة العمل وكثرة الثواب.

(حبيبتان إلى الرحمن)الله تعالى يحبهما وإذا أحب الله العمل أحب العامل به فهاتان الكلمتان من أسباب محبة الله للعبد .

(سبحان الله وبحمده) التسبيح معناه أنك تنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص، وأنه الكامل من كل وجه جل وعلا مقرونا هذا التسبيح بالحمد الدال على كمال إفضاله وإحسانه إلى خلقه جل وعلا وتمام حكمته وعلمه وغير ذلك من كمالاته ، فمعنى **(سبحان الله وبحمده)** سبحان الله والحمد لله ، فهي تعني الجمع بين التسبيح والحمد ، إما على وجه الحال ، أو على وجه العطف ، والتقدير : أسبح الله تعالى حال كوني حامدا له ، أو أسبح الله تعالى وأحمده .

(سبحان الله العظيم) يعني ذي العظمة والجلال فلا شيء أعظم من الله سلطانا ، ولا أعظم قدرا ، ولا أعظم حكمة ، ولا أعظم علما ، فهو عظيم بذاته وعظيم بصفاته جل وعلا .فاللهم لك الحمد حمدًا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك،
حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما تحب وترضى.

3- وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» رواه الترمذي وحسنه الألباني.

4- **وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد الله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ» وحسنه الألباني.**

5-وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا إن عبدا قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها، قال الله، وهو أعلم بما قال عبده، ماذا قال عبدي؟ قالا يا رب إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما "اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها» [12]عضل به الأمر: اشتد واستغلق.

فهذا الحمد بهذه الصيغة لا تقدر بحسنات يعني أنها تكتب هكذا ويقدرها الله عز وجل بكرمه، ولا يعلم عطاء الكريم الا الكريم سبحانه وتعالى.

6- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَ ليرضى عن العبد أن يأكلَ الأكلةَ فيحمدَه عليها، أو يشربَ الشربةَ فيحمدَه عليها» رواه مسلم

7-**عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن – تملأ – ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء**

---

[12] قال الشيخ أحمد شاكر في التفسير إسناده جيد، وفي بعض روايات الحديث أن هذا العبد هو نبي الله داوود- عليه السلام-

، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها) رواه مسلم.

ومعنى (الحمد لله تملأ الميزان) يوم القيامة ؛أي: أن كلمة الحمد لله لو وضعت في ميزان، أو لو جعلت جرما، -أي: شيئا محسوسا يرى،- لرأيتها تملأ الميزان، أي: تملأ كفة الميزان يوم القيامة، وتثقل عملك، لما اشتملت عليه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتبجيل له ، وهذا يبين عظيم الأجر المترتب على هذه الكلمات الطيبات.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده الحامدين، الذاكرين، الشاكرين.

اللهم آمين.

****

المبحث الثاني

رب العالمين

معنى اسم الله: (الرب)

الرب اسم من أسماء الله الحسنى ورد القرآن الكريم به كقوله تعالى في سورة الفاتحة **(الحمد لله رب العالمين)**، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم **(السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)** رواه البخاري عن عائشة.

والرب في اللُغة : هو المالك ، المصلح ، المربِّي.

وهو من الألفاظ المشتركة لغويا أي يطلق على الله حقيقة وعلى العبد مجازا لكن إذا نسب إلى العبد فإنه يأتي مضافا لشيء كقولنا: ربُّ الدار أي صاحبها، وربة البيت ومنه قول يوسف للرجل **(ارجع إلى ربك ...)** أي سيدك يقصد الملك، وقول عبد المطلب **(أما الإبل فأنا ربها وأما البيت فللبيت رب يحميه)** والمعنى أنا صاحب الإبل ومالكها.

إذن فمعنى اسم الرب :هو المصلح أحوال خلقه القائم على أمورهم .

وتحمل هذه المعاني ما يسميه العلماء **بتوحيد الربوبية** ؛ وهو الاعتقاد أن الله هو الفاعل لكل شيء في الكون فهو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ويقبض ويبسط ....الخ

فهو سبحانه وتعالى الذي أنعم علينا بنِعَمة الإيجاد، فأوجدنا الله من العدم، ثم إنه سبحانه وتعالى هيأ لنا أسباب الإمداد والحياة، فرعى الله الجنين ببطن أمه فأطعمه وسقاه ونماه وخلقه وصوره ، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فلما خرج للدنيا جعل له رزقًا يجريه في صدر أمه، وقرب الفطام ينبت له الأسنان، ويألف الرضيع الطعام وينوع له في الزاد بأشكاله وأنواعه: هذا من الخضار، وهذا من الفاكهة، وهذا من اللحم، وهذا كذا وكذا.

وتكفل الله عز وجل بأرزاق خلقه فقال :﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا**﴾ [هود: 6].

تبارك الذي بيده الملك:

ونؤمن أن الله هو الفاعل لكل شيء في هذا الكون، وأنه جل جلاله لا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأن علمه محيط.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران: الآيتان 26-27].

وقال تعالى حكاية عن الخليل إبراهيم حينما تبرأ من عبادة الأصنام التي يعبدها قومه: **﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [سورة الشعراء: الآيات 75-82].**

ولذلك أقول في ظل الأوضاع الحالية؛ وخاصة عند مشاهدة ومتابعة الأخبار، وما تحمله من آلام ومصائب فإن من آفاتها أنها تقطع العبد عن رب العالمين مما يورث المسلم اليأس والقنوط؛ لأن الله جل جلاله لا يرد على بال هؤلاء وطرحهم كله مادي بحت، والأخبار تطرح وتنشر مجردة عن ربط الأحداث بالله سبحانه وتعالى.

فرب العالمين بيده الملك لا يغيب عنه شيء، ولا يغيب عنه مثقال ذرة، فما بالك بالأحداث التي تحدث هنا وهنالك، فاربط الأمور بالله عز وجل، وأي آية يجريها الله، زلزال أو بركان أو حرائق غابات أو أي شيء من هذا القبيل، عبرة للمؤمن وللكافر، قال تعالى: **﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: 59]** حتى يعلم العباد أنهم مهما أوتوا من قوة فهم أمام قدرة الله عاجزون، لا شيء.

فمن لوازم الإيمان باسم الرب جل جلاله أن نربط الأحداث بالله عز وجل، ونستعين بالله في كل أمورنا.

وكل شيء يجري في هذا الكون يجري بمقادير الله، **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: الآية 49]** فالعبد الرباني المؤمن باسم الرب يرد الأمور إلى من يملك الأمر، من يدبر الأمر جل جلاله.

والمسلم يقف مما يدور حوله من أحداث موقف المستبصر بآيات الله؛ الذي يرى أن لله حكمة في كل قدر من أقداره، وكل فعل من أفعاله، ولا أقصد بهذا أن يكون المسلم متواكلًا ولا مغيبا عن الأحداث، إنما أقصد ألا ننخدع بتضخيمهم للباطل وتضخيم قوته وتفخيم ما يفعله أهل الباطل، وتقليل أهل الحق، والعمل على إحباطهم، وهزيمتهم نفسيًا.

الأمن لأهل التوحيد:

والمسلم إذا ضاقت به الأمور يلجأ إلى الله، وإذا أصابه قلق أو توتر يطلب الأمان من الله، قال تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾]سورة الذاريات: الآية 50 .[﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ**﴾ [سورة الأنعام: الآية 82].

عندما تخاف عليك بالفرار إلى الله الذي هو أكبر من كل شيء، أكبر من كل شيء يهددك، فالمسلم له الأمن بالتوحيد، والتوحيد ليس مجرد كلمة نرددها على سبيل البركة؛ كلا، بل نقولها بركة ونقولها اعتقادًا ونقولها ثقة ونقولها يقينًا لا شك فيه أبدًا، ولو شعرت بالخوف، أو القلق، والتوتر، فاعلم أن الله بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

أنت بسبب ضعفك البشري يصيبك التوتر والقلق، لا شك؛ لكن حينما أخاف ماذا أفعل؟ أطلب الأمان ممن بيده كل شيء.

وهذه أم موسى لما خافت على ابنها ووصف الله حالة قلبها فقال :﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة القصص: الآية 10]. القلب عند المصيبة يصبح مضطربًا، يرتجف، وهذه طبيعة الضعف البشري، **(لولا أن ربطنا)** ربط الله على القلب فسكن.

ونبي الله موسى لما رأى السحرة ألقوا حبالهم وعصيهم خاف، وأخبرنا الله عن الحالة النفسية لموسى فقال : ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ**﴾ [سورة طه: الآية 67].

موسى رسول الله وكليم الله، لما رأى المشهد، أوجس منهم خيفة، وهذا مقتضى الفطرة بشرية، لكن رب العالمين ثبته :﴿**قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ**﴾ [سورة طه: الآية 68]هذا التثبيت يأتي من الله سبحانه وتعالى، ويأتي مع الإيمان بالله عز وجل.

فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا :

ولذلك حينما يكون هناك مواقف صعبة فيها فتن أو شدائد لا يثبت أمامها القوي العضلات أو الطويل العريض، هذا إعداد بدني لا شك، لكن الأهم من الإعداد البدني الإعداد النفسي، الإعداد الإيماني، الارتباط بالله عز وجل ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾ [سورة الأنفال: الآية 12].

(الرعب) من يطيق هذا السلاح؟

من يستطيع أن يثبت جنديًا في أرض المعركة قد أصابه الفزع والهول؟

هذا الرعب يصيب الطيار في طائرته فتنقلب به، ويصيب العسكري في دبابته التي فيها من أدوات التكنولوجيا والرادار والاستشعار فيعمى ولا يرى شيئًا، وقد رأينا هذا بأنفسنا بغزة.

ويصيب الجندي وهو يحمل السلاح الآلي الرشاش المطور الذي عنده منظار كذا وكذا فيخطئ ولا يستطيع أن يفعل شيئًا.

الحالة النفسية والإيمانية لا تأتي بالتدريب على السلاح والقتال فقط، إنما تأتي بالارتباط الإيماني بالله عز وجل.

الحكمة من الابتلاء:

وكثير من الناس إذا أصيب بشدة كبيرة يصل إلى مرحلة اليأس والتفكير في الانتحار لضعف ارتباطه بالله.

ويسأل أحدهم: لماذا أنا مصاب بمرض كذا؟

يا أخي لو كشف عنك الحجاب ورأيت الخلق لرأيت الجميع في هذه الدنيا مبتلى.

لكن لم فلان عنده كذا وفلان كذا؟ هذه ليست لي ولك، هذا تدبير الله عز وجل.

وقد قدر الله هذه الابتلاءات لحكم كثيرة منها :

1- الاختبار لأهل الإيمان: قال تبارك وتعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ [سورة العنكبوت: الآية 2]، لا توجد جامعة من الجامعات تحصل على شهادتها إلا باختبارات، وبالتالي لن يدخل أحد الجنة إلا بعد الاختبار، قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا**﴾ [سورة البقرة: الآية 214]

إذا فلا بد من الفتنة والاختبار، وإبراز قوة الإيمان وحقيقة الإيمان والارتباط بالله والثقة في الله عز وجل، وعدم اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى.

2- ومن الحكم التربية: فالله سبحانه وتعالى يربي عباده على العطاء والمنع، بالسراء والضراء، بالعسر واليسر، بالمرض والعافية، بالغنى والفقر.

هذه ألوان الدنيا ، ومن لم يواجه هذه الأشياء في الدنيا، أو لم يكتشف حقيقة الدنيا عند أول صدمة، يصاب بالفزع والاكتئاب والتفكير في الانتحار؛ لأنه لم يتوقع مثل هذا.

لو ربيت ولدك على أن يكون مدللًا، كل ما يتمناه يجده، هذا الابن المدلل إذا واجه المجتمع يتفاجأ، ولذلك تجد هذا العنصر الفاسد في المجتمع زوجًا فاشلًا أو زوجة فاشلة، وفي مكان العمل موظفًا أو عاملًا فاشلًا، لأنه تربى على أنه يأخذ ولم يتربَّ على أن يعطي، تربى على أنه يكون مدللًا ولم يتربَّ على أن يكون في مواجهة الشدائد والصعاب.

3- اليقين أن كل شيء بيد الله: لو خوفوني على أجلي أو رزقي أرجع للثوابت الإيمانية عندي :﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا**﴾]سورة آل عمران: الآية 145 .[﴿**وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ**﴾ [سورة العنكبوت: الآية 60]

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إن روح القدس جبريل عليه السلام نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وتستوفي أجلها" إذن لا نقص في عمرك ولا نقص في رزقك.

فعال لما يريد:

ليس من حق العبد أن يملي على الله ماذا يفعل وماذا يترك؟ فتدبير الكون لا يكون وفق هواي أو هواك؛ والله تعالى :﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ [البروج: الآية 16]. و ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾ [القصص: الآية 68].

فيجب علينا أن نعلم يقينًا أن الكون كله بيد الله، وأنك المسلم يؤمن بأقدار الله عز وجل خيرها وشرها، ويؤمن بالسراء وبالضراء، وأن **قضاء الله نافذ لا يرده راد ولا يعقب على حكمه أحد جل جلاله سبحانه وتعالى؛** فليس من حقنا أن نملي على الله ونحن عبيده ماذا يفعل أو نملي على الله ماذا يقدّر.

وإذا وقع قدر الله نستسلم قائلين :﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: الآية 156].

نحن ملك له، ونحن عبيده، وفي النهاية نحن راجعون إلى الله عز وجل، وهو سبحانه الفاعل المدبر لكل شيء في هذا الكون، يفعل ما يشاء بحكمته ويحكم ما يريد بعزته، فسبحانه هو الذي تواضع كل شيء لعظمته ، وذل كل شيء لعزته، واستسلم كل شيء لقدرته.

المبحث الثالث

عبودية الكائنات لرب العالمين

معنى (العالمين)

العالمون جمع عالمٍ ، والعالم كل ما سوى الله، وهو اسم جمعٍ لا واحد له من لفظه، يشمل أفراداً كثيرة يجمعها صِنْفٌ واحد.

فالإنس عالم ، والجنّ عالم ، وكلّ صنف من الحيوانات عالم وكلّ صنف من النباتات عالم، إلى غير ذلك مما لا يحصيه إلا الله تعالى من عوالم الأفلاك والملائكة والجبال والرياح والسحاب والمياه، وغيرها من العوالم الكثيرة والعجيبة.

معنى (رب العالمين)

كل ما سوى الله محدث، من الذي أحدثه؟ الله عز وجل.

إذا فالذي يملكه والذي يتصرف فيه كيفما يشاء هو الله جل وعلا.

فهو رب العالمين الذي خلق العوالم كلَّها كبيرها، وصغيرها على كثرتها، وتنوعها وتعاقب أجيالها.

وفي هذه العوالم أممٌ لا يحصيها إلا من خلقها، وهو ربُّ العالمين المالك لكلِّ تلك العوالم فلا يخرج شيء منها عن ملكه، وهو الذي يملك بقاءها وفناءها، وحركاتها وسكناتها، فيبقيها متى شاء، ويفنيها إذا شاء، ويعيدها إذا شاء.

-وهو ربّ العالمين الذي دبَّر أمرها، وسير نظامها، وقدّر أقدارها،

وساق أرزاقها، وأعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى.

-وهو ربّ العالمين الذي له الملك المطلق والتصرّف التامّ، فما يقضيه فيها نافذ لا مردّ له.

-وهو ربّ العالمين الذي لا غنى للعالمين عنه، ولا صلاح لشؤونهم إلا به، كلّ نعمة ينعّمون بها فإنما هي من فضله وعطائه، وكلّ سلامة من شرّ وضرٍّ فإنما هي بحفظه ورعايته وإذنه، فهم الفقراء إليه فقراً دائماً متّصلاً، وهو الغنّي الحميد.

وحينما تتكلم عن هذه العظمة الإلهية وهذا الجلال تتكلم عن كون لم ندرك منه إلا أقل القليل.

ماذا تساوي الكرة الأرضية التي نعيش عليها، بالنسبة لهذا الملك الواسع؟

الجواب: لا شيء!!

أحد علماء الفلك وصف الكرة الأرضية وصفا سهلا جدًا فقال: "هذا الكون يشبه مكتبة فيها مليون مجلد، الكرة الأرضية نقطة فوق حرف في كلمة من كتاب في هذه المكتبة.

والله تعالى خلق من الخلق مما نعرفه الجن والإنس والملائكة.

وخلق الله تعالى ما خلق من العوالم الأخرى مثل عالم الحيوان وعالم الحشرات وكل ما كان مجموعة من الكائنات الحية مؤتلفة على شكل واحد ونظام واحد يقال عنها عالم.

هل في الكواكب الأخرى حياة؟

أنا لا أشك في هذا؛ لأن الله تعالى لا يخلق شيئًا عبثًا سبحانه جل شأنه ، فلا يعقل أن أحكم الحاكمين خلق هذا الكون وجعل الحياة الوحيدة على كوكب الأرض فقط ثم سائر الكواكب التسعة لا حياة فيها.

والبشر لم يدركوا كل شيء في كوكبهم فضلا عن الإحاطة بالكواكب الأخرى، فهذه الكواكب ولا شك لها خلق آخر.

ما طبيعتهم؟ ما شأنهم؟ كل هذا الا يفيدنا بشيء، لو كان في العلم بهم فائدة لأعلمنا الله عز وجل.

لكن على سبيل الإجمال نحن نقرأ الإشارة القرآنية، قول الحق تبارك وتعالى :﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ** ﴾ [سورة الشورى: الآية 29].

وقال **(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)** [النحل:49]

ففي هاتين الآيتين دلالة على أن هناك خلقا لا نراهم ولا نعلم عنهم شيئا غير الجن والإنس والملائكة والدليل على ذلك أن لفظة دابة ليس المراد بها الملائكة لأنها جاءت معطوفة عليها كما في الآية الثانية والعطف يفيد التغاير.

فمثلا نقول جاء محمد وأحمد فنحن نخبر عن شخصين متغايرين بخلاف لوقلت جاء محمد أحمد فأنت تخبر عن شخص واحد فالدواب التي تسجد في السموات لا شك أنها غير الملائكة

ونريد أن نصل بهذا إلى أن الله رب العالمين رب كل شيء نراه أو نؤمن به أو خفي عنا علمه وحقيقته وندرك مدى عظمة الله رب العالمين.

عبودية الكائنات لرب العالمين

يقول تبارك وتعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) [الإسراء:44].

فالله تبارك وتعالى يقول:**(تُسَبِّحُ)**، إذاً: هي تسبح، وقوله تعالى: **(وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)**، نفى هنا معرفة كيفية التسبيح.

وعبر عنها هنا بضمير العاقل، ولم يقل: **(ولكن لا تفقهون تسبيحها)** أي: الكائنات، وإنما أعاد عليها ضميراً من يعقل؛ لأنه أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح، ولذلك قال: **(وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).**

وأيضاً علّم الله سبحانه وتعالى كل كائن من هذه الكائنات كيفية التسبيح الخاصة به، يقول عز وجل: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)** [النور:41]

وهذه الصلاة ليست بالضرورة مكونة من ركوع وسجود ، وإنما هو تسبيح خاص ألهمها الله عز وجل إياه، فقوله تعالى: **(كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)** [النور:41]، يعني: أن الله علم صلاة كل شيء من هذه الكائنات وتسبيحها.

وأما لماذا لا نفقه تسبيحهم فلأنها بخلاف لغتنا، والله سبحانه وتعالى امتن على سليمان بنعمة خصه بها على سائر الناس فقال: **(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ داودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ)** [النمل:16]، فسليمان عليه السلام فهم كلام النملة، ولم يكن هذا مجازاً بل كان حقيقة قطعاً.

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ** ﴾ [سورة الحج: الآية 18].

أمثلة على عبودية الكائنات لله:

1- النمل: قال عز وجل: **(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)** [النمل:18]

وفي هذا اعتذار عن سليمان عليه السلام؛ لأن سليمان عليه السلام لا يمكن أن يتعمد أذية النمل، لكن قد يقتله هو وجنوده دون أن يشعروا، فهذا اعتذار في غاية التأدب مع نبي الله ومع جنوده وأصحابه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خرج سليمان عليه السلام يستسقي، فرأى نملة مستلقيةً على ظهرها، رافعةً قوائمها إلى السماء، تقول: اللهم إنا خلقٌ مِن خلقك، ليس بنا غنًى عن سقياك، فقال: ارجِعوا، فقد سُقيتم بدعوة غيرِكم) رواه أحمد، وصحَّحه الحاكم.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (قرصت نملة نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة فأحرقت أمة من الأمم تسبح الله!) رواه البخاري، أي: أن الله عز وجل عاتبه.

2- والهدهد حينما أتى سليمان وخاطبه وحصل بينهما هذا الحوار عن ملكة سبأ، هل كان هذا بالإشارة أو بالرموز أم أنه كان حقيقياً؟ الجواب: كان كلامه حقيقياً.

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 22-26]

3- وكذلك أطلع الله سبحانه وتعالى داود عليه السلام على تسبيح الجبال والطير، وداود عليه السلام كان يقف موقفاً مهيباً عظيماً عجيباً حينما يسبح الله عز وجل، فكان يجاوبه كل شيء، حتى الطيور في السماء كانت تجيب وتردد خلفه، والجبال تشترك معه في هذا التسبيح، يقول تبارك وتعالى في سرد قصة داود عليه السلام: **(يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)** [سبأ:10].

ولو كان تسبيحاً عادياً بمعنى أنه إذا رآها قال: سبحان الله لما اختص داود بهذا، وما الفرق بين داود وبين أي شخص آخر إذا رأى الجبال قال: سبحان الله؟ هذا إفساد لمعاني القرآن، ويقول تعالى: **(وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ)** [ص:19]، ويقول: **(إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ)** [ص:18]

4- ويقول تبارك وتعالى عن الحجارة: **(وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)** [البقرة:74]،أي: أن الحجر قد يهبط من خشية الله.

5- عبودية السماوات والأرض: وأيضاً هناك عبودية السماوات والأرض، يقول تبارك وتعالى: **(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)** [فصلت:11].

وقال عز وجل: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ) [هود:44].

ويقول تبارك وتعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) [الدخان:29]، قال العلماء: فيه أنهما لا يبكيان على الكافرين، ومفهومه أنهما يبكيان على المؤمنين، وفراق الصالحين.

كل شيء له بكاء خاص به، فبكاء الإنسان بالدموع، أما بكاء السماوات والأرض فبحسبهما، والله أعلم بكيفيته.

6- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر)** رواه ابن ماجة.

وفي الترمذي زيادة: (حتى النملة في جحرها لتستغفر هي الأخرى لمعلم الناس الخير)

7- **وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن)**، أي: ما زال الحجر قائماً وموجوداً، وكان إذا رأى النبي عليه الصلاة والسلام قال له: السلام عليك يا محمد! أو يا رسول الله!

8- جبل أحد: وكذلك أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبل أحد بقوله: **(هذا أحد جبل يحبنا ونحبه)**، رواه البخاري.

ومن ذلك أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام صعد أحداً مرة وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فرجف الجبل -أي: اهتز الجبل وتزلزل- فقال له النبي عليه السلام: (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)، والصديق هو: أبو بكر ، والشهيدان هما: عمر وعثمان ، وهذا رواه البخاري .

وهذا من أعلام النبوة؛ لأنه أخبر أن عمر وعثمان سيكونان شهيدين، وقد قتلا رضي الله تعالى عنهما شهيدين.

9- حنين الجذع :فقد كان للرسول عليه الصلاة والسلام جذع نخلة في المسجد، فكان إذا أراد أن يخطب اتكأ عليه، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بصنع المنبر، وصنع المنبر، وفي أول صلاة جمعة لما دخل المسجد مر على الجذع، ولم يستند إليه كما هي العادة، ورقى المنبر، فإذا بالجذع يبكي بكاء الصبي الذي يحن لأمه، وظل الجذع يتأوه، وكان صوته يسمع في جميع أرجاء المسجد، بكى حنيناً إلى رسول الله، وتألماً لفراقه، وظل صوته كالطفل الذي يبكي حتى نزل الرسول عليه السلام من على المنبر، وضم الجذع إليه، وربت عليه إلى أن سكن، وهذا كله كان أمام الصحابة.

وهذا الحديث في البخاري : (أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطب الجمعة مستنداً إلى جذع، فقالت امرأة من الأنصار: يا رسول الله! ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل صلى الله عليه وسلم فضمها إليه، ووضع يده عليها فسكنت).

إذاً: الجذع كان يحن إلى رسول الله، وكان يتفاعل معه، ويحبه، ويريد أن يقترب منه صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا كله يثبت أن الله سبحانه وتعالى قد يخلق في الجمادات من الإدراك ما تعي به أشياء كالعاقل .

10- **إدراك وتمييز الإبل: وجاء أيضاً (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه)**، أي: أن هذا الجمل بمجرد أن رأى الرسول عليه الصلاة والسلام -وهو لا يعرفه- أدرك وعرف أن هذا هو رسول الله، فمجرد أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه **(فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح سراته إلى سنامه وذفراه فسكن، فقال عليه الصلاة والسلام: من رب هذا الجمل؟ فجاء فتىً من الأنصار فقال: هو لي**

يا رسول الله! فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه)، يعني: تتعبه بالشغل، رواه أبو داود.

وقوله: (فإنه شكا إلي) يعني: أنه كلم النبي عليه الصلاة والسلام، والرسول فهم كلامه كما فهم سليمان، فهل بعد ذلك يرتاب أحد في أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين؟

وعن جابر رضي الله عنه قال: (أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دفعنا في حائط لبني النجار، فإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه فدعاه، فجاء واضعاً مشفره على الأرض حتى برك بين يديه، فقال: هاتوا خطاماً، فخطمه ودفعه إلى صاحبه، ثم التفت فقال: إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس)، ورواه الإمام أحمد ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

كذلك أيضاً في قصة الهجرة، فإن الناقة التي هاجر عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اقتربت من المدينة كان الصحابة يمسكون بزمامها، وكل طائفة من الصحابة يريدون أن ينزل الرسول عليه الصلاة والسلام أول ما ينزل عليهم، فكانوا يمسكون الزمام ويطلبون أن ينزل الرسول عليه الصلاة والسلام عليهم، فيقول لهم الرسول عليه الصلاة والسلام: **(خلوا سبيلها؛ فإنها مأمورة).**

فهذه الجملة من النصوص تعكس هذا التوافق والانسجام بين عناصر هذا الوجود كله، وهذه الكائنات وأنها كلها جنود لله مطيعة منقادة، ونحن مطالبون أن ننقاد لله سبحانه وتعالى مع هذه الكائنات طوعاً واختياراً، والخضوع له عز وجل، وتسبيحه، وتقديسه، وتنزيهه.

تنبيه :

ما سبق لبيان عبودية الكائنات لله وليس إثبات أنها عاقلة كالإنسان ؛ فإن جميع العلماء والعقلاء على أن الإدراك الذي ركبه الله عز وجل في الحيوانات ليس هو العقل الغريزي ، الذي كان الفارق الحقيقي بين الإنسان والحيوان ، والذي أدخل الإنسان دائرة التكليف والمسؤولية.
وأما الحيوان ، فما وهبه الله سبحانه مما نراه في إدراكه طرق تدبير معيشته ، والخضوع لخالقه ، سماه القرآن الكريم (هداية)، وذلك في قول الله سبحانه : **(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)** [طه/50]
ويسميه العلماء في كتبهم (إدراك الحيوان)

الفصل الرابع

تفسير قول الحق تبارك وتعالى:

الرحمن الرحيم

الفصل الرابع

تفسير قول الحق تبارك وتعالى: الرحمن الرحيم

اسم الرحمن جل جلاله:

الرحمن مشتق من الرحمة ، وهي: التعطف والشفقة.[13]

والرحمن هو من عمت رحمته الكائنات كلها في الدنيا سواء في ذلك المؤمن والكافر.

واسم الرحمن اختص به الله لا يتسمى به غيره .

اسم الرحيم جل جلاله:

مشتق أيضا من الفعل رحم فإذا قيل راحم فهو متصف بالرحمة، والمبالغة رحمن ورحيم، ويفترق هذا الاسم عن اسم الرحمن أنه يمكن تسمية غير الله به كما في قوله تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم **(بالمؤمنين رؤوف رحيم)** [التوبة 128]

ما الفرق بين الرحمن والرحيم ؟

قيل في ذلك عدة أقوال، والراجح أن:

- الرحمن صفة للذات (ذات الله) فالله في ذاته بلغت رحمته الكمال
- والرحيم صفة للفعل، ، فهو الذي يرحم خلقه جميعا ويسعهم برحمته.

---

(13) ذكر ابن القيم أن وصف فعلان يدل على سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه الموصوف به؛ ألا تري أنهم يقولون غضبان للممتلئ غضبا وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن مليء بذلك فبناء فعلان للسعة والشمول، ولهذا يقرن الله تعالي استواءه علي العرش بهذا الاسم كثيرا كقوله سبحانه:(الرحمن علي العرش استوي) طه:5 وكقوله أيضا:(ثم استوي علي العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) [الفرقان:59] فاستوي علي عرشه باسمه الرحمن لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم علي اختلاف أنواعهم كما قال تعالي:(ورحمتي وسعت كل شيء) الأعراف:156 فاستوي علي أوسع المخلوقات بأوسع الصفات ومن ثم وسعت رحمته كل شيء.(بدائع الفوائد، 24/1–25)

بيان سعة رحمة الله بعباده:

الله عز وجل سبقت رحمته غضبه كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي أنه قال : (لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش :إن رحمتي سبقت غضبي)

ولم يجعل في الدنيا إلا جزءا يسيرا من واسع رحمته يتراحم به الناس ويتعاطفون ، وبه ترفع الدابة حافرها عن ولدها رحمة وخشية أن تصيبه ،

كما في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة أنه سمع رسول الله يقول: (جعل الله الرحمة مئة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)

وفي رواية أخرى عند البخاري قال : إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة ، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار .)

نتأمل هذه الرحمة التي جعلها الله في قلوب عباده ومخلوقاته كلهم لا تزيد عن كونها جزءا واحدا من رحمته ، ونتأمل كيف وسعت رحمته من هذا الجزء عباده في الدنيا فماذا عن التسعة والتسعين جزءا في الآخرة؟ فهذه بها يعفو الله وبها يغفر وبها يقبل شفاعة الشافعين ويعفو عن العاصين.

وورد عند البخاري أيضا من حديث عمر بن الخطاب أنه قال : (قدم على رسول الله بسبي ، فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله ، وهي تقدر على ألا تطرحه ، فقال رسول الله : لله أرحم بعباده من هذه بولدها)

والله إن الإنسان ليتوقف طويلا مع هذا الحديث الذي يبين فيه رسول الله مثالا حسيا لهذه المرأة فقدت طفلها في الحرب ، فكانت إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، وقد فعلت ذلك ليخفف ألم اللبن في ثديها ، وأخذت تبحث عن طفلها حتى وجدته فأخذته وضمته وأرضعته ، فرحمة الله بعباده أعظم من هذه الرحمة.

اللهم إنك أرحم بنا من أمهاتنا ، ورحمتك أوسع من ذنوبنا ،

ومغفرتك أرجى من عملنا فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين .

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها:

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2] ،.

يخبر تعالى أن مفاتيح كل شيء بيده فما يفتحُ للناس من أرزاق وخيرات وبركات لا يمكن لأحد من خلقه أن يمسكها دونه وما يمسك من ذلك فلا يستطيع أحد من خلقه أن يرسله، وهو وحده العزيز الغالب على أمره ومراده فلا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى الحكيم في صنعه وتدبير خلقه.

الراحمون يرحمهم الرحمن :

من أراد رحمة الله فليرحم الخلق، كما في الحديث عن عبد الله بن عمرو (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) صححه الألباني

ودخل الأقرع بن حابس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو يقبل الحسن ويقبل الحسين فقال : والله أنا لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحدا منهم فغضب النبى وقال: (وما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك، من لا يرحم لا يرحم) متفق عليه

بل كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج من المسجد فقابله الصبيان وقف يسلم عليهم، فعن جابر بن سمرة يقول جابر: صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة الأولى، فخرج إلى أهله فقابله الصبيان، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح خدى أحدهم واحدا واحداً، ثم مسح النبى صلى الله عليه وسلم على خدى فوجدت ليده بردا وريحا كأنه أخرجها من جؤنة عطار) صحيح مسلم.

والرحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم، فالمؤمن يرحمه ويتقي الله فيه، ويعلم أنه مسؤول أمام ربه عن هذه العجماوات.

وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلبا فغفر الله لها، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

وقال رجل: يا رسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها. فقال: "إن رحمتها رحمك الله"، رواه الحاكم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم امسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا: يا رسول الله !وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟؟! فقال صلى الله عليه وسلم: في كـل كـبد رطبـة أجر» مسلم.

ويروي المؤرخون أن عمرو بن العاص في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه (خيمته) فاتخذت من أعلاه عُشًّا، وحين أراد عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه، فتركه وتكاثر العمران من حوله، فكانت مدينة "الفسطاط".

الرحمة بالعصاة:

مر أبو الدرداء بجماعة تجمهروا على رجل يضربونه ويشتمونه، فقال لهم: ما الخبر؟ قالوا: وقع في ذنب كبير، قال: أرأيتم لو وقع في بئر أفلم تكونوا تستخرجونه منه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوه ولا تضربوه، لكن عِظُوه وبصِّروه، واحمدوا الله الذي عافاكم من الوقوع في مثل ذنبه، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض فعله، فإذا تركه فهو أخي، فأخذ الرجل ينتحب ويعلن توبته وأوبته.

ما الحكمة من تكرار ذكر ﴿الرحمن الرحيم﴾ بعد ذكرهما في البسملة:

جاء ذكر هذين الاسمين بعد ذكر حمد الله تعالى وربوبيّته للعالمين؛ لبيان ما يناسب من معاني رحمة الله تعالى وسعتها لجميع العالمين، وأنَّ رحمته وسعت كلّ شيء، وأنه تعالى واسع الرحمة ؛ فيكون ذكر هذين الاسمين من باب الثناء على الله تعالى تقدمة بين يدي مسألته التي سيسألها في هذه السورة .

****

الفصل الخامس

تفسير قول الحق تبارك وتعالى:

مالك يوم الدين

الفصل الخامس

تفسير قول الحق تبارك وتعالى:

مالك يوم الدين(4)

مقصد هذه الآية تمجيد الله تعالى والتفويض إليه؛ كما صحَّ في الحديث القدسي المتقدّم ذكره **(مجدني عبدي)**

ما يدل عليه تمجيد العبد لربّه بذكر ملكه ليوم الدين:

1- عظمة ملكه تعالى، وكمال قدرته على بعثهم بعد موتهم.

2- سعة علمه، وإحاطته بكلّ شيء، وإحصائه أعمال عباده .

3- سرعة حسابه لعباده على أعمالهم ومجازاته إياهم.

4- عدله في جزائه، ورحمته وإحسانه لأوليائه ، وشدّة انتقامه من أعدائه.

5- تلاشي كلّ ملك دون ملك الله تعالى، واضمحلال قدرة كلّ أحد على أن يملك لنفسه أو لأحد غيره شيئاً.

القراءات في الآية:

في هذه الآية قراءتان متواترتان:

الأولى: **(مالك يوم الدين)** بإثبات الألف بعد الميم، وهي قراءة عاصم والكسائي.

والثانية: **(ملك يوم الدين)** بحذف الألف، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء وحمزة وابن عامر.

ما الفرق بينهما؟

المالك جل جلاله : ملك الشيء: أي حازه، وانفرد باستعماله ، والانتفاع به، أو التصرف فيه ، والاسم مالك ، وهو يعني ذو الملك وصاحب التصرف فيما يملك بجميع الوجوه ما علمناه منها وما لم نعلم.

والملك جل جلاله: صاحب التصرف المطلق الآمر الناهي الذي يصرف أمور عباده كما يشاء .

والمالك هو: المتصرّف بفعله، والمَلِك هو: المتصرف بفعله وأمره، والله جل وعلا مالكُ الملك؛ فهو المتصرّف فيه بفعله وأمرِه.

ولكن لماذا سمى الله نفسه مالك وملك ؟

لأن المالك يملك وقد لا يحكم ، والملك يحكم وقد لا يملك ، والله هو المالك الملك الذي يملك ويحكم.

والله جل جلاله ؛ له الكمال، فهو الذي له ملك السماوات والأرض، وهو الذي له الحكم فيهما.

الله مالك كل شيء وما ملك :

يقول سبحانه **(ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض)**[البقرة :107]، **و(لله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير)** [آل عمران 189]

لو نظرنا إلى حقيقة الملكية في الدنيا، هي ملكية مؤقتة، الشيء كان ملكًا لغيرك ثم انتقلت ملكيته إليك بالبيع والشراء، أو بالميراث، أو بأي وسيلة من وسائل التملك، ثم بعد ذلك سيأتي اليوم الذي ستموت، وتترك هذا الشيء لورثتك والورثة هكذا، وغيرهم، وغيرهم إلى آخر ذلك، إذًا فالملكية هنا في الدنيا مؤقتة، وهي ملكية اعتبارية، لأنك وما تملك ملك لله عز وجل.

وقد فقه الأعرابي لما سألوه: لمن هذه الغنم؟ قال: لله في يدي.

هذه الغنم ملك لله سبحانه وتعالى وأنا مؤتمن عليها، فالله مالك كل شيء وما ملك.

ونفس الكلام في الملك، أي ملك في الدنيا لم يولد ملكًا إنما آلت أو انتقل الملك من غيره إليه، وسيأتي اليوم الذي يترك فيه الدنيا أو يترك الملك ويكون الملك إلى غيره، حتى قالت العرب: "لو دامت لغيرك ما وصلت إليك"، سبحان الله العظيم! أي ملك من ملوك الدنيا ملكه أيضًا مؤقت، وهو أيضًا ملك محدود، إنه يملك قطعة محدودة من الأرض يحكمها، فرب العالمين جل جلاله له ملك السماوات والأرض.

وإنما خص الله نفسه بأنه ملك يوم الدين ومالك يوم الدين لأمرين:

الأول: أن الله يبدل الأرض في ذلك اليوم غير الأرض والسموات غير السموات ، كما قال تعالى **(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار)** [إبراهيم:48] فأراد تنبيه العباد على أن السموات والأرض له فهو سبحانه مالكهما.

الثاني: لأنه كان في الدنيا منازعين في الملك ، مثل فرعون والنمرود وغيرهما ، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه ، وكلهم خضعوا له ، وفي يوم القيامة ينادي الرب سبحانه **(لمن الملك اليوم)** [غافر:16]

فلا يجيبه أحد فيجيب الحق نفسه بنفسه **(لله الواحد القهار)**[غافر:17]

فلذلك قال : مالك يوم الدين ، أي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجاز غيره ، سبحانه لا إله إلا هو .

وأيضا : أن البشر لهم شبهة ملك في الحياة الدنيا، فهم يملكون الأراضي والقصور والبساتين والذهب والفضة ، ولكنهم بين خيارين إما أن يزول عنهم ما يملكونه في الدنيا، وإما أن يزولوا عنه، ويخلفوه وراءهم فهو ملك زائل ،وعارية مسترجعة، لكنهم في يوم الدين يوم الحساب والجزاء لا يملكون شيئا ، فالناس في ذلك اليوم يحشرون حفاة عراة غرلا كما قال تعالى: **(وله الملك يوم ينفخ في الصور)** [الأنعام: 73]

وعندما يفني الله يوم القيامة الأحياء ويبيدهم، يقبض سماواته بيمينه ، والأرض بيده الأخرى كما قال تعالى: **(وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه)** [الزمر:67.]

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم (يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ،ثم يقول :أنا الملك ،أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟) رواه مسلم

ما معنى يوم الدين؟

سمّي يوم الدين لأنه يومٌ يُدان الناس فيه بأعمالهم، أي يجازون ويحاسبون، كما قال الله تعالى: **(يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)** [النور: 25] و**(أإنا لمدينون)** [الصافات: 53] أي مجزيون محاسبون،

وفي الحديث **"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»** رواه الترمذي وضعفه الألباني، لكن معناه صحيح وله شواهد كثيرة.

والمعنى: **(الكيس) العاقل والحكيم** هو الذي:**دان نفسه :**أي بمحاسبتها ومراقبتها على أفعالها وأقوالها، ومحاسبتها على تقصيرها في الطاعات، ومنعها من الوقوع في المعاصي.

و**عمل لما بعد الموت :**أي استعد للآخرة بالأعمال الصالحة، من عبادات وطاعات وأخلاق حسنة، مدركًا أن الدنيا فانية وأنه سيحاسب على ما قدم.

وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم .

أثر الإيمان باسمي الملك والمالك جل جلاله

1- تمجيد العباد ربهم بصفة الملك:

قال تعالى : (تبارك الذي بيده الملكُ وهو على كل شيءٍ قدير) [الملك:1] فالله يمجد نفسه في هذه الآية تعليماً لعباده أن يمجدوه بذلك، مقرين بأنه تبارك وتعالى هو المتصرف في جميع مخلوقاته كما يشاء لا راد لأمره ولا معقب لحكمه.

وقال تعالى : (قل اللهم ملك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممَّن تشاء وتعزُّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيءٍ قديرٌ) [آل عمران: 26]، فلأنه هو المالك فله مطلق التصرف في ملكه فلا يحدث شيء إلا بأمره ، فمرد الأمور كلها لله ، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ، يقدر أسباب الخير والعز لمن يشاء ، ويذل من يشاء ويسلب نعمه عمن يشاء فكل شيء بيده.

وليس المقصود من الآية كما يعتقد بعض المسلمين أن يستسلم للواقع المهين ويرضى بالظلم ويقنع بالمهانة ويقول – مهملا الأخذ بالأسباب – الحمد لله على كل حال هذه إرادة الله !!!يا أخي هذه إرادة الله في القاعدين والكسالى ؛ فهذا معنى جبري لا ينبغي للمسلم أن يقول به أبدا ، فإن عون الله لا يكون للكسالى والقاعدين ، إنما عون الله لمن يبذل ما في وسعه آخذا بالأسباب ثم يترك النتائج على الله .

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا . ولكن قل : قدر الله .وما شاء فعل . فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم

2-عدم الاغترار بالمال أو السلطان:

وقد ضرب الله لنا أمثلة في القرآن للعظة والعبرة فأعطانا مثال المغتر بسلطانه في فرعون الذي بلغ به الكبر والغرور أن يقول: أنا ربكم الأعلى فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر وجعله عبرة لمن يعتبر !!

وإهلاك الله سبحانه لفرعون وقومه عبرة لكل ظالم متكبر من ملوك الأرض، ظن أنه مخلد، ونسي أن ملكه زائل وأن إقامته في ملكه مؤقتة وأن الموت مدركه لا محالة.

وأعطانا مثال المغتر بماله الجاحد نعمة ربه عليه في قارون ، وقد حدثنا القرآن عن كنوز قارون فقال سبحانه وتعالى : **(وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) [القصص: 76]**

إن مفاتيح الخزائن التي تضم الكنوز، كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء(العصبة والعصابة العدد من 40:10) فكيف كانت الكنوز ذاتها؟!ويبدو أن العقلاء من قومه نصحوه بألا يفرح فرحا يؤدي بصاحبه إلى نسيان من هو المنعم بهذا المال، ولا ينبغي أن ينسى الآخرة مغترا بالدنيا، وأن عليه أن يتصدق من هذا المال.....فكان رد قارون جملة واحدة **(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي)** أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها، وفتنه المال وأعماه الثراء؛ فلم يستمع قارون لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه، فجاءه العقاب حاسما: **(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)** ابتلعته الأرض وابتلعت داره وكنوزه، وذهب ضعيفا عاجزا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال.

وفي هذا يقول الشاعر :

قدم لنفسك خيرًا وأنت مالك مالك

قبل أن يكون لون حالك حالك[14]

ولست والله تدري أي المسالك سالك

إلى جنة عدن أو في المهالك هالك

****

[14] حالك الأولى من الحال أو الشأن، والثانية بمعنى أسود.

الفصل السادس

تفسير قول الحق تبارك وتعالى:

"إياك نعبد وإياك نستعين"

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول / أسرار ومعاني "إياك نعبد"

المبحث الثاني/ المعنى الشامل للعبادة.

المبحث الثالث/ أعظم العبادات أجرا عند الله تعالى.

المبحث الرابع/ شروط قبول العبادة.

المبحث الخامس / الاستعانة بالله (وإياك نستعين)

المبحث الأول

أسرار ومعاني "إياك نعبد"

قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين) آية عظيمة القدر والمعنى ، في أعظم سورة وأشرفها، سورة الفاتحة، قال عنها ابن القيم في مدارج السالكين : أنزل الله مئة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن وجمع معاني القرآن في المفصل وجمع معاني المفصل في الفاتحة ومعاني الفاتحة في : **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)**

وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين فنصفهما له تعالى وهو **:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)** ونصفهما لعبده وهو: **(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين)**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة في :(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

ما السر في تقديم المفعول (إياك) ؟

قدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحصر أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة.

والمعنى: نخصك بالعبادة، ونخصك بالاستعانة، فلا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك؛ إذ لا تصح العبادة إلا لله، ولا يجوز الاستعانة إلا به.

ما السر في نون الجمع في الفعلين: نعبد ونستعين ؟

إشارة إلى أهمية الجماعة في الإسلام، والمراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد والمصلي فرد منهم، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم، فأخبر عن نفسه وعن إخوانه فكأن العبد إذا قال : **(إياك أعبد)** لكان ذلك تكبراً منه ، ومعناه أني أنا العابد أما لما قال: **(إياك نعبد)** كان معناه أني واحد من عبيدك، فالأول تكبر، والثاني تواضع، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله.

ما السر في اقتران العبادة بالاستعانة ؟

قرن الله تبارك وتعالى العبادة له وحده بالاستعانة به سبحانه، فقال جل جلاله: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** أي لا نعبد سواك ولا نستعين إلا بك ليدل

على أن العبد لا يستطيع أن يقوم بأي عبادة إلا بإعانة الله وتوفيقه، فهو إقرار بالعجز عن حمل هذه العبادة.

ما سبب تقديمَ العبادةِ في الآيةِ على الاستعانةِ ؟

يفسر هذا ما جاء في الحديث القدسي : **(قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين)** فالنصفُ الأولُ لله، والنصفُ الثاني للعبد، فالدِّينَ مُنقسمٌ إلى قسمين، عبادةٌ واستعانة، ولا يَكمُلُ دينُ امرئٍ حتى يقوم بهما على أكمل الوجوه.

فالصلاةُ عبادةٌ واستعانة، وسؤالُ اللهِ ودعاؤه عبادةٌ واستعانة، وأفضلُ الخَلْق مَن كَمَّلَهما وقام بهما على أكملِ وجهٍ وأحسنِ حال، وشَرُّ الخَلْق مَن تَرَكَ عبادةَ اللهِ، وتَرَكَ الاستعانةَ به على قضاءِ الحوائجِ، وكَشفِ الكُرَبِ، وتَيسيرِ الأمورِ، وشرحِ الصدور.

فالعبادة هي الغاية التي خلق الناس لأجلها، والاستعانة هي الوسيلة إليها، فإذا لم يعن الله عبده على طاعته، ولم يطلب العبد إعانته على ذلك؛ لا تحصل منه تمام العبادة، ولذلك علَّم النبي -عليه الصلاة والسلام- معاذاً دعاء يحافظ عليه بعد كل صلاة مكتوبة، يطلب العون من ربه في أداء عبادته:

فعن معاذ بن جبل، أنه قال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ بيدي يوما، ثم قال: (يا معاذ! والله إني لأحبك)

فقال معاذ: بأبي وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك.

فقال: (أوصيك يا معاذ؛ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك) رواه أحمد.

ما معنى العبادة ؟

العبادة في اللغة: من الذلة يقال طريق معبد أي مذلل.

والعبادة شرعا : عرفها ابن تيمية بقوله : (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة)

العبادات الظاهرة كالنطق بالشهادتين والصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة المحتاج وغيرها.

أما العبادات الباطنة من الرغبة والرهبة والحب والخوف والرجاء والخشوع والذل، فالعبادة القلبية اوسع في الشرع من العبادة البدينة؛ لذا يثاب العبد على فعل قلبه ما لا يُثاب على فعل بدنه.

والعبادة هي: كمال الحب مع كمال الذل.

ولا تتحقق العبودية إلا بالاثنين معاً فقد يحب المرء ابنه ، ولكن لا يذل له، وقد يذل المرء من الحاكم، ولكن لا يحبه، فلا ينبغي أن يجتمع كمال الحب، وكمال الذل إلا لله رب العالمين.

حينما تنفذ أو تطيع أمراً من أوامر الله لا تفعل ذلك كرهاً ولا تفعله بمشقة بحيث تشعر أنك في أقرب فرصة ستضيع هذا أو تترك هذا إنما تفعله ابتغاء وجه الله.

فأنا خاضع لأوامره ليس خضوع المُكره ولا المُجبر إنما خضوع المُحِب خضوع الذي يطيع ربه، وهو فرح مسرور، ولا يشعر أنه مُعاقب.

بين الضرائب والزكاة:

الناس في الضرائب يتعاملون مع المحاسب على أنه يجب أن يبذل أقصى ما في وسعه ليخفض الضرائب ويأخذ هذه الفاتورة ويفعل كذا ويفعل كذا وفي مادة في القانون الفلاني فيها كذا بحيث أنه يصل إلى أدنى درجة من دفع الضرائب.

لكن في الزكاة يجتهد لو كان عليه 100 يجعلها 150 لو عليه 150 يجعلها 300.

هذا هو الفرق بين ما كان مسألة قانونية ، وما كان مسألة شرعية، مسألة فيها التزام قانوني ومسألة فيها عبادة.

قال تعالى:(**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)** (الحجرات: 7).

فالراشدون عند الله هم الذين يقومون بالعبادة وهم يحبون الله، ويسعدون بطاعتهم لله فيسعدهم الله في الدنيا والآخرة.

ما الفرق بين العبادة والليبرالية؟

كلمة ليبرالية ليست معناها الحرية السياسية فقط ؛ إنما الليبرالية معناها أن تفعل ما تشاء بدون قيد من دين أو قانون؛ أي ليس عندك أي حدود، وهذا

خلل كبير في السلوك فلا يوجد عبد لله يفعل كل ما يريده لأن معنى أن تفعل كل ما تريد معناه أن إلهك هواك.

لا بد أن تكون هناك قوانين في أي مسار من مسارات الحياة لتضبط المسائل، فلو أن التصور هو أن كل شخص يفعل ما يشاء فهذا معناه الفوضى، وضياع الحقوق والواجبات.

فمعنى كلمة عبد لله: أنك خاضع لأوامر الله سبحانه وتعالى، وليس خاضعاً لهواك، هواك هو المزاج أو المصلحة، أو المنفعة تدفعك إلى الاعتداء على شخص، أو كسب المال بوسيلة من وسائل الكسب المحرمة كالنصب، والاحتيال، والكذب ، والغش، والنفاق، الإسلام جاء ليضع لك حداً فاصلاً بين الحلال والحرام، وبين الحسن والقبيح.

بعض الناس يأتي ويقول لك: **"أنا مسلم لكنني لست مقتنعاً أن الربا حرام" أو "أنا مسلمة لكنني لست مقتنعة أن الحجاب واجب"** وهذا يا للأسف الشديد كلام يُكرَّر ويُعاد الآن، ولكنه قد يخرج قائله من دائرة الإيمان.

معنى أنك عبد لله أنك خاضع لأوامر الله، قد تقع في المعصية ،ولكن مع إقرارك بأنك عبد لله.

الفرق بين معصية آدم وإبليس:

نبي الله آدم عندما أكل من الشجرة هو وحواء قالا مقرين بالمعصية نادمين عليها: **(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** (الأعراف: 23).

أما إبليس بالرغم من أنه عبد لله إلا أنه رد الأمر على الله، وقال: **"لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ"** (الحجر: 33).

ماذا كانت النتيجة؟

الله تاب على آدم وقال لإبليس: **"فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ"** (الحجر: 34-35).

إذن العبادة معناها خضوع لأوامر الله.

عبادة العقل:

بعض الناس يربط موضوع العبادة وطاعة الله في أوامره ونواهيه بالتعليل العقلي؛ بمعنى : أن كل عبادة أمر الله بها أو تشريع يجب أن أفهمه بعقلي

أولا، وأجد له سببا أو تعليلا مقنعا بالنسبة لي ، وهذا شيء لا يتحقق في كل العبادات؛ وليس ضرورياً أن يكون كل شيء له تبرير عقلي.

العلماء قالوا إن هناك :

- عبادات معقولة المعنى.
- وعبادات غير معقولة المعنى.

أي أن عندنا أمور تُدرَك أسبابها كسبب تحريم الإسلام للخمر، ومن السهل أن تكتب عشرة أسباب، لماذا حرم الإسلام أكل الخنزير؟ لماذا حرم الإسلام الاعتداء والظلم؟ لكن عندنا أمور ليس فيها معانٍ يدركها العقل؛ مع يقيننا أن أوامر الله لا تخلو من الحكمة لكنك لم تدركها لقصور في إدراكك.

ما الحل؟ هنا معنى العبودية التامة لله **"سمعنا وأطعنا"**.

أمثلة على العبادات غير معقولة المعنى

- لماذا نصوم من الفجر إلى المغرب؟
- لماذا نصوم رمضان بالذات؟ لماذا لا نصوم شعبان أو شوال؟
- لماذا لا يكون الصيام من الظهر للعشاء أو من العصر للفجر؟
- لماذا المعتدة أو التي توفي زوجها تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام؟ لماذا أربعة أشهر وعشرة؟ لماذا ليست خمسة أشهر؟ لماذا ليست ثلاثة أشهر؟ لماذا عشرة أيام وليست اثنا عشر يوماً؟

فإذا لم أدرك الحكمة ليس معناها أن أرد الأمر على الله ؛ إنما معناها أن أستسلم لله، وهذا هو الخضوع التام لله تعالى.

معنى الخضوع لله:

نعلم أن الغرب فلسفته قائمة على نظريتين: نظرية الشيوعية الماركسية، أو الرأسمالية، والقوانين في بلد تحمي الشيوعية، والقوانين في البلاد الأخرى تحمي الرأسمالية، ورجال الأعمال الداعمون للحكومات في الغرب دائماً تكون هناك قوانين تُفصَّل لمصلحتهم كوعد بتسهيل الاستثمار وتخفيض الضرائب وما إلى ذلك.

أما الإسلام فعندما وضع الشرائع لم يجعل مصلحة الفرد مقدمة على مصلحة المجتمع، بل جعل المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة.

فهناك من يريد إباحة الخمور، أو الزنا، أو غيرها ، فهذه مصلحة شخصية.

الإسلام جاء ليصون المجتمع من التبذل ومن التعري ومن أن يتحول إلى مجتمع منشغل بشهواته إلى توظيف هذه الغريزة، وهذه الفطرة فيما شرع الله من الزواج.

فالإسلام قننها وجعلها في إطارها الصحيح بأن هناك زوج وزوجة، ومسؤولية أولاد ينفق عليهم الأب، وترعاهم الأم حتى يبلغوا ويكونوا قادرين على الكسب.

أما أن تحصل علاقة بين رجل وامرأة، ثم إذا أراد أن يتركها يتركها وهي تتحمل مسؤولية الأولاد، أو أن الأولاد يضيعوا، أو أن الولد ينشأ ويشب لا يعرف من أبوه أصلاً، وربما يُنسب إلى أمه، أو غير ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إذن الإسلام جاء ليحمي المصلحة العامة وليس المصلحة الفردية.

ورحم الله الشيخ الشعراوي كان يقول: "إن النظرة للحلال والحرام عند بعض الناس نظرة ضيقة، فلو وسعنا النظرة لعلمنا الحكمة من أوامر الله.

- فالله تعالى لم يُحَرِّم عليك أنت الغش والسرقة فقط، بل حرم على كل الناس أن يسرقوك ، وحرم على كل الناس أن يغشوك.
- ولم يُحَرِّم عليك أنت القتل وحدك، وإنما حرم على كل الناس أن يقتلوك، أو يستبيحوا دمك.
- ولم يُحَرِّم عليك أنت الزنا وحدك، إنما حرم على كل الناس أن يعتدوا على عرضك في زوجتك، أو ابنتك، أو أختك ، أو أمك".

إذاً هنا نأخذ النظرة الشمولية الواسعة في الأوامر الإلهية، فإن أدركنا حكمة الله نقول **"سمعنا وأطعنا"** وإن لم ندرك حكمة الله نقول **"سمعنا وأطعنا"** ونتهم عقولنا بعدم الفهم عن الله.

العقل البشري له حدود:

وهذه مسألة مهمة أن بعض الناس لا يعترف بأن عقله له حدود.

أنا كشخص أفهم في جانب من جوانب العلم والمعرفة وفي جوانب كثيرة جداً لا أفهمها. هل هذا يعيبني؟ كلا يعيبني؛ هذا شيء طبيعي؛ إذاً ليس ضرورياً أن تفهم كل شيء في أي شيء.

أنا أركب الطائرة 15 ساعة ولم أرَ كابتن الطائرة ولم أعرف شهاداته ولا قدراته ولا خبراته، وأستسلم وأطمئن وأركب وأنام وأستغرق في النوم 15 ساعة. لماذا؟

لأن عندي اطمئناناً أنه لن يصل لهذه المكانة وهذا العمل إلا من حصل على كذا وعمل كذا وفعل كذا.

أنا أستسلم للطبيب حينما يصف لي الدواء يقول هذا مرة وهذا مرتين وهذا قبل الأكل وهذا كل ست ساعات إلى آخره ولا أسأله لماذا ولماذا ، لأني أعلم أنه ذو علم وخبرة.

وهكذا أيها الإخوة في كل المجالات: أنا أستسلم مقلداً احتراماً للتخصص.

عندما يشرع رب العالمين لي أمراً بحلال أو حرام أنا أخضع لله لعلمي ويقيني أن الله لا يريد بعباده إلا الخير، والمنفعة.

والله سبحانه وتعالى يقضي بالحق والله سبحانه وتعالى لا يشرع إلا الخير ولا يحرم إلا الخبيث إلى آخر هذه القواعد.

****

المبحث الثاني

المعنى الشامل للعبادة

العبادة في الإسلام

أولًا: عبادة الله وحده لا شريك له هي الغاية من خلق الجن والإنس، قال تعالى: **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** (الذاريات: 56).

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال:(كنت رديف النبي - صلى الله عليه وسلم - على حمار، فقال لي: (يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟)

فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)

فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشّر الناس؟ قال: (لا تبشروهم فيتّكلوا) متفق عليه.

والعبادة في عرف كثير من الناس هي الصلاة والصيام وتلاوة القرآن فقط ، لكن هذا تضييق لمفهوم العبادة.

ولذلك أعجبني تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما قال:

"العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة".

شرح التعريف:

(اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه) فهي تجمع كل قول وكل فعل يحبه الله ويرضاه.

(من الأقوال) الأقوال تشمل العبادات القولية: القرآن، الذكر، النصيحة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الكلمة الطيبة.

(والأفعال) مثل: الصلاة والصدقة ، والحج، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج، كل هذه أفعال طيبة.

(الظاهرة) هي الواضحة للناس.

(والباطنة) هي العبادات القلبية: حب لله، الرجاء والخوف من الله، الرضا عن الله وعن أقدار الله وهكذا.

إذن فكل عمل تُرضي به وكل قول تُرضي به الله فهو عبادة.

العبادة تسع الحياة كلها :

فالعبادة ليست قاصرة على الشعائر التعبدية ولكنها أشمل.

فالشعائر (الصلاة ـ الصوم ـ الزكاة ـ الحج ....إلخ) جزء من العبادة وليست كل العبادة ، فهي تشمل ما زاد على الفرائض من ألوان التعبد التطوعي من ذكر وتلاوة ودعاء واستغفار، وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميد.

وهى تشمل حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد ، كبرّ الوالدين وصلة الأرحام ، والإحسان لليتيم والمسكين وابن السبيل ، والرحمة بالضعفاء والرفق بالحيوان.

وهى تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها ، من صدق الحديث وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

كما تشمل ما نسميه "بالأخلاق الربانية " من حب الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه ، والتوكل عليه والرجاء لرحمته .

كما أن العبادة تسع الحياة كلها وتنتظم أمورها قاطبة : من أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة ، إلى بناء الدولة وسياسة الحكم وسياسة المال ، وشئون المعاملات والعقوبات ، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب.

أثر النية في الأعمال:

كثير من الأعمال يقوم بها أحدنا بتلقائية لأنها من الروتين الذي يفعله دائما، لكن لو جددت نيتي وأنا ذاهب إلى عملي، أو الطالب جدد نيته وهو ذاهب للدراسة؛ فهو بذلك في عبادة لله سبحانه وتعالى.

ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث" وذكر "علم ينتفع به" سواء علم شرعي، أو علم دنيوي، طالما ينتفع به، فهذا في سبيل الله.

أيضًا خروجك للعمل وتعبك وكدّك في سبيل أن تحصل لقمة العيش الحلال الطيب تنفق بها على أولادك، أنت في عبادة.

لما رأى الصحابة شابًا قويًا يمر بهم قالوا: "لو كان هذا في سبيل الله"، هم يقصدون في سبيل الله يعني ينضم للجيش المقاتل وهذه العضلات المفتولة والبنيان القوي يكون قوة للمسلمين. فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوسع مفهوم "في سبيل الله" وأنه ليس مقصورًا على القتال، قال: "إن كان خرج على أولاد له صغار ينفق عليهم فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج ليعف نفسه فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومفاخرة (يعني يتباهى بعضلاته وبنيانه وقوته) فهو في سبيل الشيطان".

عبادات الزوجين:

الرجل يجب عليه السعي والعمل لإعفاف نفسه وأهله والإنفاق عليهم مثلًا:

- أنت تذهب لشراء المواد الغذائية لأولادك ، وحينما تطعم أولادك، أو تشتري لهم الملابس احتسب النفقة عبادة لله.
- ولو كان ابنك مرض تذهب به إلى الطبيب وتشتري له الدواء، أنت في عبادة.

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم قال: "دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك".

لأنك أنت المسؤول، من سينفق عليهم غيرك إن ضيعتهم؛ فأنت مسؤول في المقام الأول عن أولادك.

هل معنى ذلك أن النفقة على بيتي أعلى أجرًا من النفقة على المسجد؟

أي نعم.

النفقة على بيتي أفضل من إطعام يتيم أو مسكين؟

أي نعم.

لأن إطعام أولادك فرض، وإنفاقك على أولادك فيما يلزمهم فرض.

أما إنفاقك أو إطعامك للمسكين فهو سنة، والواجب مقدم على الفرض.

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول" وذلك بأن يمتنع عن بذل ما يحتاجه أولاده بما معه .

ويقول أيضًا صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: "فإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا كان لك فيها أجر، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك".

اللقمة تضعها في فيّ (فم) امرأتك، أي سواء كنت تشتريها وهي تطبخ وتضع هذه اللقمة بنفسها في فمها، أو من باب حسن العشرة أنت تطعمها بيدك، لك في ذلك أجر.

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يتكلم على تعداد أبواب الخير، قال لأصحابه: "وفي بضع أحدكم صدقة" يقصد الجماع فيه صدقة.

فعجب الصحابة لأن هذه مسألة غريزة فطرية، قالوا: "يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر؟" قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟"

وهناك عبادات لا تقوم بها إلا النساء مثل: الحمل والرضاع، وحسن التبعل والعشرة لزوجها، وخدمتها لأولادها، والسهر على راحتهم وتربيتهم وهكذا.

والزوجة عندما تهتم بشؤون بيتها ، وتعد الطعام لأسرتها نرى البعض يدعي أن هذا ينافي أنوثتها ، وأن هذا طغيان من الرجل، وأنه أثر من آثار المجتمع الذكوري.

المرأة الصالحة حينما تحسن التبعل لزوجها هي تعلم بذلك أنها تطيع الله عز وجل، **والرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صلت المرأة خمسها**

(الخمس فروض) وصامت شهرها (شهر رمضان) وأحصنت فرجها وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئتِ".

وعن جابر بن عبد الله ، قال: " بينا نحن قعود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة ، فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، يا رسول الله : رب الرجال ورب النساء الله عز وجل ، وآدم أبو الرجال وأبو النساء ، وحواء أم الرجال وأم النساء ، وبعثك عز وجل إلى الرجال والنساء ، فالرجال إذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وإذا خرجوا فلهم من الأجر ما قد علمت، ونحن نخدمهم ونحبس أنفسنا عليهم ، فماذا لنا من الأجر؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقرئي النساء مني السلام وقولي لهن: إن طاعة الزوج تعدل ما هنالك ، وقليل منكن تفعله) .

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها، أنها أتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بين أصحابه فقالت :بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك ـ واعلم نفس لك الفداء ـ أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهى على مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات ومقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضي شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرض، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال " : هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه "؟

فالتفت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها ثم قال " :انصرفي أيتها المرأة، واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله "، فأدبرت المرأة وهى

تهلل وتكبر استبشاراً.) رواه البيهقي وضعفه الألباني لكن يشهد له الحديث قبله وسنده حسن.

إذا فالمرأة إذا قامت بذلك فإنها تقوم بعبادة لا يقوم بها غيرها، كإرضاع أطفالها، أو إطعامهم، أو تنظيفهم، أو تغيير ثيابهم، أو إعداد الطعام لهم، هذه عبادة لا يقوم بها هؤلاء الذين يريدون أن تكون المرأة حرة مطلّقة كما زعموا، وأن تكون متمردة وناشز، الإسلام يجعل كل واحد له طاقات وله خصائص توظف في إطارها الصحيح.

جدد النية دائمًا :

حينما تقوم بالعمل حتى يكون العمل عبادة خالصة لله عز وجل، جدد النية دائمًا. **"إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى** "ومن الممكن أن العادات التي تقوم بها يكون فيها أجر من الله سبحانه وتعالى.

"ولكل امرئ ما نوى" فأنت حينما تقوم بأي عمل من العادات التي يقوم بها الإنسان بحكم الفطرة، الإسلام يحولها لك بالنية إلى عبادة.

وقال أنس ويذكر هذا أيضًا عن معاذ: "إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي" فكما أنه يقوم طاعة لله فإنه ينام طاعة لله سبحانه وتعالى.

****

المبحث الثالث

أعظم العبادات أجرا عند الله تعالى

سؤال يتكرر كثيرا : ما أعظم العبادات أجرا عند الله تعالى ؟ أو ما أفضل الأعمال الصالحة التي تقربني من الله عز وجل؟

وفائدة هذا السؤال عندما يكون أمام المسلم خيارات متعددة في العمل الصالح، ومع هذا العمر القصير مهما طال مقامنا في الدنيا نحتاج إلى أن نبذل جهدنا لأفضل صور العمل الصالح قربة لله عز وجل.

العلماء لهم ثلاثة أقوال في هذه المسألة:

- **القول الأول: أفضل العبادات هي التي فيها مشقة.**
- **القول الثاني: أفضل العبادات ما كان نفعها متعديًا إلى غيرها.**
- **القول الثالث: أفضل العبادات هي عبادة كل وقت في وقته.**

تعالوا بنا نقرأ كلام العلماء ونستمع لأدلتهم .

القول الأول: أفضل الأعمال ما كان فيه مشقة.

أي أن ثواب العمل الصالح يزداد كلما زادت مشقته وصعوبته على المسلم.

مثال ذلك:

- الصيام في الحر.
- الوضوء في الشتاء بالماء البارد.
- صلاة الفجر؛ لأنك تغالب النوم، وتستيقظ وتأتي المسجد، وتترك لذة النوم والفراش وتأتي إلى الصلاة.
- أيضًا قالوا: المسجد البعيد؛ لأنك تبذل الجهد في أن تصل إلى المسجد وتصلي الجماعة.

واستدلوا بعدة أدلة، منها:

1- قول الله تعالى: **{ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع**

أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون} [التوبة: 120، 121].

2- **قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: «أجرك على قدر نصبك» رواه البخاري ومسلم.**

3- **عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لهم إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ، قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، فقال : (يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم) رواه مسلم**

والعلة في ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في البقاء في ديارهم البعيدة ، ليست إلحاق المشقة بهم ، ولا قصد المشقة ليثابوا عليها ، وإنما العلة هي كراهة أن تصير المدينة خالية إذا تحول الناس جميعا إلى قرب المسجد ، وقد جاء النص على ذلك:

فيما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة ، وقال : (يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا).

وقوله (تعرى المدينة) أي تصير خالية.

شروط قبول العمل الذي به مشقة:

قال العلماء: إن هناك شروطًا لهذه العبادة حتى نقول إنها أعظم في الأجر، وهي:

1. **أن يقصد مرضاة الله في عبادته:** فلا يُشَقّ على نفسه ابتغاء ثناء الناس، أو حتى يقال "فلان فعل وفعل"، بل يقصد بعبادته وجه الله.
2. **أن تكون العبادة مشروعة:** فلا يخترع عبادات من عند نفسه، ويقول: "أنا أقمت الليل على قدم واحدة"، أو "امتنعت عن أكل اللحوم زهدًا"، أو "ألبس ثيابًا رثة زهداً"
3. **ألا تكون مشقة متكلفة ولا مصطنعة:** والمقصود بالمشقة هنا: المشقة التي لا تنفك عن العبادة، وهي التي رتب عليها الشرع الأجر العظيم والثواب الجزيل، عن غيرها من العبادات الأخرى التي لا يوجد فيها مشقة؛ إذ المشقة ليست مقصودة شرعا لذاتها، وإنما إذا جاءت تبعا

لمطلب شرعي أجر الإنسان عليها، وإذا قصد الإنسان إدخال المشقة على نفسه فهذا أمر نهى عنه الشرع الحنيف، ووصف صاحبه بالمتنطع.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا. أخرجه مسلم

المتنطعون أي: المتعمقون المتشددون الغالون المجاوزون الحدود في أفعالهم وأقوالهم.

ولما رأى النبي ﷺ رجلاً قائمًا في الشمس وحوله أصحابه، قال: "من هذا؟ "قالوا: هذا أبو إسرائيل، نذر أن يصوم ولا يفطر، وأن يقف ولا يقعد، ولا يستظل.
فقال النبي ﷺ:"مروه فليجلس، وليستظل، وليتم صومه إن شاء، أو ليفطر ".رواه البخاري

ودخل النبي ﷺ المسجد، فرأى حبلاً ممدودًا بين ساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلّقت به. فقال النبي ﷺ: لا، حُلّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد." رواه البخاري ومسلم

وعن عقبة بن عامر أنه قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله حافية، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لغني عن نذرها، مرها فلتركب». رواه مسلم

كذلك في الشتاء، والماء شديد البرودة، هل لو توضأت بالماء الدافئ يكون في ذلك نقص؟ الجواب: لا.
لكن إن لم يجد إلا الماء البارد، فتوضأ به، فله أجر المشقة، أما أن يتكلف ذلك عمدًا، فهذا غير مطلوب.

أيضًا: لو كان بينك وبين المسجد القريب 1 أو 2 كم، فلا تتكلف الذهاب لمسجد على بُعد 10 كم كل مرة، فربما تتكاسل لاحقًا وتترك الجماعة.
الأفضل أن تصلي في المسجد القريب وتُداوم، إلا إن وجدت درس علم في المسجد البعيد، فلا بأس.

ومن ذلك:جاء ثلاثة إلى بيت النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فكأنهم تقالوها.
فقال أحدهم: "أما أنا فأصوم ولا أفطر."
وقال الآخر: "وأنا أقوم ولا أنام."

وقال الثالث: "وأنا لا أتزوج النساء."
فلما سمع النبي ﷺ ذلك، قال:"أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني."رواه البخاري.

فدل هذا على أن العبادة لا تُفضل بالمشقة وحدها، وإنما باتباع هدي النبي ﷺ وتحقيق التوازن بين العبادة ومتطلبات النفس.

رأي ابن تيمية:

وقال ابن تيمية :(قول بعض الناس: الثواب على قدر المشقة ليس بمستقيم على الإطلاق، كما قد يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات والعبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل الله من الطيبات، ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: **(هلك المتنطعون)** ، **وقال: (لو مد لي الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم)**، مثل الجوع أو العطش المفرط الذي يضر العقل والجسم ويمنع أداء واجبات أو مستحبات أنفع منه، وكذلك الاحتفاء والتعري والمشي الذي يضر الإنسان بلا فائدة، مثل حديث أبي إسرائيل الذي نذر أن يصوم وأن يقوم قائما ولا يجلس ولا يستظل ولا يتكلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه).** رواه البخاري .وهذا باب واسع.

وأما الأجر على قدر الطاعة فقد تكون الطاعة لله ورسوله في عمل ميسر، كما يسر الله على أهل الإسلام "الكلمتين" وهما أفضل الأعمال؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)أخرجاه في الصحيحين.**

ولو قيل: الأجر على قدر منفعة العمل وفائدته، لكان صحيحا اتصاف "الأول" باعتبار تعلقه بالأمر. و"الثاني" باعتبار صفته في نفسه...

فأما كونه مشقا فليس هو سببا لفضل العمل ورجحانه، ولكن قد يكون العمل الفاضل مشقا ففضله لمعنى غير مشقته، والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره، فيزداد الثواب بالمشقة، كما أن من كان بعده عن البيت في الحج والعمرة أكثر: يكون أجره أعظم من القريب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة في العمرة: **(أجرك على قدر نصبك)** ؛ لأن الأجر على قدر العمل في بعد المسافة، وبالبعد يكثر النصب فيكثر الأجر، وكذلك الجهاد،

وقوله صلى الله عليه وسلم: **(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)**

فكثيرا ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب لا لأن التعب والمشقة مقصود من العمل، ولكن لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب، هذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار والأغلال ولم يجعل علينا فيه حرج، ولا أريد بنا فيه العسر، وأما في شرع من قبلنا فقد تكون المشقة مطلوبة منهم، وكثير من العباد يرى جنس المشقة والألم والتعب مطلوبا مقربا إلى الله؛ لما فيه من نفرة النفس عن اللذات والركون إلى الدنيا وانقطاع القلب عن علاقة الجسد، وهذا من جنس زهد الصابئة والهند وغيرهم؛ ولهذا تجد هؤلاء مع من شابههم من الرهبان يعالجون الأعمال الشاقة الشديدة المتعبة من أنواع العبادات والزهادات مع أنه لا فائدة فيها ولا ثمرة لها ولا منفعة، إلا أن يكون شيئا يسيرا لا يقاوم العذاب الأليم الذي يجدونه)

وقال أيضا: (مما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق، حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل، كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء، لا، ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله، فأي العملين كان أحسن، وصاحبه أطوع وأتبع، كان أفضل؛ فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل) مجموع الفتاوى(622/10)

الرأي الثاني: أن أفضل الأعمال ما كان نفعه متعديًا إلى غيره.

والمقصود بذلك: العمل الصالح الذي لا يقتصر نفعه على صاحبه فقط، بل يمتد أثره إلى الآخرين، فيكون أعظم أجرًا عند الله من العمل الذي لا ينفع إلا فاعله وحده.

فأنا إذا صليت، أو إذا صمت، فهذا بيني وبين الله، أجري عند الله، والعبادة هنا بيني وبين ربي، لكن إذا كان النفع متعديًا إلى غيري، فهذه العبادة نفع الله بها خمسة أو عشرة أو أكثر، فهذا أعظم في الأجر.

ولهذا أدلة كثيرة جدًا، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم:

1-(خيركم من تعلم القرآن وعلّمه) رواه البخاري

هنا: تعلم القرآن لنفسه، وعلّمه لغيره.

2-وقال أيضًا :إن الله وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير (.رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

فكل من يعلم الناس خيرًا، أوعلمًا نافعًا، ينال صلوات الله وملائكته، واستغفار الكائنات، حتى الحيتان في البحر، والنمل في جحرها ـــ هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3- **ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :(من مشى في حاجة أخيه، كان خيرًا له من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرًا.)** رواه الطبراني في الأوسط، وصححه الألباني

الاعتكاف في مسجد الرسول ﷺ، حيث الركعة بألف ركعة فيما سواه، إقامة 24 ساعة لمدة شهر يعدل ذلك قضاء حاجة واحدة لأخيك المسلم، تمشي معه، لا لأجر دنيوي، ولا لمجاملة، ولا لأي شيء، إلا لوجه الله عز وجل، تُكتب لك في كتاب الحسنات كأنك اعتكفت في مسجد رسول الله ﷺ شهرًا كاملًا.

4- وكان النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأفطر بعض الصحابة وصام البعض ماذا حدث؟
الصائمون أصابهم جهد كبير: سفر، جوع، عطش، مشقة وحر، فلما أرادوا النزول في مكان، من الذي هيأ مكان الإقامة؟
المفطرون؛ قاموا بإعداد الخيام، والطعام، وتهيئة الماء.

عند المغرب، من تتوقع أنه أعظم أجرًا؟ الذي جاهد اليوم بصومه وحرّه وعطشه؟ أم الذي أفطر، ونصب الخيام، وطبخ، وهيأ الماء والطعام؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله.) رواه مسلم

ذهب المفطرون بالأجر كله !أنا صمت لنفسي، وغيري لم ينتفع بصيامي، لكن الذي أفطر وأعان غيره، وهيأ المكان، وأحضر الطعام والماء للصائمين، هذا هو الذي أصاب الأجر.

وهذا هو فقه العمل الصالح:كيف تقوم بالعمل فيكون أجره أضعافًا مضاعفة مما تتخيل.

تعلمت خيرًا؟ هذا الخير إن كان علمًا شرعيًا، أو سنة نبوية، أو من أبواب الخير والصدقة والمساعدة...

أي باب من أبواب الخير، فعلمته لغيرك، ولم تبخل، لله عز وجل، فأنت بذلك تترك أثرًا نافعًا لغيرك.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له."رواه مسلم

فلماذا ذُكرت "الصدقة الجارية"؟ لأن أجرها يدوم بدوام نفعها.

فأنا إذا تصدقت بمال لإطعام مسكين، هذه صدقة: يأكل ويسد جوعه لمرة. لكن لو حفرت بئرًا، أو أقمت وقفًا للفقراء والمساكين، أو أي صدقة جارية، يدوم نفعها، ويكثر نفع الناس منها، فالأجر هنا أعظم.

نحن نتكلم عن التفاضل في الأعمال، لكن هذا لا ينقص من أجر من قام بعمل صالح، أيًّا كان.
فكلما كان العمل الصالح نفعه متعديًا إلى الغير، كان الأجر أعظم عند الله سبحانه وتعالى.

القول الثالث:أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت:

قال ابن القيم في مدارج السالكين: (باختصار يسير)

- فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد: من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حالة الأمن.
- والأفضل في وقت حضور الضيف مثلا: القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.
- والأفضل في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن، والدعاء والذكر والاستغفار.
- والأفضل في وقت استرشاد الطالب، وتعليم الجاهل: الإقبال على تعليمه والاشتغال به.
- والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده، والاشتغال بإجابة المؤذن.
- والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى الجامع، وإن بعد كان أفضل.

- والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن، أو المال: الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.
- والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.
- والأفضل في وقت الوقوف بعرفة: الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.
- والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.
- والأفضل في العشر الأخير من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن، عند كثير من العلماء.
- والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته، وحضور جنازته وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه.

وبهذا، يوضح ابن القيم أن أفضل العبادة هي التي توافق مقتضى الوقت، أي أن العبادة المثلى تتغير بتغير الأحوال والظروف، فليس هناك عبادة واحدة هي الأفضل على الإطلاق، بل الأفضل هو ما يرضي الله في كل وقت بحسب حال العبد والناس من حوله، وهو قول فيه فقه وفهم للإمام ابن القيم رحمه الله.

يقول : وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق ، والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد ، فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته ، فهو يعبد الله على وجه واحد ، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره ، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت ، فمدار تعبده عليها ، فهو لا يزال متنقلا في منازل العبودية ، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها ، واشتغل بها

حتى تلوح له منزلة أخرى ، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره ، فإن رأيت العلماء رأيته معهم ، وإن رأيت العباد رأيته معهم ، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم ، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم ، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم ، وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم ، فهذا هو العبد المطلق ، الذي لم تملكه الرسوم ، ولم تقيده القيود ، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات ، بل هو على مراد ربه ، ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه ، فهذا هو المتحقق ب " إياك نعبد وإياك نستعين "حقا ، القائم بهما صدقا ، ملبسه ما تهيأ ، ومأكله ما تيسر ، واشتغاله بما أمر الله به في كل وقت بوقته ، ومجلسه حيث انتهى به المكان ووجده خاليا ، لا تملكه إشارة ، ولا يتعبده قيد ، ولا يستولي عليه رسم ، حر مجرد ، دائر مع الأمر حيث دار ، يدين بدين الآمر أنى توجهت ركائبه ، ويدور معه حيث استقلت مضاربه ، يأنس به كل محق ، ويستوحش منه كل مبطل ، كالغيث حيث وقع نفع ، وكالنخلة لا يسقط ورقها وكلها منفعة حتى شوكها ، وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله ، والغضب إذا انتهكت محارم الله ، فهو لله وبالله ومع الله ، قد صحب الله بلا خلق ، وصحب الناس بلا نفس ، بل إذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين ، وتخلى عنهم ، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها ، فواها له ! ما أغربه بين الناس ! وما أشد وحشته منهم ! وما أعظم أنسه بالله وفرحه به ، وطمأنينته وسكونه إليه ! ! والله المستعان ، وعليه التكلان.

إذن خلاصة القول:

إذا جاءت العبادة موافقة لما أمر الله تعالى به، وفي وقتها، كان ذلك أنفع للعبد، ولا مانع من أن يقصد العبد وجه الله في عبادة تخصه، لتحسين العلاقة بينه وبين الله، وتزكية نفسه وتطهير قلبه، ومع هذا: يحرص على العبادات التي يتعدى نفعها لغيره، فيكون بذلك قد جمع بين هذه المحاسن كلها.

نسأل الله الكريم جل وعلا أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه،

وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه.

اللهم آمين.

المبحث الرابع

شروط قبول العبادة

عقيدة أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فعلى العبد المؤمن أن يسعى بكل طاقته وقدر استطاعته إلى زيادة الإيمان في قلبه بفعل المأمورات وترك المنهيات، ويشترط في العبادات حتى تقبل عند الله عز وجل ويؤجر عليها العبد أن يتوفر فيها شرطان:

الشرط الأول : الإخلاص لله عز وجل.

الشرط الثاني: المتابعة ، بمعنى أن العمل يكون على وفق ما شرع الله.

الشرط الأول: ألا يعبد إلا الله :

وهو الإخلاص الذي أمر الله به، ومعناه أن يقصد العبد بعبادته وجه الله سبحانه، **قال تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة }(البينة:5).**

وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا ".

وهذا الشرط متعلق بالإرادة، والقصد، والنية والمقصود به، إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة.

والنية تقع في كلام العلماء بمعنيين:

الأول: تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر عن صلاة العصر مثلاً.

الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل هل هو لله وحده لا شريك له، أم لله وغيره، وهذه النية التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه.

والأدلة على هذا الأصل كثيرة :

1- قوله تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ *أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ" (الزمر ، آية : 2 - 3)، أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له.

2- قوله تعالى:" قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" (الأعراف ، آية : 29).

3- قوله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

4-في حديث أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟

قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جرئُ فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار،

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت؟

قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار،

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: جواد، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقى في النار.رواه مسلم

5-وذكر ابن أبي الدنيا عن معقل بن عبيد الله الجزري قال: كانت العلماء إذا التقوا تواصوا بهذه الكلمات، وإذا غابوا كتب بها بعضهم إلى بعض

أنه: مَن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومَن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومَن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه.

ومَن علم الله صدق باطنه أعانه على ظاهره، وبلغه المراد؛ فإنما يتعثر مَن لم يخلص. والصادق الموفق يزين سريرته للحق كما يزين علانيته للخلق.

كتب الإمام الماوردي رحمه الله تعالى:

جاء في ترجمة الإمام الماوردي رحمه الله تعالى كما ذكر ذلك ابن خلكان في كتابه: وفيات الأعيان قال: إن الماوردي لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وإنما جمعها كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه: إن الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإن عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها فاعمد إلى الكتب وألقها في نهر دجلة ليلا، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة،

قال ذلك الشخص: فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي؛ فعلمت أنها علامة القبول فأظهرت كتبه بعده.

اللهم اجعلني مع صاحب النقب[15]:

وقال ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار :حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا، وكان في ذلك الحصن نقب- أى ثقب في الحائط- فندب الناس إلى دخوله، فما دخله أحد فجاء رجل من عرض الجيش- أى من عامته غير معروف- فدخله ففتح الله عليهم الحصن فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل إلى الآذن فقال: استأذن لي على الأمير، فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه، فأتى الآذن إلى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له،

---

(15) النقب: هو خرق أو فتحة في جدار وكان هو مجرى خروج فضلاتهم من بول وبراز من الحصن.

فقال الرجل لمسلمة: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا: ألا تسودوا اسمه أي لا تكتبوه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو؟ أى من أى قبيلة هو قال مسلمة: فذاك له. قال الرجل أنا هو.

فكان مسلمة بعد هذه الحادثة لا يصلى صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

الشرط الثاني في قبول العبادة، الموافقة للشرع:

بأن يكون العمل على وفق ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فكل عمل على خلاف ذلك فإن الله لا يقبله من عامله، ولو أراد به التقرب إلى الله، قال تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً}** [الغاشية: 2 – 4].

فهؤلاء عملوا أعمالا لكنها على خلاف شرع الله، قال تعالى:**{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [الكهف: 103]**

وقال تعالى:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23]

فلا بد أن يكون العمل على وفق ما دل الكتاب والسنة عليه، وقد أنكر الله تعالى على من اهتدى بغير كتابه وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- فقال تعالى: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [الشورى: 21].

وله أدلة كثيرة منها:

1- قال تعالى: { أَم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله }(الشورى: 21)

2- وقال تعالى: { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا }(الكهف:110)

3- **قوله تعالى حكاية عن سليمان : ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ [النمل الآية: 19]** فهذا العمل الذي تمناه أحد الأنبياء، قيده بأن يرضى الله عنه؛ أي أن يقبله.

4-قال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه.

5-قوله صلى الله عليه وسلم :"تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله" رواه مالك في الموطأ.

6- قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد" رواه مسلم.

قال ابن رجب رحمه الله : هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها ، كما أن حديث " إنما الأعمال بالنيات " ميزان للأعمال في باطنها ، فكما أن كل عمل لا يُراد به وجه الله تعالى ، فليس لعامله فيه ثواب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله ، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله ، فليس من الدين في شيء . [16]

7- قال صلى الله عليه وسلم: "لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك" سنن ابن ماجة.

8- قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: "لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" (تبارك ، آية : 2)، فقال: أخلصه وأصوبه، قالوا: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: والخالص إذا كان لله عز وجل والصواب إذا كان على السنة.

حقيقة العبادة:

إن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة ومهمته في الأرض، دائرة رحبة واسعة: أنها تشمل شئون الإنسان كلها، وتستوعب حياته جميعاً.

---

[16] جامع العلوم والحكم ص 176

وتصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان:

-عبادات يصلح بها دينه.

- وعادات يحتاجون إليها في دنياهم.

فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله، أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع.

وأما العادات: فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى وذلك لأن الأمر والنهي هنا شرع الله، والعبادة لا بد أن يكون مأموراً بها.

قال النووي في شرحه لحديث: **"وفي بضع أحكم صدقة"** .وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنية الصادقة

ومن ذلك يتضح: أن الدين كله داخل في العبادة والدين منهج الله، جاء ليسع الحياة كلها، وينظم جميع أمورها من أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة إلى بناء الدولة، وسياسة المال، وشئون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب.

إن الشعائر التعبدية من صلاة وصوم، وزكاة لها أهميتها ومكانتها، ولكنها ليست العبادة كلها، بل هي جزء من العبادة التي يريدها الله تعالى.

إن مقتضى العبادة المطالب بها الإنسان أن يجعل المسلم أقواله وأفعاله وتصرفاته وسلوكه وعلاقاته مع الناس وفق المناهج والأوضاع التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، يفعل ذلك طاعة لله واستسلاماً لأمره.

والدليل على ذلك قوله تعالى:" قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (الأنعام ، آية :162، 163).

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يحتسبها كانت له صدقة .رواه البخاري

وقوله صلى الله عليه وسلم: دخلت امرأة النار في هرة، ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من حشاش الأرض حتى ماتت.رواه البخاري

وقال أبو موسى لمعاذ: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. رواه البخاري

وفي كلام معاذ رضي الله عنه دليل أن المباحات يؤجر عليها بالقصد والنية.

أنواع العبادات:

قسم العلماء أنواع العبادات التي لا يجوز أن يقصد بها غير الله إلى:

- **عبادات اعتقادية** :وهذه أساس العبادات كلها وهي أن يعتقد العبد أن الله هو الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وأنه لا معبود بحق غيره.
- **عبادات قلبية** :والعبادات القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها إلا الله وحده، وصرفها لغير الله شرك كثيرة، كالخوف والرجاء، والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والحب والانابة، والتوكل، والخضوع والخشوع، والاستغاثة....الخ
- **قولية** :كالنطق بكلمة التوحيد، إذ لا يكفي اعتقاد معناها بل لابد من النطق بها، وكالاستعاذة بالله، والاستعانة به، والدعاء له، وتسبيحه، وتمجيده، وتلاوة القرآن.
- **بدنية** :كالصلاة والصوم، والحج والذبح والنذر وغير ذلك.
- **مالية** :كالزكاة وأنواع الصدقات والكفارات، والأضحية والنفقة.

أفضل العبادات:

إن أفضل العبادة، العمل على مرضاة الله في كل وقت وبما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد، الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار.

ـ والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً، القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل. والأفضل في أوقات السَّحر.

الاشتغال بالصلاة والقرآن، والدعاء والذكر والاستغفار.

ـ والأفضل في وقت استرشاد الطالب، وتعليم الجاهل :الإقبال على تعليمه والاشتغال به، والأفضل في أوقات الأذان، ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذِّن.

ـ والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجدُّ والنُّصح في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى الجامع، وإن بعد كان أفضل.

ـ والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن، أو المال: الاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أوارِدِك وخلوتك.

ـ الأفضل في وقت قراءة القرآن: جمع القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يُخاطِبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره، أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

ـ والأفضل في وقت الوقوف بعرفة، الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر، دون الصوم، المُضعف عن ذلك.

ـ والأفضل في أيام عشر ذي الحجة، الإكثار من التعبد لا سيَّما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعيَّن.

ـ والأفضل في العشر الأخير من رمضان، لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف، دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.

ـ والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته، عيادته وحضور جنازته وتشييعه.

ـ والأفضل في وقت نزول النوازل، وأذاة الناس لك: أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يُؤذونه.

ـ والأفضل خلطتهم في الخير، فهي خير من اعتزالهم فيه واعتزالهم في الشر، فهو أفضل من خلطتهم فيه، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله، فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم.

فالأفضل في كل وقت وحال، إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه.

آثار العبادة على الخلق

لعبادة الله أعظم الأثر في صلاح الفرد والمجتمع والكون كله، فأما أثر العبادة على الكون وعلى البشرية عامة فهي سبب نظام الكون وصلاحه، وسبيل سعادة الإنسان ورفعته في الدنيا والآخرة.

وكلما كان الناس أقرب إلى العبادة كان الكون أقرب إلى الصلاح، والعكس بالعكس، فإن انهمكوا في المعاصي والسيئات وتركوا الواجبات والطاعات كان ذلك مؤذنا بخراب الكون وزواله، ومن تأمل كيف أن القيامة لا تقوم إلا على شرار الخلق حين لا يقال في الكون كله " الله الله " علم صحة ما ذكرنا.

والعبادة هي الزمام الذي يكبح جماح النفس البشرية أن تنغمس في شهواتها، وهي السبيل الذي يحجز البشرية عن التمرد على شرع الله تعالى، **قال تعالى : { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر }(العنكبوت:45)**

فالعبادة ضمانة أخرى من أن تنحرف البشرية في مهاوي الردى وطرق الضلال.

والعبادة سبب للرخاء الاقتصادي واستنزال رحمات الله وبركاته على البلاد والعباد، قال تعالى: { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض }[الأعراف:96].

هذا فيما يتعلق بآثار العبادة على الكون كله وعلى البشرية جمعاء،

أما آثارها فيما يتعلق بالفرد فيمكن إيجاز ذلك في أمور:

الأمر الأول: طمأنينة القلب وراحته ورضاه:

قال تعالى : { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب }(الرعد:28.(

الأمر الثاني: نور الوجه:

قال تعالى: { سيماهم في وجوههم من أثر السجود }(الفتح:29) وقال عن الكافرين:{ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }[يونس:27]

الأمر الثالث: سعة الرزق والبركة فيه:

ويدل على ذلك قصة أصحاب الجنة الذين بارك الله لهم في جنتهم في حياة والدهم بطاعته ورحمته بالفقراء، حتى إذا مات وورثوا الأرض من بعده عزموا على حرمان الفقراء، فأرسل الله على جنتهم صاعقة فجعلتها كالصريم محترقة سوداء كالليل البهيم، **قال تعالى: { إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون }(القلم:17.(**

والسؤال إذا كان الله غنياً عن خلقه وغنياً عن عبادتهم لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية، فلماذا أمرنا الله أن نعبده؟

لأن العبادة حق الله على خلقه، فليس بمستنكر أن يكون لله حق على الخلق، وإنما المستنكر والمستغرب أن يجحد الخلق حق لله علينا، **"أتدرى ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"** والجفاء والجحود أن يأسر الإنسان إحسان من أحسن إليه من البشر، إن أحسن إليك أحد الناس يأسرك إحسانه وتحبه، فأقول: من الجحود والجفاء أن يأسر إنساناً إحسان من أحسن إليه من البشر، وأن ينسى الإنسان إحسان وإنعام خالق البشر.

والعبادة غذاء لأرواحنا، فبدونها سنموت، بدون العبادة سنموت، كما مات أهل الجسد الذين قتلوا الروح قتلا، ماتوا وهم يتحركون بين الناس، إن

الإنسان جسد وروح، ومستحيل أن يعيش الإنسان حياة طيبة سعيدة بالبدن دون الروح.

وكما نعلم أن الغرب قد أعطى البدن كل ما يشتهيه من طعام وشراب وشهوات ، وبقيت الروح في أعماق البدن، تصرخ تبحث عن دواء وغذاء فوقف الغرب أمام الروح عاجزاً لا يملك شيئاً، إذ لا يعلم دواء الروح وغذاء الروح إلا خالق الروح جلا وعلا : **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} (85) سورة الإسراء .**

فالروح تنادى في أعماق البدن تريد دواءها، ودواءها في منهج خالقها وربها، وإن انتشار عيادات الطب النفسي وحالات الانتحار الجماعي والفردي في الشرق والغرب لمن أعظم الأدلة العملية على ما يعانيه الغرب في الجانب الروحي .

فلا يمكن لطائر جبار أن يحلق في الفضاء بجناح واحد، فالإنسان يعيش بين هذين الجناحين، بين جناح الروح وجناح البدن.

مريض بمرض نفسي نادر!!

حكى الشيخ محمد حسان قال: كنت في مطار شيكاغو فحان موعد صلاة المغرب فأذنت في المطار بصوتي فلفت أنظار الجميع (لحلاوة كلمات الأذان وعذوبة الصوت) وصليت بالشيوخ الذين معي وافتتحت الصلاة بسورة مريم وحين انتهيت التف حولنا الناس يصورون بالكاميرات وجاء شخص ومعه زوجته وابنته يتساءل من أنتم وماذا تفعلون ؟ ثم عقب بأنه سعيد جدا لأنه تنتابه حالات قلق نفسي واضطراب يفكر فيها بالانتحار ، ولا يشعر بالراحة إلا إذا وضع رأسه على التراب كهيئتنا (يقصد السجود) وهو سعيد جدا لأنه كان يظن أنه حالة شاذة في العالم فالآن وجد رفقاء له في المرض فوضحنا له أن هذه صلاتنا وهذا عندنا السجود ...فأراد أن يتعرف على المزيد وسألنا عن مكان نزولنا في أمريكا وجاء بعد عدة أيام إلى المركز الإسلامي وبقي هو وأسرته ثلاثة أيام تقريبا في المركز وبعدها أعلنت هذه الأسرة إسلامها .

فمن عرف الله أحبه وشعر بالسعادة الحقيقية، ولا يشعر المسلم بالأنس والسعادة إلا في رحاب الله وفى ذكر الله وفى الصلوات لله، وفى طاعة الله، وفى السجود بين يدي الله قمة السعادة للمسلم من عرف الله أحبه الله.

قال أحد السلف: مساكين والله أهل الغفلة، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال حب الله والأنس به.

****

المبحث الخامس

الاستعانة بالله (وإياك نستعين)

وإياك نستعين:

الاستعانة: هي طلب العون من الله تعالى في أمور الدنيا والآخرة، والتبرؤ من الحول والقوة والتفويض إليه، كما قال الله تعالى: **(فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)** [هود:123].

وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (وإذا استعنت فاستعن بالله.) رواه الترمذي.

والمعنى: وإذا استعنت أي أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله، فإنه المستعان، وعليه التكلان.

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-: (وأما الاستعانة بالله -عز وجل- دون غيره من الخلق؛ فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله -عز وجل-، فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول: **(لا حول ولا قوة إلا بالله)**؛ فإن المعنى لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات، كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله -عز وجل-، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه..

وفي الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز) (أَخْرَجَهُ مُسْلِم)

يعني: لا تعتمد على الحرص فقط ولكن مع الحرص استعن بالله -سبحانه وتعالى-؛ لأنّه لا غنى لك عن الله، ومهما بذلْت من الأسباب فإنّها لا تنفع إلاّ بإذن الله -تعالى-، فلذلك جمع بين الأمرين: فعل السبب مع الاستعانة بالله -عزّ وجلّ-.

فالله جل جلاله يعلمنا في هذه الآية أن نعبده وحده ونستعين به وحده ،وبذلك فإن المؤمن يتعلم أن يستعين بالحي الذي لا يموت، وبالقوي الذي لا يضعف، وبالقاهر الذي لا يخرج عن أمره أحد، واذا استعنت بالله سبحانه

وتعالى كان الله جل جلاله بجانبك، وهو وحده الذي يستطيع أن يحول ضعفك الي قوة وَذُلك الي عز؛ فالاستعانة بالله علاج لغرور العبد وكبريائه، ويجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم، وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته.

ومعنى **الاستعانة** ملتحق بالعبادة؛ فأنت حينما تستعين بالله في كل أمورك، بطلب العون والمدد والتوفيق من الله جل وعلا، فإنك بذلك تعلن توحيدك لله، وأنك فقير إليه جل وعلا، ومتوكل عليه في جميع أمورك ؛ لأنك خُلقت ضعيفًا، قال تعالى: **(خُلق الإنسان ضعيفًا)** [النساء: 28].

ومعنى ضعيف: يعني أنه لا يقوم بنفسه، يحتاج إلى الهواء ليتنفس، إلى الماء ليشرب، إلى الطعام ليتقوى، يحتاج دائمًا إلى معونة، يحتاج إلى مدد، يحتاج إلى من يساعده.

كثير من الناس يظن أنه طالما أن عنده القدرة على فعل شيء سيفعله وينسى أو يتغافل عن الاستعانة بالله، وأن أي شيء في هذا الكون لن يتم ولن يقع إلا بأمر الله وإرادته، قال جل وعلا: **(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ)** [الإنسان: 30]. وفي الآية الأخرى: **(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ)** [الكهف: 23-24]

"لشيء" هنا نكرة تفيد العموم، أي شيء كبير أو صغير، لا ينبغي أبدًا أن تظن أنك قادر وحدك على إنجازه إلا إذا شاء الله أن ينجز.

فمن الممكن أن يكون عندك القدرة على الفعل، وأدوات الفعل، ثم لا يتم الأمر، لماذا؟ لأن الله لم يشأ.

وديننا يعلمنا الارتباط الدائم بالله: وقول: أنا معتمد على نفسي، معتز بنفسي. أنا مبدع أنا عندي مواهب، كل هذا لا غبار عليه، لكن قل : مستعينًا بالله؛ لأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالله فعال لما يريد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" [صحيح مسلم].

إذا عندك عبادة الجوارح: وهي الأخذ بالأسباب، أما عبادة القلب: فاستعن بالله في كل شيء، في جلب منفعة أو دفع ضرر.

في دفع المرض استعين بالله وآخذ بالأسباب الطبيب والدواء، في الرزق استعين بالله وأسعى. قال تعالى: **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ)** [الملك: 15].

يبقى في أي شيء أنت مستعين بالله سبحانه وتعالى. حتى أن الرسول علمنا: **"ليسأل أحدكم ربه حتى شِسْع نعله"** [صحيح البخاري]

الشسع هو سير النعل، يعني الحذاء انقطع، فهذا شيء حقير؛ الرسول علمنا أن نسأل الله حتى هذا الشيء الذي هو عندنا حقير.

ورد عن عائشة رضي الله عنها: "ليسأل أحدكم ربه حتى الملح" [رواه الطبراني].

والملح من المحقرات، لا شيء، ليس له قيمة، ولكن حتى هذا الشيء اسأل الله عز وجل هذا الشيء ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: **"من لم يسأل الله يغضب عليه"** [سنن الترمذي]، لماذا؟

لأن معناه أنك مستغنٍ عن الله، أو مغتر بنفسك وبقدراتك.

انظر إلى أهل الكتاب، اليهود لما كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ"** [الحشر: 2]. عندهم حصون، عندهم مؤن أو غذاء يكفيهم لشهور، والنبي محاصر لهم.

من الذي يملك القلوب؟ الله عز وجل. **(فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)** [الحشر: 2].

في غزوة بدر، المشركون ثلاثة أضعاف المؤمنين، ورب العالمين يقول: **"إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ"** [الأنفال: 12].

والنبي صلى الله عليه وسلم علمنا الاستعانة بالله مع وجود الأسباب ومع انعدام الأسباب، مع وجود القدرة ومع انعدام القدرة، حتى قالوا: اطلب من الله المستحيل، يعني ما يتصور عقلك أنه لن يتم؛ اطلبه من الله؛ لأن الأمور تجري بمقادير الله سبحانه وتعالى.

فالاستعانة بالله ثمرة من ثمرات العبودية الكاملة لله، وهي أن تعلن ضعفك وفقرك وحاجتك إلى الله سبحانه وتعالى في أمور الدنيا، وفي جلب ما ينفعك ودفع ما يضرك.

أيضًا من الاستعانة بالله أن تستعين بالله في أمور الدين، تطلب العون من الله كما في الدعاء **"اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"** [سنن أبي داود].

وقصة هذا الدعاء أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان جالسا مع النبي، فقال له: "والله إني لأحبك" كلنا نحب النبي صلى الله عليه وسلم، لكن النبي يعلن أنه يحب معاذ، فهذه منقبة عظيمة جدًا لمعاذ.

وبما أنه يحب معاذا، أراد أن يعطيه هدية، قال: **" فلا تدع أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"** [سنن أبي داود].

وهذا من أنفع الدعاء ، لكل من يشكو ثقل العبادة عليه، ثقل الطاعة، ثقل القرآن، ثقل العلم، ثقل صلاة القيام؛ أي عبادة صعبة عليك، استعن بالله بهذا الدعاء.

(اللهم أعني) بأن يلهمك العبادة، وأن يمنحك القدرة على العبادة، وبأن يرزقك البركة في الوقت، وبأن يرزقك الصحبة الصالحة، وبأن تجد العون من زوجتك، وتجد العون من أولادك، وأن تجد عملاً لا يعطلك عن العبادة، أو دراسة لا تعطلك عن العبادة؛ فدائمًا تلتمس العون من الله: **"اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".**

أحد الشباب قال لي: يا شيخ في هذا البلد لا نستطيع صلاة الجمعة، وصلاة الجمعة مستحيلة؟!

قلت له: أكبر دليل على أن كلامك غير صحيح أننا نصلي ثلاث جمعات ولا يكفون. هذا معناه أن كل من يحضر الجمعة ترتبت أموره على حضور الصلاة؛ إذا عليك أن تستعين بالله وتسعى لتهيئة الأمر لتصلي الجمعة؛ لأنها فريضة فرضت في جماعة.

لو في مشكلة في عملك مع العبادة، فأرض الله واسعة!

لماذا هاجر الرسول من مكة للمدينة؟

النبي ترك مكة، أحب البقاع إلى الله، لأنها كانت أرض الشرك في هذا الوقت، وضاق أهلها بدين الإسلام وبالمسلمين، وفعلوا ما فعلوا برسول الله وصحابته، فأي بلد ضاق بك وحيل بينك وبين ممارسة شعائر دينك، فأرض الله واسعة، فما ضاق أمر في مكان إلا واتسع في مكان ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

فدائمًا تطلب العون من الله على عبادتك: على أداء الصلاة، على أداء الزكاة، على العمرة، على الحج، على أكل الحلال...الخ.

ومن العلماء من قال: تستعين بالله على ما لا تستطيع دفعه من المعصية.

لو مفتون بمعصية من المعاصي، استعن بالله عليها، أن تسأل الله العافية، وأن يعينك على ترك هذه المعصية: **"اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن"** [صحيح مسلم]

الناس مع: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين) أصناف أربعة:

ذكر ابن القيّم رحمه الله كلاما طيبا في «مدارج السالكين» في بيان أقسام الناس في العبادة والاستعانة اقتطف منه ما يلي:

الصنف الأول: أهل العبادة والاستعانة صدقا وإخلاصا، يجمعون بينهما اعتقادا وعملا ولا يفرقون، ولا يقصرون في ذكر الله تعالى وشكره وحسن عبادته، ولا يشركون به شيئا، لا في الإيمان به ولا في طاعته والتوكل عليه، الذين هم عابدون لله، ومستعينون به على عبادته والاستقامة على دينه، ابتغاء مرضاته، يؤدون له حقه في ذاته وأسمائه وصفاته بالتوحيد الخالص، وحقه في نعمه وآلائه بالاعتراف والحمد والشكر، وحقه في قضائه وقدره، بالتسليم والرضا والصبر، وحقه في أوامره ونواهيه بالاستجابة سمعا وطاعة.

وهؤلاء هم المؤمنون حقا، لهم البشرى بالرضا والرضوان: **(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)**[فصلت: 30]

اللهم اجعلنا منهم بمنك وكرمك.

الصنف الثاني: أهل عبادة بغير استعانة، وهؤلاء يؤدون فرائض العبادة، ولكنهم يرجون ويطلبون أسباب السعادة والرزق والتوفيق عند غير الله تعالى، وتلك حال المتعلقين بعبودية البشر والسحر والكهانة وغيرها، والكثير من هؤلاء يقع في أمور شركية وهو لا يدري ؛ فالله تعالى هو القادر على إنزال النعم، وإزالة الضر من غير احتياج منه إلى شريك نستعين به أو نعتقد أنه ينفع أو يضر من دون الله.

لكن الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه، فهذه إن كانت على بر وخير فهي جائزة، والمعين مثاب لأنه إحسان، قال -تعالى-: **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ**

وَالتَّقْوَى) [المائدة: 2]، وإن كانت على إثم فهي حرام، قال -تعالى-: (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة: 2]

الصنف الثالث يزعمون التوكل على الله والاستعانة به، لكن على حظوظهم الدنيوية وشهواتهم بلا عبادة، وهم في الحقيقة إنما يعبدون دنياهم، ولا يلجئون إلى الله إلا طلبا لقضاء حوائج أهوائهم، وقد يؤتيهم الله من متاع الدنيا، ولكنهم ليس لهم في الآخرة من نصيب: (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) [الشورى: 20].

الصنف الرابع: صنف الجاحدين المعرضين المستكبرين على الله تعالى، الذين لا هم له عابدون، ولا هم به يستعينون؛ لأنهم لا يؤمنون به أصلا، يأكلون رزقه ويجحدون فضله ويعبدون غيره، أولئك في الضلال والخسران المبين: **(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)**[غافر: 60].

الخلاصة:

- **الاستعانة** طلب العون والمدد والتوفيق من الله في أمور دينك ودنياك.
- في أمور دينك: أن يعينك سبحانه وتعالى على العبادات اللي فرضها عليك، وعلى أكل الحلال، وعلى أداء كل أمرك به .
- الاستعانة بالله في أمور الدنيا في جلب ما ينفع ودفع ما يضر.
- الاستعانة بالله فيها دلالة على التوحيد لله، وإعلان افتقارك إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه الغني جل جلاله.
- الاستعانة بالله أيضا فيها دلالة على التوكل على الله سبحانه وتعالى.
- نستعين بالله في كل أمورنا؛ لا ننقل قدمًا على قدم إلا بعد استعانتنا بالله.
- المؤمن إذا خرج من بيته يقول: **"بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله"** [سنن الترمذي].
- إذا احترت في أمر؟ عليك بالاستخارة. كما بالحديث عن جابر: كان يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها.
- ابذل ما في وسعك، ونيتك إرضاء الله، لا إرضاء هواك أو جلب مصلحتك أو دفع الأمر المتوهم بالنسبة لك مع معصية الله عز وجل.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا دائمًا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يعيننا على أمور ديننا.

الفصل السابع

تفسير قول الحق تبارك وتعالى:

"اهدنا الصراط المستقيم"

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول/ أنواع الهداية .

المبحث الثاني/ ما السر في طلب الهداية في كل صلاة .

المبحث الثالث / فتن الشهوات والشبهات.

المبحث الرابع/ أقسام الناس الثلاثة على الصراط .

المبحث الخامس / الضالون عن الصراط.

المبحث السادس/ الصراط المستقيم ومنهج السلف.

المبحث السابع/ الصراط المستقيم والبدعة في الدين.

المبحث الثامن/ الهدى والضلال إجبار أم اختيار؟

المبحث الأول

أنواع الهداية في قوله تعالى :

"اهدنا الصراط المستقيم"

"اهدنا الصراط المستقيم" اهدنا: من الهداية، والهداية هي الدليل والإرشاد، العرب تسمي الدليل على الطريق **"هادياً"**، أي الذي يدلهم على الطريق في الصحراء وطريق السفر. وكان أبو بكر الصديق وهو تاجر معروف لما كان مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الهجرة يسأله الناس: من الذي معك؟ فيقول: **"هاد يهديني الطريق"**، وهو يقصد الطريق إلى الله عز وجل، وهم يفهمون أنه يهديه الطريق في الصحراء.

فالهداية هي الدليل والإرشاد لفعل الشيء. فنحن نقول: **"اهدنا الصراط المستقيم"** أي: يا رب دلنا وأرشدنا وبين لنا الطريق الذي تحبه وترضاه وهو الصراط المستقيم.

أنواع الهداية:

الهداية في القرآن تأتي على معنيين:

- **هداية البيان، وثمرتها:العلم بالحقّ، والبصيرة في الدين.**
- **هداية التوفيق والإلهام، وثمرتها: إرادة الحقّ والعمل به.**

أولا/ هداية البيان :

ومعناها: أن الله جل وعلا تكفل بأن يبين لعباده مراده منهم، ماذا يريد الله من عباده؟ من خلال الرسل. **"وإن من أمة إلا خلا فيها نذير"** (فاطر 24). طبعاً نحن لا نعلم من الأنبياء إلا قليل، والذين ذكروا في القرآن 25 فقط. لكن قال تعالى: **(منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)** (النساء 164). [17]

---

[17] وقد ورد حديث عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: مئة ألف وعشرون ألفا، قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاث مئة وثلاثة عشر جما غفيرا، رواه ابن حبان وسنده ضعيف جدا، وعن أبي أُمَامة قال: قلت: يا نبي الله، كم الأنبياء؟ قال :مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غَفِيراً .رواه ابن حاتم في " تفسيره" وسند ضعيف أيضا.

إذاً فهناك من الأنبياء والرسل ما لم نحط به علماً، لكننا على سبيل العموم نفهم أنه ما من أمة خلت أي مضت في القرون والأزمنة الماضية إلا وكان فيها نبي مرسل من الله عز وجل.

طيب لو أن أمة لم يأتها نذير، أو في زماننا هذا رجل لم تبلغه دعوة الإسلام ولم يسمع ولم يعرف أي شيء عن الإسلام؟

يرفع عنه الحساب، لعموم قوله تعالى: **"وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً"** (الإسراء 15) و**(رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)** (النساء 165).

فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل، وتكفل بإقامة هذه الدعوة وإرشاد العباد إليها في كل زمن وفي كل جيل. فمن حيل بينه وبين الدعوة أو لم يسمع بها فلم تصل إليه فإن الله لا يعذبه، وهذا هو أرجح قول للعلماء في هذه المسألة.

النوع الثاني هداية الإعانة والتوفيق:

وهذه تكون لمن قبل هداية البيان ، أي أن الله تعالى يعينك ويوفقك.

ومن لم يستجب لهداية البيان؟ الله تعالى يعاقبه بعقوبة الحرمان والخذلان.

تعالوا نقرأ النصوص القرآنية: الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه: **"إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين"** (القصص 56).

هذه الآية نزلت بعد وفاة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم. أبو طالب عم النبي هو الذي رباه بعد وفاة جده وكفله حتى صار رجلاً شاباً وتزوج من خديجة. وكان يرعاه ويمنع عنه الأذى ويرد عنه قريش، وقال في ذلك شعراً نقل عنه: "ولقد علمت أن دين محمد من خير أديان البرية ديناً".

لكنه علم ولم يتبع، قال له النبي عند وفاة عمه: **"يا عم قلها كلمة أحاج لك بها عند ربي قل لا إله إلا الله"**. وكان بجانبه أبو جهل ورجل آخر فيقولون له: **"مت على ملة عبد المطلب"**، أي على عبادة الأصنام.

والنبي يكررها عليه لكنه أبى ورفض حتى مات على الشرك والعياذ بالله.

حزن النبي لذلك، للارتباط العاطفي بعمه الذي رباه، قال: **"لاستغفرن لك ما لم أنه عنك".** فنزل البيان الإلهي بتحريم الاستغفار: **"ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى"** (التوبة 113). وقال له: **"إنك لا تهدي من أحببت"** (القصص 56).

سؤال: النبي بين لأبي طالب طريق الحق؟ نعم. أبو طالب علم أن رسول الله على الحق؟

هل آمن برسول الله؟ يا للأسف لا.

إذاً فهو أخذ هداية البيان وأن هذا رسول الله، لكنه لم يتبعه فلم يأخذ هداية الإعانة والتوفيق.

وهذا معنى "ولكن الله يهدي من يشاء". فمن اهتدى بهداية البيان فأسلم وآمن بالله أعانه الله ووفقه وسدده. **قال تعالى: "والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم"** (محمد 17) **و"ويزيد الله الذين اهتدوا هدى"** (مريم 76).

وفي الحديث الذي نحفظه جميعاً **يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته" هنا هداية الإعانة والتوفيق: "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وقدمه التي يسعى عليها".**

(فإذا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به) والمعنى هنا على تقدير مضاف محذوف؛ أي: كنت حافظ سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلا ما يحل سماعه، وحافظ بصره فلا ينظر إلا إلى ما يحل نظره، وهكذا.

أو أن هذا مجاز عن نصرة الله لعبده المتقرب إليه بها وتأييده وإعانته وتوليه في جميع أموره، والمجاز هنا من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم.

وحاصل الكلام أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض، ثم بالنوافل؛ قربه إليه، ورفعه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيعبد الله تعالى على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى، ومحبته، وعظمته، وخوفه، ومهابته، وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة، فيسدده الله في سمعه وبصره ويده ورجله، ويكون المعنى أن يوفق هذا الإنسان فيما يسمع ويبصر ويمشي ويبطش.

ومعنى ذلك أنه لا يسمع ما لم يأذن الشرع له بسماعه، ولا يبصر ما لم يأذن الشرع له في إبصاره ، ولا يمد يده إلى شيء ما لم يأذن الشرع له في مدها إليه ، ولا يسعى برجل إلا فيما أذن الشرع في السعي إليه، ولا شك أنه إذا وصل إلى هذه المرتبة فإن الله تعالى يسدده في جميع حواسه، فلا ينظر إلا إلى ما يحب الله، ولا يستمع إلا إلى ما يحب الله، ولا يمشي إلا إلى ما يحب الله، من جلسة ذكر، أو حلقة علم، أو مكان وعظ، أو صلة رحم، أو حج أو عمرة، ونحو ذلك من أنواع المماشي التي هي في طاعة الله عز وجل، وكذلك لا يبطش إلا في مرضاة الله؛ من إزالة منكر، أو نصرة مظلوم ونحو ذلك، وكذلك يستمع إلى ما يحب الله؛ من كتابه وذكره، وسنة رسوله، وعلم شريعته ونحو ذلك، والنظر في المصحف من العبادات، وكذلك النظر في الأمانات لتمييزها لأصحابها، والنظر في كتب العلم والفقه ونحو ذلك من أنواع النظر الذي هو من العبادات.

ولا يزال هذا الحب يزيد ويقوي حتى تمتلئ قلوبهم به، فلا يبقى في قلوبهم غيره، فلا تستطيع جوارحهم أن تنبعث إلا بموافقة ما في قلوبهم.

ومن هذا المعنى قول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: إن كنا لنرى أن شيطان عمر ليهابه أن يأمره بالخطيئة.

(وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها) فالله يسدد هذا العبد في سمعه وبصره ويده ورجله، فيوفق العبد فلا يسمع إلا ما أذن الشرع بسماعه، ولا يبصر إلا ما أذن الشرع بإبصاره، ولا يمد يده إلى شيء لم يأذن الشرع به، ولا يسعى برجله إلا إلى ما أذن الشرع فيه.

وهذا معنى دعاء المؤمنين: **اللهم حبب إلي الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان.**

فهناك من يتلذذ بالنظر إلى الحرام فحببت إليه المعصية نسأل الله العافية. وهناك من ينظر إلى والديه أو ينظر إلى ما أباح الله عز وجل فهذا شيء وهذا شيء.

فمن زين الله الإيمان في قلبه هداه إلى أفضل وأقوم السبل: **"كنت سمعه كنت بصره كنت يده"**. فالجوارح تألف الطاعة.

وفي رواية في الحديث: **"فبي يسمع وبي يبصر"**، يعني بتوفيق الله يسمع وبتوفيق الله يبصر، وهذا كله من عون الله تعالى وتوفيقه.

أيضا في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة.

وليس المقصود هنا تحديد المسافات إنما المقصود بيان إقبال الله على عبده. فأنت خطوت خطوة تجاه الصراط المستقيم ولو فرضنا أنها شبر؛ فالله تعالى يتقرب إليك ذراعاً.

ما معنى يتقرب إليك؟ يعني يعينك ويأخذ بيدك.

يعني ولله المثل الأعلى أتصور مثال الطفل الصغير الذي بدأ يتعلم المشي بعد الحبو بعد ما كان يحبو على يديه ورجليه بدأ يتعلم المشي، فأنا أشجعه وآخذ بيده أقول له: تقدم تعال.

فهكذا كل من أراد أن يقبل على الله أقبل الله عليه.

والذراع معروف، أما الباع فهو الذراعان مع الصدر.

"وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" كل هذا بيان لمعنى إقبال الله تعالى على العبد وفرحة الله تعالى بتوبة العبد وإعانة الله تعالى لعبده إذا أقبل عليه.

على النقيض عندنا الآيات مثلاً: **"وأما ثمود فهديناهم"** (فصلت 17). هديناهم : أرسلنا إليهم رسولاً وهو نبي الله صالح. **"فاستحبوا العمى على الهدى"** (فصلت 17) إذاً هم أعرضوا فخذلهم الله.

وقال عن بني إسرائيل: "وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" (الصف 5).

فهم زاغوا عن الحق، يعني مالوا عن الحق، فعاقبهم الله بالخذلان والحرمان فأزاغ قلوبهم.

و"ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم" (الحشر 19).

النسيان هنا بمعنى أن الله ليس في حساباتهم فتراهم معرضين عن الله ملحدين، ذكر الله تعالى لا يرد على بالهم لا في صلاة ولا في صوم ولا منهج حياة ولا أي شيء، يعيشون للدنيا فقط، فالله تعالى أعرض عنهم.

والله جل وعلا لا ينسى بمعنى الغفلة، إنما النسيان هنا بمعنى الترك. ومن هذا الذي يطيق أن يعرض الله عنه؟

من هذا الذي يطيق أن يغضب الله عليه ؟

فهنا عاقبه الله تعالى جزاء من جنس العمل.

إذن معية الله وتوفيقه لا تكون للكافرين أبداً، ولا تكون للعصاة، إنما تكون للطائعين، قال تعالى: **"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"** (الطلاق 2). إذا قبلت التقوى يجعل لك مخرجا، **"ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه"** (الطلاق 3). **وقال "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" (العنكبوت 69). "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" (النحل 128).**

الخلاصة:

- الله تعالى تكفل بالبيان سواء من الأنبياء أو ورثتهم من العلماء.
- عندما يأتيك: الله يأمر بكذا، الله ينهى عن كذا، الله يرضى كذا، يسخط على كذا. فأنت إذا أخذت الأمر الإلهي للعمل أعانك الله ووفقك وسددك.
- معية الله وتوفيقه لا تكون للكافرين أبداً، ولا تكون للعصاة، إنما تكون للطائعين.
- ومع هدايتنا إلى الصراط المستقيم نسأله أن يعيننا وأن يوفقنا وأن يسددنا وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق
وعلى صراطه المستقيم
وأن يتوفانا وهو راض عنا.
اللهم آمين.

****

المبحث الثاني

ما السر في تكرار طلب الهداية في كل صلاة

" اهدنا الصراط المستقيم"؟

إن معنى **"اهدنا الصراط المستقيم"** هو طلب الهداية من الله بأن يبصرنا بالطريق الحق لأن الفتن مهلكة؛ شبهها النبي صلى الله عليه وسلم بقِطَع الليل المظلم.... تخيل أنك تقود سيارتك في طريق مظلم لا تدري أين تتجه، تعددت المخارج والاتجاهات والطرق وأنت في ظلام شديد، فإذا أبصرت دليلًا يدلك على الطريق، أو إذا أبصرت نورًا يضيء لك الطريق، حينئذ تفرح، وهذا الذي وعد الله به عباده المؤمنين، أنه جل وعلا يجعل لهم كشفًا للطريق، يكشف لهم الطريق، وفي شدة الفتن، الله سبحانه وتعالى يبصرهم بصراطه المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**﴾[الأنفال: 29]، والفرقان هنا ما يميز به بين الحق والباطل.

وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ**﴾ [الحديد: 28].

يجعل لك علامات أو نورا تهتدي به في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى.

هذه البصيرة التي يجعلها الله تعالى في قلب عبده المؤمن هي من نتاج هداية التوفيق، قد يضل الإنسان، قد يفتن، قد تدخل عليه شبهة، لكنه لصدق نيته ولجوئه إلى الله وإرادته الخير، فإن الله سبحانه وتعالى يبصره ويهديه.

السر في تكرار "اهدنا الصراط المستقيم"

لماذا نكرر **"اهدنا الصراط المستقيم"** كل يوم في الصلاة؟ على الأقل عندنا سبع عشرة ركعة مفروضة غير السنن ؟

قال العلماء إن تكرار الأمر معناه الثبات واللزوم، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [النساء: 136]. فهم آمنوا، لكن قال لهم: ﴿**آمِنُوا**﴾. تكرار الأمر هنا معناه اثبتوا على الإيمان بالله ورسوله.

إذا فحينما أقول **"اهدنا الصراط المستقيم"** معناها:

1. دلنا على الطريق.
2. وليكن هو الطريق الصحيح المستقيم، طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه.
3. وثبتنا على الطريق.
4. وجنبنا الفتن التي تجعلنا نحيد أو نميل عن الطريق.
5. وأن يجنبك الله تعالى طريق الذين غضب الله عليهم والذين ضلوا عن الطريق، الذين غضب الله عليهم علموا الطريق لكنهم لم يسلكوه، والضالون أرادوا الحق فاتبعوا غيره.

يقول الحافظ ابن كثير :«فإن قيل: كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها، وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

فالجواب: أن لا ولولا احتياجه ليلا ونهارا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله إلى ذلك؛ فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره، وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله؛ فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل} الآية [النساء: 136] ، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس في ذلك تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، والله أعلم.

وقال تعالى آمرا لعباده المؤمنين أن يقولوا: {ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب} وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد

الفاتحة سرا. فمعنى قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره.»[18]

الهداية: علم وعمل

لا يكفي أن العبد يعرف الطريق، بل إن الهداية علم بالطريق وعمل على الطريق، ولذلك حينما نقول إن فلانًا متدين أو ملتزم، الأصح من الناحية الشرعية أن تقول :**مستقيم**، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ [فصلت: 30].

كثير من الناس عرفوا الحق لكنهم لم يستطيعوا أن يدفعوا ضريبة الحق.

ألم يقل هرقل إمبراطور الروم لما جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد علمت أن هذا أوان مبعث نبي آخر الزمان، ولئن كنت عنده لغسلت عن قدميه"؟

ما الذي منعه؟ لم يستطع أن يدفع ضريبة الحق.

وبعض الناس يعتقد أنه أسلم سرًا، لكن هذا كلام غير صحيح، الذي أسلم سرًا هو النجاشي، أما هذا الخبيث فإنه قاتل المسلمين في عدة معارك: في معركة مؤتة، واليرموك، ومعارك أخرى؛ حتى ترك سوريا وقال كلمته التاريخية الشهيرة: "سلامًا عليك يا سوريا، سلامًا لا لقاء بعده".

فهو عرف الحق، وكثير من أهل الكتاب عرفوا الحق ولكنهم لم ينقلوا أقدامهم إليه.

حيي بن أخطب :

صفية بنت حيي، أبوها حيي بن أخطب زعيم بني النضير الذين كانوا في المدينة، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة خيبر.

تقول: وأنا صغيرة ذهب عمي وأبي في أول النهار ليروا النبي صلى الله عليه وسلم في مقدمه من مكة، قالت فرجع أبي وعمي ياسر بن أخطب آخر النهار والكآبة على وجهيهما، فسمعت عمي يقول لأبي: "أهو هو؟ هو فعلًا

---

[18] تفسير ابن كثير (1/ 139)

محمد بوصفه ونعته في التوراة؟" قال: "هو هو". قال: "فما تفعل؟" قال: "عداوته ما حييت".

لا إله إلا الله، يعني أنت عرفت الحق وأبصرت بالحق: "عداوته ما حييت."!

عبد الله بن سلام :

وقصة عبد الله بن سلام وكان حبرًا، من علماء اليهود، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول ما نظرت إلى وجهه قلت: هذا ليس بوجه كذاب". وأعلن إسلامه، وكان اسمه مشكم فغير النبي اسمه إلى عبد الله.

يقول: "قلت يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت" -بهت يعني يكذبون الكذب ويصدقونه أو يتراجعون في كلامهم ويقولون الباطل والزور- "إن اليهود قوم بهت، فإذا جاءوك فاسألهم عني وأنا أختبئ وراء ستار".

فاختبأ وراء ستار في المكان الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم. فلما دخل عليه زعماء اليهود قال: "ما تقولون في مشكم ابن سلام؟" قالوا: "سيدنا وابن سيدنا وحبر وابن حبرنا"، يعني رجل له السيادة وله المكانة وهو العالم الجليل.

فخرج عبد الله بن سلام من وراء الستار قال: "أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله". فسريعًا قالوا: "يا محمد، سَفِيهُنا وابن سَفِيهِنا."!

﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ [البقرة: 146].

وهذه المسألة تجدها في بعض الناس من طلاب الدنيا نسأل الله العافية، يعرف عن الدين أكثر منك، بل هناك من أتباع الديانات الأخرى من يعرف عن الإسلام كثيرًا مما لا يعرفه المسلمون، لكن عنده معلومات، لكن هل عنده قدرة على اتخاذ القرار الصحيح أن يدخل الدين؟ كلا، ما الذي منعه؟ أنه متبع لهواه، خائف على منصبه الدنيوي، خائف على المكانة الدنيوية. فأنت قد بصرك الله بالطريق فسلكته وثبت عليه بلا زيغ ولا ميل ولا ولا وقوع في باطل، هذا من نعم الله سبحانه وتعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولهذا كان أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة **:(اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)**، فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب.

فحاجة المسلم إلى الدعاء بالهداية كحاجته إلى الطعام والشراب.

هكذا نحن نثني على الله ونمجده في سورة الفاتحة في الآيات الأولى ثم نسأل الله تعالى وكأننا نخاف من أن نقع أو نَزِلَّ، ونسأله الثبات سبحانه وتعالى، ونسأله العمل على صراطه المستقيم (**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)** [الفاتحة: 6-7].

طرق الهداية

للهداية طرق موصلة إليها ،ومفاتيح تُفتح بها مغاليقها، ومن مفاتيح الهداية:

أولها : المجاهدة:

والمجاهدة هي الصبر على الطاعات مهما كانت العقبات، وغابت المحفِّزات، والبعد عن المحرَّمات مهما كثرت الإغراءات والشهوات.

فمن جاهد نفسه في حفظ أوامر الله وحدوده؛ حفظه الله تعالى في بدنه، وماله، وأهله، والأهم من كل ذلك: في دينه، وسلَّمه من الزيغ والضلال، **قال تعالى : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) محمد(17)**

ثانيها : التقوى:

وقد صرَّح القرآن بأن التقوى مفتاح عظيم من مفاتيح الهداية، فقد وصف الله كتابه بأنه:**(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) البقرة (2)**

فلا تتعجب بعد اليوم من غياب الهداية ،عمن غابت عنه التقوى، وأشفِق على الفاسقين الذين صنعوا أقفالًا شديدة الإحكام على قلوبهم بفِسْقِهم، وطول بُعدِهم وغيابهم.

ثالثها : الاعتصام بالله:

قال الله تعالى:(وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (آل عمران: 101) وحقيقة الاعتصام: صدق اللجوء إلى الله، ودوام الفرار إليه، واستصحاب الاستغاثة به.. وإلَّا فالوقوع في بئر الضلال والغواية، **قال تعالى :(وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) (40) النور**

وقال سبحانه (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) [الاسراء:97] فكيف يفوز بالهداية من لم يعتصم بخالق الهداية وواهبها؟!

رابعها : التخلي عن موانع الهداية:

ومن أهم موانع الهداية : الكفر ، والظلم ، والفسق ، والكذب.

فالكفر: قال الله تعالى: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) البقرة(264)

والظلم: وهو من أكبر موانع الهداية، وفي القرآن آيات ختمها الله بقوله: **(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) البقرة (258)** فالله لا يهدي الظالمين للتوبة والرجوع إلى الإيمان، بل يذرهم في طغيانهم يعمهون؛ حتى يأخذهم بعذاب أليم؛ ولذا قلَّما تجد ظالمًا تاب، أو ردَّ المظالم لأهلها وأناب، وهذا والله من شؤم الظلم على صاحبه، وأشد عقوباته عليه، وقد عرف ربه الهادي مَن دعا ربه أن يجيره من الظلم، فلا يظلِم ولا يُظلَم، وما عرف ربه الهادي مَن ظلم غيره فضلَّ طريق الهداية.

ومن أهم موانع الهداية :الفسق: **قال الله تعالى (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) المائدة (108)** فحين تجِد ضالًّا لا يهتدي ،رغم سطوع شمس الحقيقة بين يديه، وتتابع البراهين والدلائل عليه، فاعلم أن الفسق قد ملأ ما بين جنبيه.

ومن أهم موانع الهداية الكذب: **قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) الزمر (3)** فقد عرف ربه الهادي مَن خاف حرمان الهداية، فلم

يكذب، ولم يظلم، ولم يفسق، وما عرف ربه الهادي مَن استوجَب الحرمان من الهداية بكذبه، أو ظلمه، أو فسقه.

خامسها : الدعوة إلى الله:

فكلما دعوت غيرك إلى الخير لتهديه؛ كلما كافأك الله بمزيد الهداية.

قال ابن القيم: «كما أَن هدايته للْغَيْر وتعليمه ونصحه يفتح لَهُ بَاب الهداية، فإن الجزاء من جنس العمل، فكلما هدى غيره وعلَّمه هداه الله وَعلَّمه، فيصير هاديا مهديا، **كما في دعاء النَّبِي صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ.** [19]

فقم بدلالة الناس على الخير ،مقتفيًا في ذلك أثر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي أثنى عليه ربه، فقال تعالى:**(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى : 52) وقال الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف : 108).**

سادسا : الدعاء:

والدعاء من أهم مفاتيح الهداية، ويكفي في فضله قول ربنا في الحديث القدسي كما في صحيح مسلم: **(يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ)** أي: اطلبوا مني الهداية، أوفقكم إلى سلوك طريقها، كما سيأتي في ثمار الإيمان باسم الله الهادي. ومن الأدعية الواردة:

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) الفاتحة (7) ، ومعها يقول الله جل جلاله مجيبًا كما

---

[19] هذا الدعاء يرويه عمار بن ياسر رضي الله عنه ، حيث قال :(أما إني قد دعوت فيهما – يعني في الركعتين - بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به : اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي ، أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك ، وأعوذ بك من ضراء مضرة ، ومن فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهديين)رواه أحمد في " المسند " (265/30) وصححه محققو طبعة مؤسسة الرسالة ، ورواه النسائي في " السنن " (رقم/1305)

في الحديث القدسي : « قَالَ هَذَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ » رواه مسلم ، وهكذا ، فقد فرض الله على عبده أن يسأله الهداية في أفضل أحواله مراتٍ عديدة في اليوم والليلة، وهو ما يدل على رحمة الله بعباده، ويدل كذلك على شدة احتياج العبد وضرورته إلى هذه المسألة، فإنه محتاج إلى الهداية في كل نَفَس وطَرْفَة عَيْن.

وقبل صلاة التهجد، كما جاء في صحيح مسلم (حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.)

وفي قنوت الوتر (عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ : (اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ...)

ومن دعاء النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه،

وأن ينفعنا وأن يرفعنا بالقرآن العظيم،

وأن يتوفانا وراضٍ عنا، اللهم آمين.

****

المبحث الثالث

الصراط المستقيم، وفتن الشهوات والشبهات

الصراط هو: الطريق الذي لا عوج فيه ولا ضلالة ، وهو الطريق الواضح المتسع.

لماذا قال "المستقيم"؟

هذا تأكيد في الوصف، كما أقول فلان صادق غير كاذب، ألا تكفي كلمة صادق، تكفي ولكن مبالغة في التأكيد ؛ كما نقول: **(أشهد أن لا إله إلا الله)**، هذه كلمة التوحيد، ثم نقول: **(وحده لا شريك له)**، تأكيد فوق التأكيد.

والنبي صلى الله عليه وسلم رسم يومًا خطًا طويلًا على الأرض ورسم على جوانبه خطوطًا قال: "هذا صراط الله عز وجل، ، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان"، وتلا الآية :"وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ" (سورة الأنعام: 153).

الطريق إلى الله يقطع بالقلوب:

الطريق إلى الله لا يحتاج إلى بنية قوية أو سرعة جري، لأنه طريق يقطع بالقلوب لا بالأقدام.

ولذلك فإن سلامة القلب في هذا الطريق أهم شيء، والقلب هو محل نظر الرب جل وعلا، كما نعلم الحديث: **"إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"**.

فكلما كان الإيمان قويًا كان القلب قويًا، وكانت أعمال الجوارح مترجمة لسلامة وقوة هذا القلب.

وسلامة القلب تكون بتجنبه الوقوع في الفتن، وهما نوعان:

- **فتن الشهوات.**
- **وفتن الشبهات.**

وكلاهما مذكور في القرآن، قال تعالى: {**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**} [الأحزاب: 32]، فهذا مرض الشهوة.

وقال تعالى: {**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا**} [البقرة: 10]، وقال تعالى: {**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ**} [التوبة: 125]، فهذا مرض الشبهة، وهو أشد من مرض الشهوة، ففتنة الشُّبْهَة أخطر؛ لأنها إذا تمكنت في القلب قل أن ينجو منها أحد، لاعتقاده أنه على الصواب والمخالف هو المخطئ.

أولا/ فتن الشهوات

الشهوات لغةً:جمع "شهوة"، وهي: ميل النفس إلى ما تُحبّه وتميل إليه من متاع الدنيا، كالمال والنساء والطعام والمنصب ونحو ذلك .

واصطلاحًا:هي: ما يبتلي الله به عباده من الميل إلى المعاصي بسبب رغبات النفس وملذّاتها، مما يصرفهم عن طاعة الله واتباع أمره.
وتدخل فيها: فتنة النساء، فتنة المال، فتنة الجاه، والمنصب، التعلق بالدنيا وزينتها، حب الراحة والكسل عن العبادات.

قال تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذٰلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) [آل عمران: 14]

وفتنة الشهوات سببها تقديم الهوى على طاعة الله ومرضاته، كمن يقع في العشق المحرم، ومن يتلذذ بشرب المسكرات، أو يجمع الأموال بالربا.

يقول ابن القيم: دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكًا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه.[20]

وقيل: الشهوة هي توقان النفس وميل الطباع إلى المشتهى وليست من قبيل الإرادة، قال الراغب الأصفهاني: أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده،

فالشهوات أغراض متعلقة بحاجة الجسد تفصح عنها النفس راغبة فيها، والمسلم لا يشبع إلا شهواته الصادقة بالحلال، ومن لم يراع الحلال والحرام في إشباع شهواته، أو سعى خلف الشهوات الكاذبة؛ فهو ممن يتبع الشهوات الذين ذمهم الله تعالى بقوله: {**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60)**} [مريم: 59- 60].

---

[20] الفوائد لابن القيم (ص: 58).

ثانيا/ فتنة الشبهات

الشُّبْهَة لغة هي: الالتباس والاختلاط، ومحلها العقل وطريقة التفكير وليس الجسد ورغبات النفس.

وفي الاصطلاح: التباس الحق بالباطل واختلاطه حتى لا يتبين، وإنما سميت الشبهة شبهة، لأنها تشبه الحق والباطل، ليست بحق واضح، ولا باطل لا شك فيه، هي بين ذلك .

وقد عرفها ابن القيم رحمه الله فقال: الشُّبهة: وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق.[21]

والشبهة نوعان: عارضةٌ ومفتعَلة.

أما العارضة؛ فما يعترض العقل من فهمٍ لبعض مسائل الدين، وجلاؤها بالعلم أو بسؤال أهل العلم، ومنه قوله تعالى: {**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**} [النحل: 43].

وأما المفتعلة؛ فما يثيره أعداء الدين من المسائل بقصد تشويه عقول المسلمين حول مسائل الايمان والشريعة، وعلاجها يكون أولًا بتجنب الاستماع إلى من في قلوبهم زيغ، وثانيًا بتدبر القرآن الكريم؛ ففيه الإجابة عن كل شبهة تثار حول الايمان والدين، قال الله تعالى: {**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**} [الفرقان: 33]، وقال أيضًا: {**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**} [النحل: 89].

والشبهة والاشتباه ما كان دون الدليل والقرينة الصحيحة، لهذا لا تصلح أن تكون دليلًا على الشيء، أو يبنى عليها حكم أو تصور، وإذا اختلط الدليل بشبهة فلا يُعتدُّ به إلا بزوالها.

والشبهة في الشرع: ما التبس أمره فلا يدرى أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل، ومن الورع تركه حتى يتبين الحكم الصحيح فيه، وهو الذي أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم باجتنابه بقوله: «**الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا**

---

[21] مفتاح دار السعادة (1/ 140).

وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» أخرجه البخاري

ما الفرق بين الشهوات والشبهات؟

الشبهة يتدين بها صاحبها، وتبقى في نفسه، وتترسخ في فكره وقناعته، بخلاف الشهوة التي تطرأ وتزول، ويقر مقترفها في خاصة نفسه بقبحها وحرمتها، ولكن غلبه هواه ونفسه الأمارة بالسوء، وهو قد يندم ويتوب ويستغفر ويأتي بالحسنات المكفرة.. الصلاة إلى الصلاة مكفرات، رمضان إلى رمضان مكفرات، العمرة مكفرة، الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

قال ابن القيم رحمه الله: الفتنةُ نوعان: فتنة الشبهات -وهي أعظم الفتنتين-، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما.

ففتنةُ الشبهات من ضعفِ البصيرة وقلَّة العلم، ولا سيَّما إذا اقترنَ بذلك فسادُ القصد وحصولُ الهوى، فهنالك الفتنةُ العُظمى والمصيبةُ الكبرى، فقل ما شئتَ في ضلالِ سيءِ القصد الحاكم عليه الهوى لا الهُدى، مع ضعف بصيرته وقلَّة علمه بما بعثَ اللهُ به رسولَه، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: {**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ**} [النجم: 23]

وقد أخبر الله سبحانه أن اتباعَ الهوى يُضِلُّ عن سبيل الله؛ فقال: {**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**} [ص: 26].

وهذه الفتنة مآلُها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنةُ المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم.

ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد إتباع الرسول وتحكيمه في دق الدين وجله، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقهِ وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، وما يثبته لله من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نصب الزكاة ومستحقيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان؛ فلا يجعلُه رسولًا في شيءٍ دون شيءٍ من أمور الدين؛ بل هو رسول في كل شيءٍ تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يُتلقَّى إلا عنه، ولا يُؤخَذ إلا منه.

وأما النوع الثاني من الفتنة: ففتنةُ الشهوات، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتَيْن في قوله: {**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ**} [التوبة: 69]

أي: تمتَّعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخَلاَق: هو النصيبُ المُقدَّر، ثم قال: {**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**}، فهذا الخوضُ بالباطل، وهو الشُّبُهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصُلُ به فسادُ القلوب والأديان من الاستمتاع بالخَلاقِ والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلُّم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح؛ فالأول: هو البدع وما والاها، والثاني: فسقُ الأعمال..

وأصلُ كل فتنةٍ إنما هو من تقديم الرأيِ على الشرع، والهوى على العقل؛ فالأولُ: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصلُ فتنة الشهوة.

ففتنةُ الشُّبُهات تُدفَع باليقين، وفتنةُ الشهوات تُدفَعُ بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامةَ الدين منوطةً بهذين الأمرين؛ فقال: {**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**} [السجدة: 24]، فدلَّ على أنه بالصبر واليقين تُنالُ الإمامةُ في الدين.

فبكمال العقل والصبر تُدفَعُ فتنةُ الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تُدفَعُ فتنةُ الشُّبهة، والله المستعان. [22]

علاج فتن الشبهات والشهوات

أولا / علاج فتنة الشبهات:

1- عدم الاستماع للشبهات أو مجالسة أصحابها:

فإذا كانت الشبهة من جليس سوء فابتعد عنه وإياك أن تجلس معه؛ لأن الله أمرك أن تقوم إذا ذكر الله بما لا يليق به في مجالس الظالمين {**وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**} [الأنعام: 68]؛ فلا يجوز للإنسان أن يجلس في المجالس التي تثار فيها الشبه ويضعف فيها الإيمان، ومثل ذلك القنوات والمواقع والصفحات التي تعرض الشبهات .

وهذه الفتنة صارت شرا مستطيرا في زماننا ؛ فكل من أحب أن يشتهر يلقي بشبهة على أسماع الناس وصار الموضوع **(أكل عيش)**

---

[22] إغاثة اللهفان (2/ 165- 167).

شخص عمله: ملحد- والعياذ بالله- كنا قديما نسمع عن شخص يعمل مهندس دكتور مدرس ؛ أما الآن في مهنة جديدة اسمها **ملحد** يخرج على القنوات وعلى وسائل التواصل ويروج للإلحاد.

وآخر اسمه مفكر إسلامي؛ وهو لا يعرف شيئا عن الإسلام، ولم يفهم في الاسلام، فيخرج يشكك في الإسلام، وفي آيات القران وفي السنة المطهرة، وهؤلاء هم الذين تفسح لهم المجالات الإعلامية ليعرفوا ويسمع لهم.

وتبلغ الجرأة ببعضهم مبلغا كبيرا لم نكن نسمع به من قبل فيقول: أنا غير مقتنع بهذه الآية، أنا غير مقتنع بهذا الحديث، أنا أرفض هذه الآية، أنا أرفض هذا الحديث!! كلام والعياذ بالله يخرج من الملة.

وقد قال الله في شأن بعض المنافقين **(سماعون للكذب)** فإذا عرض لك مقطعا من هذه المقاطع فلا تكمله لأنه مضيعة للوقت، وفتنة؛ بل إن كثيرا ممن سلكوا طريق الإلحاد كانت البداية طريق الشبهات، وتأمل معي قول الحق تبارك وتعالى :**"وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا"** (سورة الإسراء: 73-74).

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم !! والله يقول له **(لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)** ولذلك لا تظن نفسك وأنت تسمع هذه الشبهات أنك ستنجو؛ لأن هذه الشبهات والعياذ بالله لها غبار يصيب قلب المؤمن، وأنت لست معصوم، قد يُقذف في قلبك بالشبهة فلا تخرج منه فتقع في الضلالة.

نسأل الله العفو والعافية.

وأذكر أن أحد علمائنا قال لي: "وأنت تذكر الشبهة لا تعرضها بالتفصيل، لأنك ستجد قلوبا تتلقفها، وذكّر الناس بالأصل وهو الدين الواضح، الصراط المستقيم.

و**قال ابن القيم: قال لي شيخ الإسلام،** وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمرُّ الشبهات بظاهرها ولا تستقرُّ فيها، فيراها بصفائه، ويدفعُها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها، صار مقرًّا للشبهات، -أو كما قال-، فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك. [23]

---

[23] مفتاح دار السعادة (1/ 140).

2- علاج ضعف الإيمان:

فالشبهات ترد على الإنسان بضعف إيمانه، **فعليك** أن تأخذ بالأسباب التي تزيد في الإيمان، ومن أعظم ذلك تلاوة القرآن وتدبره، أن تختار لتلاوة كتاب الله أنسب الأوقات، وأن تقبل على كلام الله وأنت تحس كأن الله يخاطبك، وكأن الله يناديك، وكأن الله يوصيك، فإذا استشعرت بهذا الشعور دخلت الآية إلى سويداء قلبك وتغلغلت إلى جنانك وكان لها أطيب الأثر على جوارحك وأركانك، وكف الله بها عنك الوساوس والشكوك، القرآن فيه الحجج وفيه الآيات، وهذه الحجج والآيات تقوي القلب، وتجعل فيه الحصانة والقوة من هذه الشبهات التي ترد على القلب.

3-سؤال الله أن يصرفها عنه:

فعلى المؤمن أن يدعو الله أن يصرفها عنه، وأن يثبته على الإيمان الذي يحول بينه وبين هذه الشبهات، وأن يستعيذ بالله جل وعلا، لأن الله يقول في كتابه: {**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [فصلت: 36]، فأمر الله بالاستعاذة إذا حصلت الشبهة، فأكثر من الاستعاذة فإن الله يعيذ من استعاذ.

والرسول صلى الله عليه وسلم قال: (تعوذوا بالله من الفتن) اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدعو: (اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.)

4- العلم الشرعي الصحيح:

والله عز وجل أمتن على عباده بنعم كثيرة، ومن أفضل وأعظم ما يمنَ الله تعالى به على عبده هو العلم النافع، لأن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا؛ وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر، وضابط العلم النافع هو ما أزال عن القلب شيئين:

الأول: الشبهة، والثاني: الشهوة.

لأن الشبهات تورث الشك، وأما الشهوات فتورث درن القلب وقسوة القلب، وتثبط البدن عن الطاعات.

إذا أزال العلم النافع الشبهة والشهوة حل محل الأول اليقين الذي هو ضد الشك، وحل محل الثاني الإيمان التام الذي يوصل العبد لكل مطلوب المثمر للأعمال الصالحة.

وكلما ازداد الإنسان علمًا حصل له كمال اليقين وكمال الإرادة وكمال الخشية قال الله عز وجل: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**}[فاطر: 28]

وإذا كان العلم بهذه المنزلة وبهذه المثابة فإنه ينبغي للإنسان أن يحرص على طلبه، وأن يستزيد من طلب العلم، ولذلك لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم المزيد من شيء إلا من العلم قال الله عز وجل: {**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**} [طه: 114]

5- الرجوع لعلمائنا الثقات:

فنحن عندنا النص من القرآن أو السنة ودلالة النص ، ما دلالة كلام الله أو كلام رسول الله؟

فإذا جاء من يقول: قال الله تعالى وقال رسول الله، نقول له: تعال لنرى ماذا قال علماء التفسير، وماذا قال علماء الحديث، وماذا قال فقهاؤنا الأعلام؛ فنرد الأمر إلى علمائنا.

والإسلام علمنا احترام التخصص فقال: **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)** [الأنبياء:7]

في مسألة صحية اسأل الأطباء، وفي مسألة قانونية اسمع لمحامي، ولو مسألة في الضرائب اسمع لمحاسب، وهكذا لو مسألة شرعية اسمع لعالم.

وفي حديث النواس بن سمعان (أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فخفض فيه ورفع تكلم عن فتنته وشدتها وخطورتها حتى خشينا أنه في طائفة من نخل المدينة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسمعوا يا اخواني جيدا والله ما الدجال أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم من الأئمة المضلين)

الدجال كذاب أعور ويقول أنا ربكم ومكتوب بين عينيه كافر يقرأها كل مسلم قارئ وغير قارئ ، لكن إذا كان الدجال شيخا بلحية أو شيخا معمما بلقب أستاذ دكتور بروفسور علامة ...الخ هذه الألقاب، وهو إمام ضال مضل فهذا فتنته أشر من فتنة المسيح الدجال؛ كما أشار النبي -صلى الله عليه وسلم.

6- تلقى الأخبار الإلهية باليقين:

أخبرنا الله عن نفسه، وجنته وناره، والبعث، والملائكة، والجن.. فهل أحد أصدق من الله تعالى؟ {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**} [النساء: 87] {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**} [النساء: 122]، {**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**} [الأنعام: 115]، صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، لا مبدل لكلمات الله.

فعلينا أن نتلقى الأخبار الإلهية باليقين، واليقين هو منتهى درجات التصديق، أي أن يستيقن القلب ويثبت ويطمئن على هذا الكلام أنه حق، فالله يقول في القرآن الكريم: {**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**} [الذاريات: 23] (الحق) البعث.

ويقول في آية أخرى: {**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**} [يونس: 53]، إنه حق: أي البعث.

ويقول: {**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**} [التغابن: 7]، إن كان مستحيلًا بالنسبة لكم فهو يسير عند الله.

ثانيا/ علاج فتنة الشهوات

1- البعد عن أسبابها:

كل الأسباب التي تثير الشهوة ابتعد عنها، غض البصر عن الحرام، وعن استماع الفحش والآثام، وابتعد عن أماكن الفتن؛ فإن ذلك يعصم الله به قلبك، فإن الإنسان إذا حفظ سمعه وبصره صانه الله عن الشهوات، ولم يجد الشيطان عليه سبيلًا أن يعلق قلبه بها.

2- علاج ضعف الإيمان:

خذ بالأسباب التي تزيد في إيمانك حتى تقوى على البعد من الشهوات، **وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فأسالوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) رواه الحاكم.**

3- تقوى الله عزوجل:

وبتقوى الله تعالى تنزاح الشهوات، فاستحضار مراقبة المولى عز وجل، ومخافة الله عز وجل، وكل ما يمكن أن تجمعه كلمة تقوى الله هي علاج الشهوات

4- أن نتسلح بسلاح الصبر:

الصبر على أوامر الله، والصبر عن المحرمات، والشجاعة كما يقولون: صبر ساعة، اصبر قليلًا، فأنت لو لم تصبر على مر التعلم لا يمكن أن تنجح، ولو لم تصبر على تعب السعي لا يمكن أن تجمع المال الذي يغنيك عن ذل السؤال، إذن لماذا لا تصبر على الدين؟

تصبر على كل شيء إلا على الدين، فلا بد من الصبر، ولهذا فإن الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، ولا دين لمن لا صبر له، كما أنه لا حياة لمن لا رأس له.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الصبر في أكثر من تسعين موضعًا، وأمر الله به، وأمر به الرسول، يقول الله للرسول: {**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**} [الأحقاف: 35]، {**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [النحل: 96]، {**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**} [الزمر: 10]

خاتمة:

بعد كل ما سبق يتبن لنا لماذا ندعو في كل ركعة ونلح على الله:

اهدنا الصراط المستقيم.

لولاك يا رب نهلك، لولاك يا رب نضيع، لولا أن تثبتنا ضد فتنة الشهوات والشبهات سيتخطفنا أهل الضلال والبدع وأصحاب الشهوات.

فنسأل الله سبحانه وتعالى دومًا اهدنا الصراط المستقيم، ثبتنا يا رب على ما ثبت عليه من أنعمت عليه بالهداية والثبات، **"صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"**) سورة الفاتحة: 7.

فلا معين لنا ولا مثبت لنا إلا الله،

كما كان النبي يدعو:

"اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك"

آمين.

****

المبحث الرابع

أقسام الناس الثلاثة على الصراط

يقول الحق تبارك وتعالى : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين". الآيات 6 و7

في هذه الآية يتبين لنا أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الذين أنعم الله عليهم

الصنف الثاني: المغضوب عليهم.

الصنف الثالث: الضالين.

الصنف الأول: الذين أنعم الله عليهم

هؤلاء هم الذين هداهم الله إلى الحق واتبعوه، وليس هناك أوضح في تفسير القرآن من تفسيره بالقرآن نفسه:

يقول الله تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) [سورة النساء، الآية 69]

لقد أوضح لنا رب العالمين جل جلاله المنهج والصراط القويم في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لذلك، إذا احتَرْت في أمر، رده إلى النبعين الصافيين: الكتاب والسنة.

أي شيء تريد أن تزنه وتعرف هل هو حق أم باطل؟ ضعه في الميزان. تخيل هل رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان موجودًا الآن، هل سيفعل هذا الشيء أم لا؟

هل أبو بكر وعمر والصحابة الكرام الأجلاء لو كانوا موجودين الآن، هل سيفعلون هذا الشيء أم لا؟

هل سيكونون مع هذه الجماعة أو هذا الحزب أو هذا الفكر أم لا؟

إذًا، قد سبقك على الطريق النبي صلى الله عليه وسلم والنبيون من ورائه، ثم الصحابة والتابعون وصالح هذه الأمة.

أنت دائمًا تتخيل وأنت تمشي على الطريق: هل هذه البدعة الجديدة أو هذا القول أو هذه القصة، وهذه الفكرة لو كانت موجودة في زمن النبي، هل كان النبي سيوافق عليها؟ هل كان سيقوم بها؟

ولذلك رب العالمين قال(:يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) [سورة النساء، الآية 59]

وهذا دأب أهل العلم الثقات الذين نأخذ منهم فتوى أو رأي في قضية أو مشكلة، عندما تجد العالم يستشهد بنور الكتاب والسنة، تجد لكلامه نورًا في قلبك ، وتجد استجابة أسرع وأقرب من الذي يقول كلامًا عاديًا.

فهذا صراط المؤمنين، صراط الذين أنعم الله عليهم، فهم السابقون، ونحن نتبعهم بالأثر.

الصنف الثاني: المغضوب عليهم

هم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه، وأغلب كتب التفسير تشير أنهم **اليهود**، وإن كنت أرى أنها أعم من ذلك، فإن الله تعالى قال: **"المغضوب عليهم"**، فهي تشمل كل من عرف الحق ولم يتبعه، سواء كان يهوديًا أو مشركًا أو حتى نصرانيًا أو أيًا كانت ديانته، بل حتى من الذين يتبعون ملة الإسلام، منهم من يعلم الحق ويعرفه لكنه يبيعه بغرض من الدنيا والعياذ بالله.

"الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه" - يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم - **"كما يعرفون أبناءهم"** ولكنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة.

حرصوا على مكانتهم، وحرصوا على دنياهم وعلى رئاستهم، فنقموا على النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا إنه نبي العرب وليس نبي بني إسرائيل. وكانوا في زمن الجاهلية يستفتحون على الذين كفروا؛ والاستفتاح هنا معناه الانتصار، عندما يحدث أي مشاكل، يقولون لهم: هذا أوان مبعث نبي آخر الزمان، وهذه الأيام فيها إرهاصات أن نبي آخر الزمان سيبعث، ونحن سنؤمن به وإذا ظهر واتبعناه سنقاتلكم به، **(فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به. فلعنة الله على الكافرين)[سورة البقرة، الآية 89]**

أبو جهل فرعون هذه الأمة:

ومن المشركين أيضا من كان يعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو النبي الحق ولكن كفر به عصبية وعاداه خوفا على مكانته .

على سبيل المثال في السيرة، يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، وكان أول ما فرض قيام الليل ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقيم الليل إلا قليلا عملاً : بقوله تعالى: **(يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً).** [**المزمل: 2**] فكان المشركون يذهبون ليستمعوا لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي ليلة، انطلق ثلاثة من قريش: أبو جهل "الحكم بن هشام"، والثاني الأخنس بن شريق، والثالث أبو سفيان.

كل واحد منهم كان يجلس في ناحية من بيت النبي صلى الله عليه وسلم يستمع للقرآن، ومع ظلام الليل كانوا لا يرى أحدهم الآخر.

عندما انتهى النبي من صلاة الليل، جمعهم الثلاثة الطريق !!

أين كنت يا فلان وأين كنت يا فلان؟ لم يستطع أحدهم أن ينكر.

قالوا: لئن رآنا أحد من قريش، ليكونن علينا شرًا مستطيرًا، وتعاهدوا على ألا يعودوا أبدًا.

وفي اليوم التالي، أبو جهل ذهب منفردًا، والثاني والثالث؛ فجمعهم الطريق فتعاهدوا على ألا يعودوا.

في اليوم الثالث جمعهم الطريق. قالوا: تعالوا نصدق القول، ما قولكم في محمد؟

قال أبو جهل: لقد كنا وبني عبد مناف كفرسي رهان حتى إذا تحاذينا، قالوا: منا نبي، وهذه لا تدرك.

ونقرأ في سورة الأنعام، قوله تعالى: (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)[الأنعام: الآية 33]
هذه الآية نزلت في أبي جهل. جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد دعاه النبي إلى الحق، فقال: إني لأعلم أنك صادق ولكن لا أصدق ما جئت به!! ما هذا التناقض ؟ الصادق يخبر بالصدق؛ فكيف تكذب خبرا يخبرك به صلى الله عليه وسلم؟!!

ولذلك أول ما دعا النبي قريشا قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خلف هذا الوادي خيلاً تريد أن تغير عليكم، (يقصد جيشا جاء لقتالهم) أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، فأنت الصادق الأمين.

هذا اللعين البائس في غزوة بدر لما قُتل، أدركه عبد الله بن مسعود وهو في الأنفاس الأخيرة، فقال له هل أخزاك الله يا عدو الله؟

قال: لمن الدبرة اليوم؟ (من انتصر اليوم؟) قال: لله ولرسوله.

لما بلغ الخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل"

فهذا مثال لرجل علم الحق وعلم أن رسول الله على الحق، لكنه أصر أن يموت على الكفر.

أبو لهب :

أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم وجار النبي صلى الله عليه وسلم ، وله اثنان من أولاده عتبة وعتيبة، متزوجان من بنات النبي صلى الله عليه وسلم، يعنى عمه وجاره وصهره.

لما صدع النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة ودعا الناس إلى عبادة الله وحده، أجبر أبو لهب ولديه على تطليق ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم من باب الانتقام والنكاية بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فطلقها عتبة ، أما ابنه الثاني عتيبة فقد كان سيء الأدب إلى حد عجيب.
ذهب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه قائلا: إني أتفل ابنتك كما أبصق هذه التفلة، وتفل في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال يا محمد: إني كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، وطلَّق ابنته «أم كلثوم» فغضب النبي ودعا عليه وقال: **(اللهم سلط عليه كلباً من كلابك).**

وخرج عتيبة مع أصحابه في عير إلى الشام، ولما خرجت القافلة قال أبو لهب لمن حوله: إني أخشى أن تصيبه دعوة محمد، فإن دعوته لا تخطئ.

حتى إذا كانوا في طريقهم زأر أسد فجعلت فرائص عتيبة ترعد فقالوا له: من أي شيء ترعد؟ فقال: إن محمد دعا علي وما ترد له دعوة.

فلما ناموا أحاطوا به وجعلوه في وسطهم فجاء الأسد فشم رؤوسهم جميعاً حتى انتهى إلى عتيبة فهشم رأسه هشمة فقضى عليه، فتحققت دعوة النبي محمد ﷺ.

فلما بلغت القصة أبا لهب قال: قد علمت أن دعوة محمد لن تخطئه.

سبحان الله !! فقد كان على يقين أنه رسول الله، لكن هل أسلم؟

أبي بن خلف:

كان عنده فرس مسميه العوذ. العوذ (أي القوي أو الذي يلجأ إليه عند الحرب) وكان يعلفه يقول: أقتل عليه محمدًا.

ولما بلغت هذه الكلمة النبي قال: **"بل أنا قاتله إن شاء الله".**

فلما كان يوم أحد، ضغط المشركون ضغطًا شديدًا حتى كاد النبي أن يقتل، وأحاط به الصحابة وفدوه بدمائهم وأرواحهم رضوان الله عليهم، وبدأ النبي بعمل انسحاب إلى الجبل، جبل أحد، فأقبل أبي بن خلف يريد أن ينال من رسول صلى الله عليه وسلم؛ فأقبل وهو يلبس المغفر، فتناول النبي حربة فأصابه بها في رقبته.

سبحان الله لاحظوا دقة الرمي عند النبي صلى الله عليه وسلم.

فجُرح أبي بن خلف فجعل يتأوه ويبكي. فقيل له: أتبكي كما النساء؟ قال: لقد قال محمد إني قاتله، فلو بصق علي لقتلني.

وظل يتأوه طوال الطريق حتى إذا بلغ مكة، هلك إلى نار جهنم والعياذ بالله.

موسيقى بالعزاء:

منذ عدة سنوات ماتت امرأة ملحدة ،مشهورة؛ إذا رأيتها تأكدت أن إبليس له زوجة!!!فظهر من يقول: الله يرحمها، الله يغفر لها، فقال أحدهم معلقا: يا جماعة أنت مجانين؟ هذه امرأة كانت تنكر وجود الله الذي تطلبون منه الرحمة لها!!

وهذا ملحد آخر، لما أدركه الموت وصى ابنته ألا يكون بعزائه قرآنا يتلى لأنه غير مؤمن بالقرآن، وأن تقوم بتشغيل موسيقى في العزاء، فجاءت صور العزاء على الفيسبوك مع كمية نكت وتهكم لا توصف، فرأينا المعزين قاعدين بالعزاء يسمعون الموسيقى.

هذه بعض الأمثلة والحديث يطول، لكن أقصد أن هناك من يتأكد ويتيقن أن هذا هو الحق، لكنه لا يستطيع أن يدفع ضريبة الانتقال من الباطل إلى الحق. إما للسيادة والرئاسة، وإما طمعًا في دنيا، وإما حرصًا على هوى ومزاج. وبعض أتباع الشهوات يرى أن الإسلام قيد عليه وأن الإسلام يربط حريته، رغم أن الإسلام يحررك من شهواتك وعبوديتك لغير الله.

فتكون عبدًا لله وحده، ومن كان عبدًا لله وحده كان حرًا من كل شيء، ويحيا عزيزًا كريمًا من الذين أنعم الله عليهم.

المبحث الخامس

الصنف الثالث: الضالون عن الصراط

الضالون: هم الذين لم يهتدوا إلى الحق، فضلوا عن طريق الحق.

وهذه تشمل كل من التمس الحق في غير بابه، وأغلب المفسرين يميلون إلى تعريفها بـ **النصارى**، وإن كانت تعم كل ضال عن طريق الحق، مثل الكثيرين من أتباع الديانات التي نعرفها، تجدهم يتفانون في عباداتهم وفي أحوالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

والحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير قال كلاما خلاصته: [24]

أن المغضوب عليهم هم من علم الحق ولم يتبعه، لكنها أكثر ما تُطلق على اليهود، وأكثر ما يُطلق الضلال على النصارى، لكن من النصارى من علم الحق ولم يتبعه، يعني لم يضل ويعلم يقينا أن هذا هو رسول الله نبي الحق.

ومن اليهود من هم أهل ضلالة لا يعرف الحق من الباطل، يعني أخطأ الطريق، وكذلك كما ذكرنا أمثلة من المشركين ومن المسلمين أو من يدّعون أو ينتسبون إلى الإسلام.

إذًا، فهذا وصف عام جاء ليُبيّن أن كل من علم الحق وكابر أو اتبع هواه ليثبت على الباطل والعياذ بالله، فإن هذا من الذين غضب الله عليهم.

وكذلك من طلب الحق في غير طريقه، فإنه من أهل الضلال لأنه لم يطلب الحق من الطريق الصحيح.

قصة عبد الله المايوركي (أنسليم تورميدا)

عندنا قصة ، ذكرها الأستاذ جهاد الترباني في كتابه المشهور **"عظماء الإسلام المئة"** .

---

(24) قال رحمه الله: « طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم. والنصارى لما كانوا قاصدين شيئا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال فيهم: {من لعنه الله وغضب عليه}] (6) [المائدة: 60] وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال: {قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل} [المائدة: 77]،وبهذا جاءت الأحاديث والآثار. «تفسير ابن كثير (1/ 141)

هي قصة لقس إسباني والذي كان يُدعى في بلده إسبانيا قبل إسلامه باسم (أنسيلم تورميدا)(Anselm Turmeda) أسلم بعد ذلك وسمى نفسه **عبد الله المايوركي** من جزيرة مايوركا بإسبانيا.

أنسيلم تورميدا كان قسيسًا عظيم الشأن في إسبانيا، وكان من أكبر علماء النصارى في القرن الثامن الهجري، فأسلم ، وروى قصة إسلامه بنفسه في تحفته الأدبية الرائعة **"تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"**

يقول المايوركي رحمه اللَّه:" أصلي من مدينة "ميورقا" وهي جزيرة في البحر الأبيض جنوب شرق إسبانيا اليوم، فتحها المسلمون سنة 290هـ، إلى أن تغلب عليها العدو البرشلوني وخربها سنة (508) للهجرة.

وكان والدي من أهلها، ولم يكن له ولد غيري، ولما بلغت ست سنين من عمري أسلمني إلى معلم من القسيسين قرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثر من شطره في مدة سنتين، ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق في ست سنين، ثم ارتحلت من بلدي ميورقا إلى مدينة لاردا ، وفي هذه المدينة يجتمع طلبة العلم من النصارى، وينتهون إلى ألف وخمسمائة، ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذي يقرءون عليه، فقرأت فيها علم الطبيعيات والفلك مدة تسع سنين، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازمًا لذلك مدة أربع سنين، ثم ارتحلت إلى مدينة جلونيا ، فسكنت في كنيسة لقسيس كبير القدر اسمه (نقلاو مارتيل) وكانت منزلته فيهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جدًا، انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة في دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، ويصحب الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية -يعني النهاية- في بابه، ويرغبون في التبرك به وفي قبوله لهداياهم، ويتشرفون بذلك، فقرأت على هذا القسيس علم أصول النصرانية وأحكامه.

ولم أزل أتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرني من أخص خواصه، وانتهيت في خدمتي له وتقربي إليه إلى أن دفع إلي مفاتيح مسكنه وخزائن ملكه ومأكله ومشربه، وصير جميع ذلك كله على يدي، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه، والظاهر أنه بيت خزانة أمواله التي كانت تهدى إليه، واللَّه أعلم! فلازمته على ما ذكرت من القراءة عليه، والخدمة له عشر سنين، ثم أصابه مرض يومًا من الدهر، فتخلف عن حضور مجلس طلابه، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول اللَّه عز

وجل على لسان نبيه عيسى عليه السلام في الإنجيل: إنه يأتي من بعده نبي اسمه **(الفارقليط)**.

فناقشوا هذه المسألة فيما ناقشوه لما تخلف كبيرهم القسيس، فبحثوا في تعيين هذا النبي من هو من الأنبياء، وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه، فعظم بينهم في ذلك مقالهم، وكثر جدالهم، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة ومن غير الاتفاق على معنى معين لهذه الكلمة.

ثم رجعت إلى القسيس نيقلا والذي كان مريضًا فقال لي: ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم، فأخبرته باختلاف القوم في اسم (الفارقليط) وأن فلانًا قد أجاب بكذا، وأجاب فلان بكذا، وسردت له أجوبتهم، فقال لي: وبماذا أجبت أنت؟!

فقلت: بجواب القاضي فلان في تفسيره للإنجيل. فقال: قصرت وقربت! وفلان أخطأ، وكاد فلان أن يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله؛ لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل.

فبادرت إلى قدميه أقبلهما، وقلت له: يا سيدي! قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد، ولي في خدمتك عشر سنين، حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تمنو علي بمعرفة هذا الاسم، فبكى الشيخ وقال لي: يا ولدي! واللَّه لأنت تعز علي كثيرًا من أجل خدمتك لي وانقطاعك إلي، وفي معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكني أخاف أن يظهر ذلك عليك، فتقتلك عامة النصارى في الحين واللحظة، فقلت له: يا سيدي! واللَّه العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسره إلي إلا عن أمرك، فقال لي: يا ولدي! إني سألتك في أول قدومك علي عن بلدك، وهل هو قريب من المسلمين، وهل يغزونكم أو تغزونهم، لأختبر ما عندك من المنافرة للإسلام (يعني: حتى أكتشف حساسيتك وعداءك ولُفورك الشديد من دين الإسلام) فاعلم يا ولدي أن (الفارقليط) هو اسم من أسماء نبيهم محمد، وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام، وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه هو دين الحق، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل، قلت له: يا سيدي! وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟!

فقال لي: يا ولدي! لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين اللَّه؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين اللَّه عز وجل، ولكنهم بدلوا وكفروا.

فقلت له: يا سيدي! وكيف الخلاص من هذا الأمر؟!

فقال: يا ولدي! بالدخول في دين الإسلام، فقلت له: وهل ينجو الداخل فيه؟ قال لي: نعم ينجو في الدنيا والآخرة، فقلت: يا سيدي! إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك منه؟! فقال لي: يا ولدي! إن اللَّه تعالى لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به من فضل الإسلام وشرف نبي أهل الإسلام إلا بعد كبر سني، ووهن جسمي، ولا عذر لنا فيه بل هو حجة اللَّه علينا قائمة، ولو هداني اللَّه لذلك وأنا في سنك لتركت كل شيء ودخلت في دين الحق، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز، والترف، وكثرة عرض الدنيا، ولو أني ظهر علي شيء من الميل إلى دين الإسلام لقتلتني العامة في أسرع وقت، وهب أني نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين فأقول لهم: إني جئتكم مسلمًا فيقولون: قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول في دين الحق فلا تمن علينا بدخولك في دين خلصت به نفسك من عذاب اللَّه، فأبقى بينهم شيخًا كبيرًا فقيرًا ابن تسعين سنة لا أفقه لسانهم، ولا يعرفون حقي، فأموت بينهم جوعًا (هذا خيال فاسد من القسيس الذي تعود على الأموال والترف) وأنا والحمد للَّه على دين عيسى، وعلى ما جاء به يعلم اللَّه ذلك مني (وهذه خداعٌ خدع به القسيس نفسه ليبقى بجانب غرفته المليئة بالهدايا!) فقلت له: يا سيدي! أفتدلني على أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم؟

فقال لي؛ إن كنت عاقلًا طالبًا للنجاة فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن، فاكتمه بغاية جهدك، وإن ظهر عليك شيء منه قتلتك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك إذا قتلوك أو حاولوا أن يؤذوك، وإذا قلت لهم حينئذ إن الذي دلني على هذا هو القسيس فلان فإنك لن ينفعك أن تنقل ذلك عني، فإني سوف أجحده إذا ذكرت ذلك عني وقولي مصدق عليك، وقولك غير مصدق علي، فعاهدته بما يرضيه.

ثم أخذت في أسباب الرحلة وودعته، وزودني خمسين دينارًا ذهبًا، وركبت البحر منصرفًا إلى بلدي مدينة ميورقا، فأقمت بها مع والدي ستة أشهر، ثم سافرت منها إلى جزيرة صقلية، وأقمت بها خمسة أشهر وأنا أنتظر مركبًا

يتوجه لأرض المسلمين، فحضر مركب يسافر إلى تونس، فسافرت فيه من صقلية، فلما نزلت بجوار تونس، وسمع بي الذين بها من أحبار النصارى في تونس -يعني: سمعوا بمقدمه، وأنه حاضر عندهم، وقد كان هو أكبر علماء النصارى في ذلك الوقت- أتوا بمركب وحملوني عليه معهم إلى ديارهم، وصحبت بعض التجار الساكنين -أيضًا- بتونس، فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش مدة أربعة أشهر.

ثم بعد ذلك سألتهم: هل بدار السلطان أحد يحفظ لسان النصارى؟ وكان السلطان آنذاك مولانا (أبو العباس أحمد) رحمه اللَّه، فذكر لي النصارى أن بدار السلطان المذكور رجلًا فاضلًا من أكبر خدامه اسمه (يوسف)، وكان طبيبه ومن خواصه، ففرحت بذلك فرحًا شديدًا، وسألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب، فدخلت عليه واجتمعت به، وذكرت له شرح حالي وسبب قدومي للدخول في الإسلام، فسر الرجل بذلك سرورًا عظيمًا بأن يكون تمام هذا الخير على يديه.

ثم ركب فرسه وحملني معه إلى دار السلطان، ودخل عليه فأخبره بحديثي واستأذنه لي، فأذن له، فمثلت بين يديه، فأول ما سألني السلطان عن عمري، فقلت له: خمسة وثلاثون عامًا.

ثم سألني عما قرأت من العلوم فأخبرته، فقال لي: قدمت قدوم خير، فأسلم على بركة اللَّه. فقلت للترجمان -وهو الطبيب المذكور-: قل لمولانا السلطان: إنه لا يخرج أحد من دينه إلا ويكثر أهله الطعن فيه (يعني: أهل الدين الذي كان عليه سيطعنون فيه ويشنعون عليه انتقامًا منه) فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم وتسألوهم عني، وتسمعوا ما يقولون في جنابي، وحينئذ أسلم إن شاء اللَّه تعالى.

فقال لي بواسطة الترجمان: أنت طلبت ما طلب عبد اللَّه بن سلام من النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- حين أسلم (كان الصحابي الجليل عبد اللَّه بن سلام سيد اليهود وزعيمهم، فلما علم بقدوم رسول اللَّه أسلم وجهه للَّه، إلا أنه طلب من الرسول سؤال اليهود عنه، فقالوا له إنه سيدنا، فلما علموا بإسلامه قالوا إنه شرّنا وسفيهنا!).

يضيف عبد اللَّه الترجمان: "فأرسل السلطان إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم، وأدخلني في بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه، قال لهم: ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟ قالوا له: يا

مولانا! هذا عالم كبير في ديننا، وقالت شيوخنا: إنهم ما رأوا أعلى من درجته في العلم والدين في ديننا. فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟!

قالوا: نعوذ باللَّه من ذلك! ما يفعل ذلك أبدًا.

فلما سمع ما عند النصارى بعث إلي فحضرت بين يديه وشهدت شهادة الحق بمحضر النصارى، فصلبوا على وجوههم، وقالوا: ما حمله على هذا إلا حب التزويج؛ فإن القسيس عندنا لا يتزوج!! وخرجوا مكروبين محزونين.

فرتب لي السلطان -رحمه اللَّه- ربع دينار في كل يوم في دار مختص، وزوجني ابنة الحاج (محمد الصفار)، فلما عزمت على البناء بها أعطاني مئة دينار ذهبًا، وكسوة جيدة كاملة، فبنيت بها وولد لي منها ولد سميته (محمدًا) على وجه التبرك باسم نبينا -صلى اللَّه عليه وسلم-".

وبعد ذلك تعلم عبد الله اللغة العربية-، ليؤلف بالعربية هذا الكتاب العظيم الذي يعد الأول من نوعه في إثبات نبوة رسول اللَّه من الكتاب المقدس نفسه، ثم إثبات تحريف الإنجيل من خلال الأدلة والبراهين، ليظل هذا الكتاب التحفة **"تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"** المرجع الأول والأساسي لكل طلبة مقارنة الأديان عبر جميع العصور.

موقف للشيخ عبد الوهاب النجار:

والشيء بالشيء يُذكر، أحد مشايخ الأزهر اسمه "عبد الوهاب النجار"، وله كتاب في قصص الأنبياء تميز بأنه كان عنده شغف بعمل مقارنات بين ما ورد في قصص الأنبياء في القرآن، وما ورد في التوراة ، فيقول إنه في سنة من السنوات كان معهم مستشرق إيطالي خبير باللغة اليونانية القديمة ، وجاء إلى الأزهر ليدرس اللغة العربية، قال: "وكان زميلًا لنا في الدراسة، في جامعة الأزهر، فقلت له: "- ما معنى (بيريكلتوس»؟ فأجابني بقوله : إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها المعزي.

فقلت : إني أسأل الدكتور كارلونلينو الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولست أسأل قسيساً ؟

قال : إن معناها الذي له حمد كثير.

فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟

فقال : نعم !

فقلت : إن رسول الله الله من أسمائه «أحمد» فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيراً، ثم افترقنا .

وقد ازددت بذلك تثبيتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحَدٌ [الصف : 6] [25]

ولا يغيب عنا أن نبي الله عيسى لم يتكلم اللغة العربية، إنما كان يتكلم لغة اسمها الآرامية، وهي لغة منقرضة، يعني لم يبق منها إلا قليل جدًا من المعلومات والمخطوطات.

ما السر أن عيسى بشر برسول اسمه أحمد؟

وهذا يفسر لنا ما ورد في القرآن الكريم على لسان نبي الله عيسى :**"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ"** (سورة الصف: الآية 6).

النبي صلى الله عليه وسلم ورد في القرآن باسمه صراحة في عدة مواضع: إلا في هذا الموضع بالذات جاء باسم أحمد، والناس تتساءل لماذا:

---

(25) ومن الفائدة اذكر حواره معه كاملا : قال الشيخ عبد الوهاب النجار: كنت في سنة 1893 - سنة 1894 ميلادية طالباً بدار العلوم في السنة الأولى. وكان يجلس بجانبي - في درس اللغة العربية - العلامة الكبير الدكتور كارلونلينو المستشرق الطلياني، وكان يحضر درس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية ، فانعقدت أواصر الصحبة المتينة بيني وبينه ، وكان المرحوم أحمد بك نجيب يعطي محاضرات في الانفتياترو العمومي، وكنا نحضرها ونعطي ملازم من كتابه الأثر الجليل في قدماء وادي النيل ففي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة 1311هـ خرجنا بعد المحاضرة وسرنا في درب الجماميز فقال لي الدكتور «نلينو» هذه الليلة ليلة المعراج ؟ قلت : نعم . فقال : وبعد ثلاث أيام عيد السيدة زينب ؟ فقلت : نعم ثم قلت له :ما رأيك يا دكتور في المعراج ؟ فقال : هو ذهاب النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس ليلاً وصعوده إلى السماء وعوده إلى مكة في ليلة واحدة . فقلت : أنا أعلم إنك تفهم هذا ولكن الذي أريد أن أعرفه هو رأيك في هذا القول ؟ هل هو صحيح أو كاذب ؟ والرجل مؤدب جداً فقال : هذا شيء عجيب ! فقلت : يوجد ما هو أعجب منه؟ قال : ما هو ؟ قلت : إن المسيح يصلب ويقتل ويدفن ثم يقوم من الأموات ويصعد إلى السماء ويجلس على يمين الله ! قال : وهذا أيضاً شيء عجيب ثم قلت له - وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراة في آداب اليهود اليونانية القديمة - ما معنى (بيريكلتوس»؟ فأجابني بقوله : إن القسس يقولون إن هذه الكلمة معناها المعزي فقلت : إني أسأل الدكتور كارلونلينو الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة . ولست أسأل قسيساً فقال : إن معناها الذي له حمد كثير فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم ! فقلت : إن رسول الله الله من أسمائه «أحمد» فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيراً، ثم افترقنا . وقد ازددت بذلك تثبيتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحَدٌ [الصف : 6] .[قصص الأنبياء، ص 450]

الجواب أن هذا ما بشر به نبي الله عيسى أنه سيأتي نبي يكون أحمد لله من غيره.

كلمة أحمد يسمونها في اللغة العربية "أفعل تفضيل"، كما نقول أكبر وأصغر وأفضل وأعظم. فهنا لو في مجموعة يحمدون الله، فنقول أحمدهم يعني أكثرهم حمدًا لله فلان.

فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم أحمد، فجاء في هذا الموضع ليكون مؤكدًا لما ورد في كتبهم أن الذي سيبعثه الله تعالى هو الفاركليط أو الباركليتوس وأحيانًا تأتي بالباء يكون البارقِليط وكلها معانٍ واحدة تشير إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

معرفة الحق وكتمانه

صدق الله العظيم :**"الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"** (سورة البقرة: الآية 146). يكتمون الحق وهم يعلمون أنهم كذب وأنهم متبعون لأهوائهم.

****

المبحث السادس

الصراط المستقيم ومنهج السلف

ما هو الصراط المستقيم؟

ذكرنا أن معنى الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الواسع الممتد الذي يقصد به الطريق إلى الله، وهذا الطريق لا نقطعه بأرجلنا إنما نقطعه بقلوبنا وأعمالنا.

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول.

فمن هذه الأقوال:

- هو النهج الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام.
- هو القرآن الكريم .
- هو الإسلام.
- هو الحق.
- هو النبي صلى الله عليه وسلم، وصاحباه أبي بكر وعمر.

قال الحافظ ابن كثير: «وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم، واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر، فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا، ولله الحمد.»[26]

وقد فسر النبي الصراط بالإسلام فقال: (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب، قال: ويحك، لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم.) رواه الإمام أحمد في مسنده

---

[26] «تفسير ابن كثير » (1/ 139)

والبعض يحصر مفهوم الاستقامة والتدين الصحيح في السلفية فقط ، وهذا يدفعنا للحديث عن تعريف هذا المصطلح.

مفهوم السلفية وتاريخها:

السَّلَف في اللغة: هو ما مضى وانقضى، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون. جمع سالف وهو كل مَن تقدمك من آبائك وذوي قرابتك في السن أو الفضل. ومنه قول الحق تبارك وتعالى: **"وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ"**[سورة النساء، آية 22] أي إلا ما قد مضى.

واصطلاحا: هي اسم لمنهجٍ يدعو إلى فهم الكتاب، والسنة بفهم سلف الأمة، والأخذ بنهج، وعمل النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته، والتابعين، وتابعي التابعين باعتباره يمثل نهج الإسلام، والتمسك بأخذ الأحكام من كتاب الله، ومما صح من حديث النبي-صلى الله عليه وسلم-

ويعود أصل التسمية إلى حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه- **(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.)**

وهذا المعنى هو ما يأتي في إطلاق علمائنا الإجلاء لكلمة (السلف) قال أحد السلف... قال بعض السلف ....ورد عن السلف الصالح...الخ.

فالمقصود بها هذه القرون الثلاثة الفاضلة، قرن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وصحابته ثم التابعين ثم تابعي التابعين.

إذن السلفية معناها العودة إلى النبعين الصافيين: الكتاب والسنة.

ونتبع ما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم صحابته الكرام ، الذين أنزل عليهم الوحي مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم الذين تربوا على يد هؤلاء (التابعين)، وتعلموا منهم ثم من تربوا على يد هؤلاء (تابعي التابعين).

تاريخ مصطلح السلفية:

هذا المصطلح لم يكن متبلورا بالمعنى الاصطلاحي الحالي إلا بعد ظهور طائفة تسمى طائفة المعتزلة، وهذه الطائفة من أشهر آرائها تقديم العقل على النقل، يعني أي آية في كتاب الله أو سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم تتفق مع عقولهم يتأولونها أو يردون الحديث.

وكان من ضمن مصائبهم قولهم: بأن القرآن ليس كلام الله؛ لأنه لو قلنا: إن القرآن كلام الله معنى ذلك أن الله يتكلم وأن الله يشبه خلقه، فالقرآن ليس كلام الله... القرآن مخلوق كالجن والإنس والملائكة والسماء والأرض(هكذا زعموا)

وكان أحد المتأثرين بهم خليفة من خلفاء الدولة العباسية اسمه (المأمون) كان متأثرا بالفلسفة والعلوم اليونانية علوم الإغريق وكان يعطي على الكتاب المترجم في الفلسفة يعطي وزنه ذهبا.

فتأثر بهم لدرجة أنه اختار وزيره الأول أحمد بن أبي دؤاد كبير المعتزلة في زمانه.

ولم يكتف بهذا بل امتحن العلماء في القول بخلق القرآن، فمن وافقه نجا ، ومن لم يوافقه يعذب أو يسجن أو يقتل، وهكذا استحلوا الأذى والظلم في أمة محمد وعلمائها.

ولعل أشهر من ابتلي وأوذي في الله الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله.-

وبقيت هذه المحنة حتى هلك المأمون وخلفه من بعده المعتصم، ثم ابنه الواثق، ثم تولى المتوكل فرفع الله به المحنة عن أهل السنة وبطل القول بخلق القرآن، وأفرج عن الإمام أحمد وعادت الأمور كما كانت.

فظهر هذا المصطلح لأهل السنة تمييزا لهم عن فرق الضلالة.

واهتموا بثلاثة أصول:

الأصل الأول / التوحيد الخالص لله -عز وجل: -

الإيمان بأن الله عز وجل هو الفاعل لكل شيء وهذا اسمه توحيد الربوبية . وكل عباداتنا ينبغي أن تكون خالصة لله وهذا توحيد الألوهية .

والله تعالى منزه عن التمثيل والتشبيه والتعطيل فهو **"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ".** [الشورى، آية 11] وهذا توحيد الأسماء والصفات .

الأصل الثاني/ الاتباع للقرآن والسنة:

لإن الفلسفات الإغريقية واليونانية لما دخلت على الفكر الإسلامي أفسدته. فنحن لا نريد مرجعية من أرسطو ولا أفلاطون نريد مرجعية الكتاب والسنة.

فنرجع إلى النبعين الصافيين وننهل أو نأخذ من حيث أخذ الصحابة الكرام.

ووضعوا لذلك شرطًا قالوا: الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة .لماذا؟

لأننا في زمن -يقصدون هذا الوقت في تقديم المعتزلة -في زمن لا يؤمن على الحي الفتنة، والأفهام قد تبدلت ،وتغيرت بسبب التأثر بالمنطق الأرسطي ، والفلسفات، والترف الفكري، وبروز علم الكلام والجدال إلى آخره.

الأصل الثالث / تقديم النقل على العقل:

ويقصد بالنقل ما ورد في الكتاب والسنة. أي شيء ورد في القرآن أو السنة الصحيحة سواء فهم العقل مغزاه أو لم يفهم يجب على المؤمن أن يقول "سمعنا وأطعنا".

فالخلل ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله بل الخلل في عقولنا؛ عقولنا لم تتسع لأن تفهم لكن لا يعني هذا رد الكتاب أو رد آيات القرآن أو رد السنة

وهذا الأصل لمخالفة المعتزلة فيما ادعوه بقولهم تقديم العقل على النقل.

هذه الأصول الثلاثة التي بنى عليها مصطلح السلفية في مقابل المعتزلة، ومن وافقهم من الفرق الأخرى.

بعد ذلك بمدة ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان في زمانه دالت دولة العباسيين وانتشر التتار... وبدأ يدعو الناس إلى محاربة الخرافات والبدع والعودة إلى الكتاب والسنة، وكان ألد خصومه يا للأسف بعض العلماء الجامدين المقلدين الذين كانوا سببا في سجنه أكثر من مرة ، بحجة أنه خالف ما عليه جماعة المسلمين.

ومرت الأيام لنرى أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان عالما فاهما واعيا مبدعا في فهم الكتاب والسنة ، ومن يقرأ في كتبه وأشهرها كتاب الفتاوى يعلم أن له قدما راسخة في العلم.

السلفية في العصر الحديث:

في عصرنا الحديث اشتهرت كلمة السلفية على مشايخنا وعلمائنا الإجلاء خاصة في السعودية، ومن سار على دربهم في أقطار العالم الإسلامي، وبرز على الساحة الشيخ ابن باز ، والشيخ ابن عثيمين رحمة الله على الجميع.

لكن يا للأسف صارت السلفية عند بعض المتعصبين أو الجهلة بالحكم الشرعي والخلاف الفقهي في الفروع عبارة عن مظهر محدد، أو شكل بزي

محدد، أو عن طريقة خاصة في فهم الدين، وهذا قصور في فهم السلفية، فصار عند بعض الناس -أقول بعض الناس وليس العلماء-، بعض الناس يرى أن السلفية هي لحية، أو السلفية هي لبس المرأة النقاب، أو السلفية هي لبس الثوب الأبيض وتحريم لبس البنطال والكرافت والبدلة، لأن فيها تشبها بالكفرة.... وقصروا كلمة سلف على اتباع مذهب الإمام أحمد بن حنبل فقط، وهذا أيضا فهم خاطئ لمعنى السلفية.

هل أنت سلفي؟

إذا أردنا أن نطلق كلمة السلف أو أن هذا سلفي فهذه تسمية تمييزية عن أهل البدع.

أنا مؤمن موحد بالله؟ أنا أتبع كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم -أنا لا أقدم عقلي على كلام الله ولا على كلام رسوله -صلى الله عليه وسلم.-

وبناء على هذا الوصف لو قرأنا كتب العلماء فإن معنى هذا أن كل علمائنا الأجلاء باختلاف مشاربهم ومواردهم إنما هم من السلف فلا يعقل أن نقول: إن أحمد بن حنبل أو محمد بن عبد الوهاب أو ابن تيمية رحمة الله على جميع علمائنا هم السلف فقط ، ثم نقول إن الشافعي ومالك وأبو حنيفة ليسوا من السلف ، هذا كلام خطأ ، فكل هؤلاء متبعون للكتاب والسنة.

من يقرأ في كتب العلماء وتفريعاتهم الفقهية وفهمهم لكتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلم أنهم مع الدليل يدورون حيث دار، وإن اجتهاداتهم في فروع الفقه مرتبطة بفهم الكتاب والسنة.

قد يصيب هؤلاء العلماء في كثير من القول وقد يخطئون، وقد قعد الأمام مالك قاعدته الذهبية: **(كل الخلق يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر)** وأشار بيده إلى قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم.-

فعلى هذا المعنى الإمام مالك بن أنس كان سلفيا، والإمام الشافعي كان سلفيا....الخ.

ولعلكم تلاحظون تاريخيا أن الإمام الشافعي تتلمذ على يد الإمام مالك، والإمام أحمد تتلمذ على يد الشافعي.

لم يكن هناك ما يعتقده بعض الجهلة الآن: أن الشافعية لهم دين والمالكية دين ثان والحنفية دين ثالث والسلفية دين رابع، كل هذا قصور في فهم ديننا دين الإسلام ، وفيه تضييق لما وسعه الله.

وفي بعض مسائل الفقه يدعي من لا يفهم أن هذا قول السلف ومن خالفهم فهو مبتدع!! فماذا لو عكسنا الصورة؟

قد يكون الحق في خلاف ما قلت وأنت المبتدع، أي نعم أنت مبتدع لأنك جعلت الخلافات الفقهية كالخلاف في العقيدة يترتب عليه الولاء والبراء، وهناك مناحرات ومساجلات وعداوات تقع بين المسلمين في المساجد وخارج المساجد وبين الأصدقاء، وبين طلبة العلم للخلاف في مسألة فقهية، وليس خلافا في الأصول.

وهذا يونس بن عبد الأعلى تلميذ الشافعي قال : اختلفت أنا والشافعي في مسألة(هذا تلميذ وهذا أستاذ) فلما انتهينا أمسك بيدي وقال يا يونس ما علينا لو اختلفنا في مسألة ولم تختلف قلوبنا؟!!

هناك البعض تختلف قلوبهم أو يختلف قلبه ؛بل وتختلف أضلاعه ويعادي ويتبرأ ولا يلقي السلام، لأن هذا مبتدع وهذا فاسق، ويوزع الألقاب على من حوله ما بين بدعة وفسق وجهر بالكبيرة....إن لم يكن تكفيرا والعياذ بالله.

وقد قابلت بعض هؤلاء في المساجد مثلًا لو الإمام جهر ببسم الله الرحمن الرحيم هذه عندهم بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ومعنى أنك محدث لبدعة فإن الرسول قال: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".**

إذا الصلاة باطلة، ويأتي السؤال: هل الصلاة وراء الإمام المبتدع جائزة أم لا؟

وكذلك موضوع اللحية الإمام الحليق الذي لا لحية له ما حكم الصلاة وراءه؟ وهل هو فاسق ترد شهادته؟ وهل هو مجاهر بمعصية وكبيرة من الكبائر؟

وكان بعضهم لا يرضى بأن يصلي خلف إمام حليق فيقصد مسجدًا آخر. فإذا وافق صلاته في مسجد إمامه حليق أعاد الصلاة!!!

وأنا والله أذكر وقائع وليست مبالغات.

النهي عن العصبية:

وهذا لا علاقة له بالإسلام ، فقد نهانا النبي -صلى الله عليه وسلم-عن العصبية وقال : **(دعوها فإنها منتنة)**

فسب العلماء وتجريحهم والتنقيب عن نياتهم وتتبع زلاتهم ،ليس أبدا من صفات عباد الله الصالحين.

أن نقصر الاتباع للكتاب والسنة على المذهب الحنبلي فقط ،أو بفهم بعض العلماء الإجلاء فقط هذا قصور في الفهم.

تقسيم الأمة وعلمائها الثقات كلهم إلى سلف ومبتدعة هذا تقسيم وهمي، من وحي خيال الذين لم يدرسوا الفقه ولا العلم ولا جلسوا على أيدي العلماء.

الخلاف في فروع العقيدة والفقه خلاف سائغ:

الخلاف في فروع الفقه مما أذن الله تعالى به لهذه الأمة، سعة منه ورحمة بعباده، كما قال إمامنا -صلى الله عليه وسلم- : **(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان منه فلا تسألون عنها.)**

فكثير من الناس مثلا كمسألة الاحتفال بمولد الرسول، يأتي ويقول هذا ليس مذهب السلف.

وهل الاحتفال برسول الله صلى عليه وسلم والاهتمام بالحديث عنه وعن سيرته وأخلاقه بدعة ومعصية وشر وفساد ؟

هذه مسألة فرعية من فروع الدين فيها اختلاف بين العلماء... والاختلاف فيها مقبول أنت إذا أخذت بقول أحد العلماء ألّا تحتفل -جزاك الله خيرا.-

وإذا أخذت بالرأي الآخر أن أسمع لسيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والحديث عن أخلاقه، ونحيي في القلوب هذا الحديث؛ فأنا كذلك متبع للسلف وقصدي هو تعظيم ما عظمه الله وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم.-

زكاة الفطر حبوب فقط!!

ونفس الأمر في رمضان، موضوع زكاة الفطر... أحد الإخوة جاءني بعشرة كيلو أرز... وقال هذه زكاة الفطر.

قلت له تعال أين أذهب بها ؟ أين أذهب بعشرة كيلو أرز ؟

قال يعني أنتم لا تعملون بالسنة؟ قلت له من السنة أن تفهم العصر الذي تعيش فيه، فالرسول أمر بزكاة الفطر طعاما ليكون طعمة للمساكين لأن هذا هو المتوفر في زمانهم فقد كانت النقود عزيزة.

لكن إذا كان هناك الفلوس في زماننا سهلة الانتقال والفقير يشتري بها ما يشاء من أغراضه أوفي قضاء ديونه إلى غير ذلك، ما المشكل في ذلك؟

قال إذاً أنت تأخذ بقول المبتدعة!!!

قلت له أنا أعمل بقول السلف .... هل تعلم أن هؤلاء المبتدعة -كما زعمت- هم الإمام أبو حنيفة وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري وشيخ الإسلام ابن تيمية ورواية في مذهب الحنابلة ورواية في مذهب الشافعية ورواية في مذهب الإمام مالك ؟

قال: كل هؤلاء مبتدعة!!!

هكذا بكل بساطة نرمي كل هؤلاء الأئمة في سلة القمامة، ونقول عنهم مبتدعة هكذا؟ هذا كله والله قصور في الفهم.

هل السلفية هي التشدد في الفتوى؟

هناك مسألة أخرى وهي أن البعض عنده أن السلفية هي التشدد في الدين وفي الفتوى، لما يكون عندنا شيخ كلما سئل عن شيء يقول : حرام بدعة يقولون هذا شيخ ما شاء الله شيخ ممتاز متمسك شيخ صلب هذا هو الدين هذا هو الالتزام والتدين!!! من الذي زعم هذا؟

الإمام سفيان الثوري وهو من سلفنا المباركين قال : **(التشديد يحسنه كل أحد؛ إنما الفقه الرخصة من ثقة.)**

فما أسهل وأسرع كلمة حرام؟ عندنا النص ثم فقه النص، ثم هناك فقه الواقع الذي نسقط عليه هذا النص.

وقد تكلم في هذه المسألة باستفاضة الإمام ابن القيم في كتابه **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ولو قرأنا في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لرأينا هذا الأمر جليا واضحا.

فلو أن شخصا مغيبا عن الواقع الذي يعيشه أو يغيب عقله ويتغافل ويرمي كل من خالفه من العلماء بالبدعة لأنه لم يوافق هواه، أو إن الشيخ ليس متشددا كما هو يحب، أو متساهل كما هو يكره نقول لك: إن هذا قصور في فهم ديننا.

ووصل الحال إلى أن الصلاة في المسجد الفلاني جائزة والمسجد الفلاني غير جائزة، والشيخ فلان مبتدع والشيخ فلان فاسق والشيخ فلان سلفي والشيخ فلان تلفي.

كل هذا والله من سبل الشيطان، وتمزيق للأمة الممزقة أصلا.

المدارس الفقهية موجودة عبر التاريخ وان اختلفت الاسماء لكن لم يختلف مسلم أو عالم من العلماء أن الأصل اتباع الكتاب والسنة.

فأي عالم أخطأ نقول له: أخطأت، ما المانع من ذلك؟

لكن لا نتهم نيته ولا نبادر برميه بالفسق أو البدعة أو ما شابه ذلك.

إذن السلفية:

- لا تعني التشدد.
- ولا تعني رمي العلماء بالألقاب السيئة.
- ولا تعني التنقيب عن النيات.
- ولا تعني الجمود.
- ولا تعني اباحة دماء المسلمين المخالفين في المذهب ولا تكفيرهم.

السلفية هي عودة المسلم الى المنبع الصافي الكتاب والسنة، بهذا الفهم كلنا سلفيون، وإن كنا في الاصل نحن مسلمون، كما سمانا الله : **(هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) [الحج :78]**

والفرعيات وسع المسلمين في كل زمان ومكان من بعد القرون الثلاثة الفاضلة الاولى وسعهم هذا الاختلاف وهذا الاجتهاد؛ فمنهم المصيب ومنهم المخطئ، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- **(فمن أصاب له الأجران ومن أخطأ له أجر)**، والله -سبحانه وتعالى- مطلع على القلوب والنيات.

تقديس المشايخ:

وهذه آفة موجودة في أغلب الجماعات والمدارس الفقهية، وهي موجودة في التاريخ قديمًا وحديثًا؛ وكما قلت وأكرر: لا عصمة لأحد بعد رسول الله. أي إمام من الأئمة أي علم من الأعلام مهما كان لقبه: شيخ الإسلام شيخ المذهب الفلاني إمام دار الهجرة إمام أهل السنة المفتي العام شيخ الأزهر وزير الشؤون الإسلامية سمِّ ما شئت هو بشر يصيب ويخطئ؛ فلا ندعي القداسة لشيخ أبدًا.

بمعنى لو أني بلغني فتوى أو رأي عن شيخ من المشايخ خالف فيه الكتاب والسنة ماذا أفعل؟

الآفة التي هي في كثير من الجماعات العاملة للإسلام هي التعصب للشيخ وتأويل كلامه ومحاولة الذب والدفع عنه بأقصى ما يكون حتى لا يظهر الشيخ أنه أخطأ رغم أني أقول أن خطأ أي شيخ طالما أنه ليس اتباعًا لهوى وليس ناشئًا عن مجاملة لذي سلطان ؛ **فالرجل له أجر الاجتهاد كما قال النبي: " إذا اجتهد فأصاب له أجران وإذا أخطأ له أجر" .**

فلما أقول أخطأ الإمام مالك أخطأ الإمام أحمد أخطأ الشافعي أخطأ البخاري أخطأ ابن باز أخطأ القرضاوي .... أي شيخ من المشايخ قديمًا أو حديثًا هذا ليس معناه أني أسيء الأدب مع هذا الشيخ ولا معناه أن الشيخ أنزلته من أعلى عليين إلى أسفل سافلين.

كلا؛ أخطأ بمعنى أنه لم يصب الصواب في الاجتهاد، وقد أكون أنا المخطئ وهو المصيب. وهذا مما يحتمل الاختلاف والاجتهاد والأخذ والرد.

ونعلم يقينًا يا إخواني أن من العلماء من يأخذ بظاهر النص ومن العلماء من يأخذ بالمقصد الشرعي من النص.

الخلاصة :

"اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ". سورة الفاتحة، آية 6.

معناها :

- أن تتبع طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- وأن ترجع إلى المنهج الأصلي الكتاب والسنة.
- وأن تقدم ما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله على العقل.
- إن فهمت الحكمة التشريعية والأمر الإلهي فالحمد لله.
- إن لم أفهمه جيدًا فالخلل عندي أنا في عقلي وفي فهمي أنا وليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- لا ينبغي أبدًا أن نحصر مفهوم السلفية على المذهب الحنبلي أو على مدرسة السعودية.
- مصطلح السلفية مصطلح عام يشمل كل من أعلن اتباعه للكتاب والسنة ونبذه للفرقة والبدعة والاختلاف وتقديم العقل على النقل.

- لا ينبغي أبدًا أن نقدس المشايخ ولا أن نعتقد لأحد فيهم العصمة. إنما نعتقد أنه لا عصمة لأحد بعد الأنبياء.
- وكل الخلق يؤخذ منه ويرد عليه إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين. لا ضالين ولا مضلين.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت.

وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه.

وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

اللهم اهدنا سبل السلام وأخرجنا من الظلمات إلى النور.

وثبتنا على الحق إلى أن نلقاك.

اللهم امين.

****

المبحث السابع

الصراط المستقيم والبدعة في الدين

تحدثنا في الفصل السابق عن معاني **الصراط المستقيم**، ومفهوم السلفية، وهناك موضوع آخر لا بد من التطرق إليه وهو موضوع البدعة، وهو يأتي في مقابل اتباع السنة وقد يصنف المبتدعة مع الصنف الثالث **(الضالون).**

المبتدع لا يفكر في التوبة !!

الشيطان، أحدث البدع وزينها للناس فأضلّ به خلقا كثيرا، ولذلك فإن المبتدع أخطر من العاصي، لأن المبتدع قد يعصي الله، وهو يلبس عباءة الدين، فيضل خلقا كثيرا؛ ولأن العاصي يعلم أنه عاصٍ، ولعله يتوب إلى الله ويرجع عما هو فيه ويندم، أما المبتدع فإنه يعصي الله وهو يلبس عباءة الدين فهذا من أخطر ما يكون، حتى قال بعض السلف: إن خطر البدعة على صاحبها أشد من خطر المعصية.

فالمبتدع لا يفكر في التوبة؛ لاعتقاده أن بدعته قربة؛ ولذلك قال سفيان الثوري : **البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها"**

ولكن لا شك أن المبتدع إن تاب تاب الله عليه؛ لعموم الأدلة على قبول التوبة.

وسبب بعده عن التوبة أن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس؛ لأنه أمر مخالف للهوى وصاد عن سبيل الشهوات، فيثقل عليها جدًّا؛ لأن الحق ثقيل، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها، لا بما يخالفه، وكل بدعة فللهوى فيها مدخل؛ لأنها راجعة إلى نظر مخترعها ، بالإضافة إلى أن المبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشرع، ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع، فصار هواه مقصودًا بدليل شرعي في زعمه، فكيف يمكنه الخروج عن ذلك، وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به، وهو الدليل الشرعي في الجملة؟

ولا شك أن الذي وقع في البدعة خطأ أقرب إلى الهداية ممن وقع فيها قصدًا، وكذلك المقلد فيها أقرب إلى التوبة من الداعي إليها.

ما هي السنة وما هي البدعة؟

السنة هي الطريقة المسلوكة المحمودة وفي الإطلاق يغلب إطلاقها على سنة رسول الله صلى الله عليه وهي ما نقل إلينا عنه- صلى الله عليه وسلم- من كل قول أو فعل أو تقرير أو صفة من الصفات.

ويقابلها البدعة وهي طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد، وهذا تعريف الإمام الشاطبي.

المحدثات المنهي عنها في الدين وليس الدنيا:

ومعنى هذا أن عندنا معنى لغوي للبدعة، فكل شيء حادث فهو شيء مبتدع، فكثير من الأشياء التي حدثت لنا في الدنيا من المحدثات، لا يتعبد لله- عز وجل- بمثل هذه الأمور، فلا يأتي أحد ويقول :أنا سأركب الناقة والحصان والحمار كما ركبها رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، هذا ليس فيه اقتداء، لأن هذه أمور دنيوية مباحة، والإمام مالك إمام دار الهجرة رحمة الله عليه، كان من أدبه أنه كان لا يركب أي دابة في المدينة، يقول أنا لا أركب دابة تطأ بحافرها في تربة وارت جسد رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، هذا أدبه، رحمة الله عليه، لكنه ليس فيه سنة، ولو كان فيه سنة لفعلها من هو خير منه أبو بكر وعمر والصحابة الكرام الكبار، وما زال الناس يركبون الدواب ، و لكن هذا أدب رآه الإمام مالكا رحمة الله عليه.

فليس من التدين ترك ركوب السيارة لأن النبي لم يركبها ،وليس من التدين ترك الأكل بالملعقة لأن النبي لم يأكل بالملعقة، أو ترك الأكل على السفرة أو ما شابه ذلك من هذه الأمور الدنيوية، هذه أمور تتطور بتطور عادات الناس ووفقا للوسائل والمقاصد وتغير الزمان والمكان.

ولذلك العلماء وضعوا قاعدة ألا وهي :

الابتداع في الدنيا، والاتباع في الدين

نعمل فنبدع في دنيانا، ونحرز التقدم وعندنا اختراعات وعندنا علوم ومعارف، وهذا من أهم مميزات الحضارة الإسلامية أنهم كانوا مبدعين في كل التخصصات وفي شتى التخصصات، وكان الملوك والأمراء والأغنياء والوجهاء في أوروبا في عصور الظلام، يرسلون بأبنائهم وذويهم وأهليهم في دولة الحضارة الإسلامية العلوم التي امتلأت بها دولة الإسلام في هذا الوقت في فترة الدولة العباسية خصيصا وما بعدها، وكان النبلاء في أوروبا إذا جلس أحدهم يفتخر أن عنده معرفة ببعض الكلمات العربية ، أو أن هذا حاصل على شهادة كذا وإجازة كذا في العلوم الدنيوية من العالم فلان الفلاني الذي يقيم في بلد الشام أو العراق أو مصر أو ما شابه ذلك،- سبحان الله- العظيم.

تطور الوسائل:

هناك أمر يجب فهمه في موضوع البدعة وهو ما سماه الفقهاء: الوسائل والمقاصد.

المقصد أنك إذا أردت الأذان أن يسمع صوتك أكبر عدد من الناس مذكرا لهم بوقت الصلاة.

الوسيلة التي تبلغ الناس بها صوتك، بدأت بالمئذنة، المئذنة ليست سنة، ولم يكن المسجد النبوي له مئذنة ، لكنها أحدثت فيما بعد لأن سيدنا بلال كان إذا أراد أن يؤذن ارتقى أعلى الأسطح في المنازل، ويؤذن حتى يبلغ صوته أعلى مدى، فكان اختراع المئذنة وصارت المئذنة من علامات العمارة الإسلامية وسمة معروفة، فيؤذن المؤذن ويسمع صوته لأهل المدينة كلها أو لأهل الحي كلهم، ومثل هذا ما تطور فيما بعد في صورة مكبرات الصوت، الميكروفونات هذه أيضا وسائل، فنحن لا نتعبد لله لا بالمئذنة ولا بالميكروفون، ولا ما استحدث بعد ذلك من وسائل أخرى إنما نتعبد لله بالمقصد وهو تبليغ الآذان للناس.

نفس الكلام في المنبر، بعض الناس يقول لك السنة ثلاث درجات في المنبر، فإذا زاد عن ثلاث فهو خلاف منبر رسول الله، فهذا بدعة !!

وهذا عدم فهم صحيح للمقصد الشرعي من المنبر، كلمة نبر ارتفع، ومنه النبر في التجويد، وهو ارتفاع الصوت عند النطق بحرف، فسبب المنبر أن يكون الخطيب ظاهرا لجميع الناس الذين ينظرون إليه، لا يضر إن كان درجة أو درجتين، أو منصة ، أو منبر مثل المنابر في بعض المساجد القديمة ما شاء الله تحس أنك طالع للسماء عشرين درجة حتى تبلغ سقف المسجد- سبحان الله-، فهذا ليس مقصودا لذاته، المقصود أن كل من في المسجد ينظر للخطيب فإذا رآه وسمع صوته كان ذلك أبلغ في العظة والتذكرة.

وأذكر في التاريخ كان البعض يرى أن الميكروفونات من الشياطين، وإن الذي يضخم الصوت ويكبر الصوت هو الشيطان، – سبحان الله-! هذا كان فكرا موجودا سبحانك يا رب!

فهذه وسائل لها أحكام المقاصد، المقصد أو الغاية مشروعة وهي تبليغ الآذان، فمن هنا تنوعت الوسائل، فالوسائل ليست توقيفية لا يجوز تغييرها إنما هي تتغير بتغير الزمان والمكان.

طباعة المصحف الشريف:

مثال آخر حتى نفهم معنى كلمة البدعة في زمن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان القرآن يكتب في الأوراق ، والأوراق كانت نادرة بل كانت معدومة، فكانوا يكتبون على جلود الحيوانات ويكتبون على عسف النخيل (جريد النخل) ويكتبون على العظام العريضة الرقيقة يسمونها اللخاف، هذه وسائل الكتابة، مع تطور وسائل الطباعة والكتابة صار عندنا المصحف، ووصل الحال الآن أن القرآن تطبيق على الهاتف أو على الأجهزة الذكية فيه جميع القراءات وفيه أصوات القراء وفيه تكرار الآية وفيه تفسير الآية وفيه ترجمة معاني الآيات ، فهل يتعبد لله بأن نقرأ القرآن مكتوبا على جلد أو عظم أو لوح خشب أبدا هذا غير مطلوب.

وبعض الإخوة قال لي: لو تكلم الإخوة، لأنهم هجروا المصاحف في المسجد ويقرأون القرآن من الهواتف ، فقلت له هذا مصحف وهذا مصحف، سواء كان المصحف ورقيا أو كان المصحف إلكترونيا، هو كلام الله- عز وجل-

كونك تستريح لهذا أو ذاك هذه مسألة شخصية، فهذا من باب تطور الوسائل، لكن الأصل اللي نتعبد به لله تلاوة القرآن وحفظ القرآن ومدارسة القرآن إلى آخره.

أريد أن تكون هذه المفاهيم واضحة، لأن بعض الناس عند تطور الوسائل يجمد، وأي تطور في الوسيلة يسميه بدعة، لا هذا غير صحيح، الوسيلة متغيرة.

البدعة المحرمة إحداث شيء ليس له أصل في الدين:

المقصود بالبدعة المحرمة من أحدث شيئا ليس له أصل في الدين، أما من أحدث شيئا له أصل في الدين فهذا لا يعتبر بدعة، مثلا لو قلنا إن شاء الله- عز وجل- سنقوم بدرس في أحكام التجويد كل يوم بعد صلاة العشاء، هل هذه بدعة هذه ليست بدعة، لأنها تندرج تحت الأصل العام وهو مدارسة القرآن وتعلم القرآن وأحكام القرآن، والقراءة الصحيحة للقرآن، ولا نعتقد أن ليوم الجمعة مساء بعد العشاء له مزية عن غيره، أو له فضيلة عن غيره.

وكذلك الدروس يومي السبت والأحد لأنهما يومي إجازة نهاية الأسبوع، هل في تخصيص يومي السبت والأحد بالدروس فيه بدعة؟

لا ليس فيه بدعة، لأنه يندرج تحت الأصل العام للشريعة من تعلم العلم والفقه في الدين والشريعة.

هل ختم القرآن الكريم في رمضان في صلاة التراويح والتهجد هل فيه سنة؟

ليس فيه سنة تتبع، ولم يرد عن الرسول أنه ختم القرآن في صلاة التراويح والتهجد في رمضان، الوارد أنه كان يكثر من تلاوة القرآن، وكان جبريل يعارضه القرآن في رمضان، لكن هذا يندرج تحت الأصل العام وهو استحباب تلاوة القرآن خاصة في رمضان، فختم القرآن ليلة السابع والعشرين أو ليلة التاسع والعشرين هذا من العمل الصالح الذي توافقت عليه الأمة.

كسوة الكعبة وغسل الكعبة مرتين:

هل ورد فيها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد عن الرسول فيها شيئا، لكنها تندرج تحت الأصل العام في قوله تعالى : **(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) [الحج :32]**

جمع القرآن في مصحف واحد:

ومثل هذا جمع القرآن في مصحف واحد لما كثر القتل في القراء، وسيدنا عمر أشار على أبي بكر بهذا الأمر، وخاف أبو بكر، وقال كيف أفعل ما لم يفعله رسول الله فما زال به حتى اقتنع ووافق فجمع القرآن لأول مرة في مصحف واحد.

وعثمان- رضي الله عنه- لما اختلف الصحابة والتابعون على قراءة القرآن لأن القرآن نزل أولا على سبعة أحرف، فقيدهم بحرف قريش، وأمسك ببقية المصاحف فاحرقها، لأنه رأى أن هذا بابا سيفتح فتنة وشرا على المسلمين، فهذا الفعل من عثمان- رضي الله عنه- يندرج تحت الفهم الوارد عن الكتاب والسنة صيانة وحفظا للشريعة.

صلاة التراويح في جماعة:

سيدنا عمر لما دخل المسجد فوجد الناس يصلون أوزاعا أي جماعات متفرقين؛ كل مجموعة معها أمام يصلي التراويح، فقال : لو جمعنا الناس على إمام واحد ؟

ما الذي منع رسول الله من ذلك؟

منعه أنه خاف أن تفرض عليهم، وقد انقطع الوحي بوفاة الرسول، فجمع الصحابة على أبي بن كعب، فكان إمام الرجال، أبي بن كعب ، وكان إمام النساء خباب رضي الله عنهم أجمعون.

فلما رأى الناس يصلون ماذا قال عمر؟ قال نعمت البدعة هذه، هذا الفعل ليس بدعة بمعناه الشرعي أبدا، هذا الفعل بدعة بمعناه اللغوي، أنه استحدث هذه الطريقة لجمع مسلمين على إمام واحد.

لكن هل لهذه الفعلة أصل في الشريعة؟

نعم لها أصل وهو أن رسول الله صلى واقتدى الناس بصلاته، لأن الشيعة يقولون إن صلاة التراويح من اختراع عمر، الشيعة لا يصلون التراويح في رمضان، وهذا من العجائب.

عدد ركعات التراويح:

الرسول كان يصلي كمْ ركعة؟ كان يصلي قيام الليل في رمضان أو التراويح في رمضان أحد عشر ركعة، في عهد عمر صلوا عشرين ركعة وكانوا يوترون بثلاثة.

فهم فهموا أن قيام الليل ليس له عدد، فقالوا بدلا من إطالة القراءة نقصر القراءة ونزود الركعات، ففهم الصحابة أن قيام الليل بابه مفتوح فكانوا يصلون بثلاث وعشرين ركعة.

وأهل المدينة في عهد عمر بن عبد العزيز لما كان أمير المدينة، قالوا إن أهل مكة بين كل أربع ركعات وأربع ركعات يطوفون بالبيت سبعة أشواط، فنحن نبدل كل طواف بأربع ركعات، فكانوا يصلون تسعا وثلاثين ركعة، ويوترون بثلاث، الظاهر كان الشتاء عندهم طويلا ما شاء الله ، كمْ ركعة صلوا ؟ واحد وأربعون ركعة،- سبحان الله.-

وفعل الصحابة هذا يبرهن على بطلان من قال إن الزيادة على أحد عشر ركعة بدعة، أنت بذلك ترمي عمر، وصحابة رسول الله والتابعين وتابعيهم، بأنهم كانوا مبتدعة، والحرم المكي إلى الآن لا زالوا يصلون ثلاث وعشرين ركعة في رمضان.

الاختلاف في الأمور الفرعية الفقهية ليس بدعة:

مثلا في مذهب الإمام الشافعي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم مع الفاتحة، بقية المذاهب منهم من يرى الإسرار، ومنهم من يرى الترك، المذهب المالكي يقول: لا يجهر بها إلا في التطوع، وفي الفريضة قالوا لا حتى لا يعتقد أنها آية من الفاتحة، لأن الإمام مالك مذهبه أنها ليست أية من الفاتحة.

لو أن رجلا كان على مذهب الإمام أحمد يسر بها، فإذا سمع الإمام يجهر بها يقول هذا مبتدع، فهذا خطأ كبير، فلا يقال فيما اختلف فيه بدعة، عندنا **الحديث في صحيح البخاري عن أنس- رضي الله عنه- قال: (صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين) وحديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين، قال حمدني عبدي) ولم يقل بسم الله الرحمن الرحيم.**

الإمام الشافعي يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقال: إن معنى الحديث **(يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين)** قال إن هذا اسم لسورة الفاتحة، لأن رسول الله وصحابته كانوا يسمون السور بأوائلها أو بفواتحها، فيقال سورة الحمد لله رب العالمين، سورة هل أتى على الإنسان ،وهكذا ، فكانوا يسمون السور بأوائلها، وليس المقصود أنه كان يفتتح بقوله تعالى **(الحمد لله رب العالمين)**

حديث أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان إذا فرغ من الدعاء مسح وجهه بيديه، رجاء بركتها، وكان ينفث بالمعوذات، فهو رافع يده ويدعو ثم يمسح بهما وجهه، هذا الحديث ورد بسند ضعيف، فالبعض يرى أن هذا من بدع الدعاء، لكن بعض العلماء استحبه من باب العمل بالحديث الضعيف في الفضائل، فلا يقال عمن مسح وجهه بيديه إنه مبتدع.

الصحابي إمام مسجد قباء:

مسجد قباء بينه وبين مسجد رسول حوالي سبعة كيلومتر، إمام مسجد قباء (كلثوم بن الهدم-رضي الله عنه-) كان إذا قرأ الفاتحة افتتح بسورة قل هو الله أحد، ثم يفتتح القراءة بسورة أخرى من يصلون وراءه اختلفوا عليه وقالوا له أما إن تقرأ قل هو الله أحد وأما أن تقرأ في السورة، فلما أبى وكانوا يعتبرونه من أقرئهم رفعوا الأمر لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فالنبي قال لهم سلوه ما الذي حمله على ذلك ؟

قال إني أحبها، لأنها صفة الرحمن، جل جلاله.

ماذا قال النبي ؟ قال له حبك إياها أدخلك الجنة.

وفي رواية أحبك الرحمن.

ما المستنبط من هذا الحديث؟

أن هذا الصحابي فعل ما لم يكن رسول الله يفعله، لكن هل رد رسول الله فعل الرجل؟ أبدا، بل أقره وأخبره أن حبه لسورة قل هو الله أحد سبب من أسباب دخوله للجنة.

لماذا تركه النبي وأقره؟

لأن هذا يندرج تحت الأصل العام وهو **(فاقرأوا ما تيسر من القرآن)** لو أن رجلا يحب سورة من القرآن، يحب سورة يس أو الرحمن، فيقرأ بها كثيرا، لا بأس، لكن ليس معنى هذا أن يهجر القرآن كله.

قصة بلال عندما سمع الرسول دف نعليه بين يديه في الجنة:

في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر: يا بلال حدثني بأرجي عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة، قال ما عملت عملًا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورًا في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي) وهذه هي سنة الوضوء، وقد وافقه النبي عليها.

خبيب بن عدي تعرض للقتل، قبل أن يقتلوه، قال اتركوني أصلي ركعتين، فهو أول من سن سنة ركعتي القتل.

وهذا كله يندرج تحت الأصل العام : وهو استحباب التطوع ، واستحباب صلاة النفل؛ ما لم يكن الوقت وقت كراهة.

الإنكار فيما يخالف الدين:

1-لما رأى النبي زوجته جويرية تصوم يوم الجمعة، منفردا ؛ قال لها أصمت أمس؟ قالت: لا، قال: تصومين غدا؟ قالت لا، قال إذن فأفطري.

فرغم أن الصيام مستحب، وصيام التطوع من أحب القربات إلى الله، لكنه نهى عن إفراد يوم الجمعة بالصوم، فنهاها، ولم يشجعها.

2- في صحيح البخاري: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟! قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

فسمى غلوهم رغبة عن السنة ونهاهم عنه- صلى الله عليه وسلم-.

3- النعمان بن بشير جاء أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له إني نحلت ابني هذا غلاما فقال له أكل ولدك له نحلة مثل هذا قال لا قال فارددده [وفي رواية] ألكل ولدك نحلة مثل هذا؟

قال: لا .قال : أتحب أن يكون الكل في البر سواء؟ قال :نعم

قال: فسو بينهم في العطية .

وفي رواية أشهد على هذا غيري وفي رواية إني لا أشهد على جور.(ظلم)

فلم يرض النبي- صلى الله عليه وسلم-، أن يخص ولد من الأولاد بالعطية دون بقية إخوته.

4- لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم قال ما هذا يا معاذ قال أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تفعلوا فإني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها

5- أبو بكرة دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم راكع فركع دون الصف ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم زادك الله حرصا ولا تعد

6- تقول الربيع بنت معوذ تقول دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة عرسي، وعندي جاريتان يتغنيان وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم

بدر، وتقولان فيما تقولان: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: أما هذا فلا تقولوه، ما يعلم ما في غد إلا الله.

إذن ما يندرج تحت الأصل العام في الشريعة، لا نقول عليه بدعة، وما ورد فيه اختلاف فقهي ويحتمله الدليل لا نستطيع أن نقول عنه بدعة.

أما ما خالف الشريعة وكان مستحدثا في الدين بنية القربة إلى الله أو فيه غلو أو فيه تشريع أو فيه تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فهذا نقول عنه هذا بدعة.

البدعة الحسنة والبدعة السيئة:

هذا التقسيم عند العلماء يغلب عليه المعنى اللغوي للبدعة، أنا لو قلت طباعة المصاحف مع وضع علامات للتفسير أو للقراءات، هذا شيء مبتدع، لا أقصد به مبتدعا حراما، إنما أعني أنه شيء مستحدث.

تطبيق آية وهو تطبيق مشهور جدا ، فيه تلاوة للقرآن بمختلف الأصوات وجميع القراءات وترجمة وتفسير، و- سبحان الله- تضع أصبعك على الآية فيأتيك بعشرين تفسير، فيمكن أن نقول هذا شيء مبتدع أو بدعة حسنة ، أنا أقصد أنه شيء فيه إبداع وفيه معنى نعمت البدعة كما قال سيدنا عمر.

مكبر الصوت هذا، ممكن نقول عليه نعمت البدعة هذه بدعة حسنة لأن هذه الأمور تسهل العبادة، وليس المقصود أنها بدعة بالمعنى الشرعي .

فالبدعة الحسنة بمعناها اللغوي ما كان شيء فيه إعانة على طاعة الله- عز وجل-

وبعض العلماء توسع وقال: البدعة فيها الأحكام الخمسة، في بدعة واجبة وبدعة مستحبة وبدعة مكروهة وبدع مباحة وبدعة محرمة ، وكل هذا يصب في المعنى اللغوي للبدعة.

لكن المعنى المحرم الذي أتفق العلماء على تحريمه هو بدعة استحداث شيء في الدين يخالف الشريعة أو يحرم ما أحل أو يحل ما حرم الله.

حديث (من سن في الإسلام سنة حسنة):

معناه الاتباع في الدين وليس معناه الابتداع في الدين، والمقصود به من أحيا سنة ماتت، سن في الإسلام سنة حسنة أحيا سنة ماتت، كمن يعلم الناس الأذكار بعد الصلاة، قال يا جماعة الخير الرسول علمنا بعد الصلاة نستغفر الله ثلاثا ونقول اللهم أنت السلام ومنك السلام وقراءة آية الكرسي والتسبيح كذا وكذا وبدأ يعلم الناس فأحيا الله به سنة فهذا سن سنة حسنة إما بفعله وإما بتذكيره للناس.

الناس تغفل عن صيام الثلاثة البيض، فيذكر الناس وتبعث رسالة غدا بداية الأيام البيض، فيحيي الله تعالى به سنة.

سنة الأضحية:

عندنا في مصر كان الناس قديما يعظمون شيخا في بلد اسمها طنطا اسمه السيد البدوي، فتعلف البهيمة طوال العام ثم تذبح في المولد ، ولا يعرف الناس الأضحية، تجار البهائم لما كان أحدهم يبيع حاجة يقول لك : ولا عجل السيد كان يقصد السيد البدوي ، فهجر الناس السنة و وقاموا بعمل البدعة، فإذا جاء شيخ أو عالم يحيي السنة ويعلم الناس أن الذبح لغير الله لا يجوز، وأنه ليس هناك مكان للذبح ولا زمان إلا ما حدده الشرع بالأضحية، فهذا سن في الإسلام سنة حسنة.

البدعة الحقيقية:

هي التي لا دليل عليها من الأصل، مثلا واحد قال لك نحن نصلي في ليلة النصف من شعبان ست ركعات، ركعتين بنية سعة الرزق، وركعتين بنية الشفاء من المرض، وركعتين بنية حسن الخاتمة أو الغنى، وفي مئة ركعة يسمونها صلاة الرغائب برجب|؛ هذه ليس فيها سنة تتبع.

البدعة الإضافية:

قالوا الدليل عليها من جهة الأصل موجود أما البدعة فتكون في الكيفية، مثل قول الرسول إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن ثم صلوا علي، فهذه سنة فالمؤذن يقول لا إله إلا الله وينتهي آذانه، والسامع ينتهي من لا إله إلا

الله ويقول: اللهم صلِّ على محمد وعلي أل محمد، فالمؤذن يزيد في الآذان الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم-، ويقول الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله، يا حبيب الله يا جد الحسنين...الخ، فالأصل استحباب الصلاة على النبي بعد الأذان للمؤذن والسامع، لكن الكيفية فيها ابتداع.

البدعة الفعلية والبدعة التركية:

البدعة الفعلية: فعل ما لم يشرع في الدين تقربا إلى الله، مثل الرهبانية، ربنا قال (ورهبانية ابتدعوها) لا يتزوج ولا يعيش حياة طيبة ولا كذا، – سبحان الله- لم يشرعه الله ولم يأذن لهم به فابتدعوه واخترعوه وأسسوه على أنه دين، ويتعبدون لله تعالى به، ونفس الكلام فيمن ينقطع عن الزواج، ويرى أن ذلك تقرب إلى الله، قال فمن رغب عن سنته فليس مني.

فالبدعة الفعلية: أن يفعل شيئا تقربا إلى الله وهو بدعة ليس له أصل في الدين أو يترك شيئا مما شرعه الله على أساس أن تركه قربة إلى الله، مثل من يحرم على نفسه أكل شيء، يحرم على نفسه اللحم ، يقول أنا قربة إلى الله وزهدا لا آكل اللحم، فهذه بدعة تركية.

الخلاصة

1- يجب أن تكون العبادات كلها موافقة للشرع.
2- الشعائر التعبدية إذا كانت على خلاف الشرع فإنها مردودة على صاحبها غير معتبرة، وهو مع ذلك آثم.
3- تجري البدعة في الأمور التعبدية التي يتقرب بها إلى الله .
4- العادات التي لا تشوبها عبادة والأمور الدنيوية لا مدخل لها في باب البدعة .
5- يجوز الانتفاع في كل ما يحقق مصلحة دينية أو دنيوية من الصناعات .
6- الأصل في العبادات الحظر إلا ما دل الشرع على فعله والأصل في العادات الحل إلا ما دل الشرع على منعه.

7- هناك فرق بين البدعة والمصلحة المرسلة ، فالبدعة تكون في الأمور التعبدية ويقصد بها التقرب إلى الله وليس لها أصل في الشرع لا في جنسها ولا في عينها ، أما المصلحة المرسلة فتكون في الوسائل ولا يقصد التعبد بها وقد دل الشرع على اعتبار جنسها وليس فيها مخالفة للشرع ومنافاة لمقاصده كاتخاذ عمر رضي الله عنه الديوان وجمع عثمان رضي الله عنه القرآن وبناء المسلمين المدارس والأربطة ونحو ذلك مما ظهرت مصلحته ودعت الحاجة إليه ولم يقم مقتضاه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن يقصد به التعبد.

8- جنس البدعة أشد من جنس المعصية لأن العاصي يعمل الذنب لشهوة من غير اعتقاد وهو في قرارة نفسه يعلم أنه مخالف للشرع ودائما يحدث نفسه بالتوبة ، أما المبتدع فيعمل البدعة عن اعتقاد أنها من الدين ويتقرب إلى الله بذلك ولا يزداد إلا إصرارا على بدعته.

نسأل الله- سبحانه وتعالى- أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه

وأن يرزقنا الفهم عن الله ورسوله

وأن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين.

اللهم آمين.

****

المبحث الثامن

الهدى والضلال إجبار أم اختيار؟

من الأسئلة التي تعرض لنا كثيرا: إذا كان الله تعالى شاء أن يكفر الكافر ويؤمن المؤمن، وأن يطيع المطيع ويعصي العاصي، فلماذا يعذب هذا الكافر ويثيب هذا المؤمن؟

هذه شبهة متكررة وقد تُطرح بصيغة أخرى: هل الإنسان مسيَّر أم مخيَّر؟ إذا كان كل شيء قد سبق في علم الله، فلماذا يعاقبنا على أفعالنا؟ إلى آخر ذلك.

أنواع الهداية

لقد سبق أن تكلمنا عن أنواع الهداية، وقلنا إن الهداية نوعان:

1. **هداية البيان** :وهي بيان طريق الحق من الباطل، والطاعة من المعصية.
2. **هداية الإعانة والتوفيق** :وهي توفيق الله للعبد للسير في طريق الحق بعد بيانه له.

الملائكة والانس والجن

خلق رب العالمين جل في علاه خلقًا لا يعرفون إلا طاعته، وهم الملائكة. من صفاتهم:

- الملائكة خلقهم الله لطاعته، لا يعرفون غير ذلك.
- ليس عندهم شهوة ولا غرائز كالإنس والجن.
- الملائكة لا تأكل، ولا تشرب.
- ليس فيهم ذكور ولا إناث، ولا زواج.
- لا ينامون، لا يجوعون، لا يمرضون.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما من موضعِ أربعِ أصابعَ إلا وفيه مَلَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ".

هذه خِلقَتُه، ملكٌ خلقه الله راكعًا، وملك خلقه الله ساجدًا، وملك خلقه الله قائمًا، يسبحون الله ليل نهار بلا انقطاع، لا يفترون.

يوم القيامة أين تذهب الملائكة؟ إلى الجنة أم إلى النار؟

لا يثابون ولا يعاقبون؛ لأنه ليس هناك تكليف واختبار.

ولذلك ستقرأ آيات القرآن عن زبانية نار جهنم من الملائكة، وفي الجنة خزنة الجنة من الملائكة يدخلون على المؤمنين من كل باب: **{سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}** (سورة الرعد: الآية 24).

أما الإنس والجن، فرب العالمين خلقهم مختارين في طاعته، وأعطاهم القدرة على الفعل، والقدرة على الرشد.

هل خلق الله الكافر كافرًا؟

كلا ؛ لأن **(كل مولود يولد على الفطرة)**، وهي الصفحة البيضاء النقية.

بعد ذلك، ماذا يحدث؟

انتكاسة أو انحراف للفطرة عن أصلها: **{فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ}** (صحيح البخاري ومسلم).

رب العالمين سبحانه وتعالى جعل هداية البيان للإنس والجن باعتبار أنهم مكلفون، ليبين طريق الحق من الباطل، والطاعة من المعصية؛ لأنك عندك جهل فتكتسب العلم، ثم عندك طرق مختلفة فيبين لك طريق الرشد وطريق الغي، والإيمان والكفر.

الله عز وجل بيّن في غير موضع أنه قادر أن يجعل كل الناس مهتدين، على الحق، لكن هذا ينفي حكمة الخلق.

لماذا خلقنا الله؟

لكي يختبرنا ويمتحننا، ويُظهر أسماءه وصفاته، ودلائل ربوبيته وألوهيته، ويأتي من يأتي إلى الله مختارًا، كما هي عبارة العلماء:

" أراد الله أن يُعبد اختيارًا لا اضطرارًا".

ربنا قادر أن يجبرنا على طاعته: **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}** (سورة السجدة: الآية 13)، و **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}** (سورة يونس: الآية 99).

وهو قادر جل في علاه أن يكون كل الإنس والجن على قلب رجل واحد تقوى وإيمان وطاعة وهكذا، لكن هذا ينفي حكمة الخلق.

الله لم يخلقنا لهذا، إنما خلقنا وأعطانا حرية الاختيار، بخلاف الملائكة.

إذاً، الملائكة ليس لديهم اختيار في طاعة أو معصية، فهم لا يعرفون إلا الطاعة.

أما نحن الإنس والجن، فقد كلفنا الله بالاختيار وامتحننا الله تعالى بهذا الاختيار.

المسؤولية وحرية الاختيار

قال المشركون قديمًا: **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}** (سورة الأنعام: الآية 107)، لو أخذنا بهذه الحجة السقيمة، فمعنى ذلك أن الإنسان لا يُعاقب أبدًا على أي أفعال.

هل تستطيع مثلاً وأنت تقود سيارتك والإشارة أمامك حمراء، وهذا يعني أن هناك خطرًا لو تجاوزت الخط وكسرت الإشارة، أن يأتي الشرطي ويسألك: "أتعرف خطأك؟" فتقول: "نعم"، إذن لماذا تجاوزت الإشارة وهي حمراء؟" فتجيب: "قضاء وقدر"، فيعطيك مخالفة "قضاء وقدر"؟!!

ولماذا قتلت هذا؟ "والله أجله، **{فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}** (سورة الأعراف: الآية 34)".

أيها اللص، لماذا تسرق أموال الناس؟

"رزقي، ربنا جعل رزقي في جيوب الناس "

فيصير القاتل والسارق والزاني والفاجر والظالم والمعتدي، كل هؤلاء أولياء لله! لأنهم يطبقون إرادة الله! أستغفر الله.

هذا الكلام يعني خراب الدنيا، ويعني أن الدنيا لم يعد فيها أي قوانين، ويستوي المطيع مع العاصي، والمحسن مع الفاسد.

نقول لك: كلا، ربنا سبحانه وتعالى أعطاك عقل الرشد، الذي تميز به بين الأمرين.

ولذلك قبل البلوغ لا يوجد تكليف؛ ما دمت طفلاً صغيرًا ليس هناك أي تكليف؛ بعدما تصل إلى عقل الرشد، يصبح هناك تكليف.

لكن لو أن شخصا فقد عقله، مجنون أو عنده زهايمر ، لا يوجد تكليف.

واحد دخل في غيبوبة أو فقدان للوعي الكامل، لا يوجد تكليف.

لو واحد أمسكوه وربطوه أو هددوه بالسلاح، أو قالوا له: طلق زوجتك، أو قل كلمة كفر، أو بع لنا ممتلكاتك، نقول كل هذا لا أثر له؛ لأنه تم تحت الإكراه؛ يعني زوجته ما زالت زوجته، وماله هو ماله، وما زال على الإيمان.

كما أن عمار بن ياسر أكرهوه على الكفر، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال: "وكيف قلبك؟" قال: "قلبي مطمئن بالإيمان"فنزلت الآية التي نحفظها جميعًا: **{إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}** (سورة النحل: الآية 106).

لو أني في رمضان، بحكم الجبلة والطبع، شربت ماء في نهار رمضان ناسيًا، فما حكم صيامي؟ صحيح، لأن الاختيار سقط، فربنا سبحانه وتعالى من رحمته ألغى العقوبة: **{وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ}** (سورة الأحزاب: الآية 5).

يأتي أحدهم ويقول لك: "هذه السيجارة ليست طعامًا ولا شرابًا"، ويشربها وهو صائم. هذا عنده اختيار. إذاً، شخص ليس مريضًا ولا مسافرًا ولا عنده أي عذر شرعي، ولا حامل ولا مرضع، ولا أي شيء، أكل وشرب. ما حكمه؟ هذا أفطر باختياره، هذا وقع في المعصية باختياره.

إذاً، الله تعالى لم يُكره أحدًا على معصيته، وفي المقابل لم يُكره أحدًا على طاعته. فلا إكراه لا في طاعة ولا في معصية. هل يوجد أحد منكم هنا

يذهب للمسجد مضطرا أو خائفا من الإمام ؟ كلا أبداً. كلنا جئنا المسجد للصلاة باختيارنا.

الابتلاء والاختبار

لذلك البعض يقول لك: "لماذا لم يهلك ربنا إبليس لما عصى وقال لله: أنا خير منه؟" لماذا تركه الله؟

لأن الله سبحانه وتعالى أعطى الجن والإنس الاختيار.

فكثير من الناس يكفرون بربنا جهارًا نهارًا، وهناك من يقول كلامًا في حق الله وذات الله مثل صفحات الملحدين، والله كلام مجرد قراءته ينتفض له القلب، نعوذ بالله سوء أدب مع الله لا تتخيله- وهم يعيشون في ملك الله، يأكلون ويشربون ويتمتعون.

لماذا يتركهم الله؟ لأن ربنا سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار ابتلاء، فمنح كل واحد حرية الاختيار، حتى إذا جاء يوم القيامة وعاقب وحاسب، لا يكون قد ظلم أحدًا: **{رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** (سورة النساء: الآية 165).

لا يأتي أي أحد يشتكي: "يا رب، أنا ما أعرف، ما أخذت بالي"

كلا، فقد أرسل الله رسلا مبشرين ومنذرين، ثم وورثة الأنبياء من العلماء، لإقامة الحجة على الخلق.

كل هذا الله تكفّل به، ولو أن واحدًا نشأ بعيدًا عن كل هذا، لم يسمع لا بالإسلام ولا بالمسلمين ولا يعلم شيئًا، لا يحاسبه الله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}** (سورة الإسراء: الآية 15).

علم الله سابق وليس سائق:

إذاً، الله لم يخلق أحدًا كافرًا، الله تعالى لا يُكره أحدًا على طاعته ولا يُكره أحدًا على معصيته.

الله تعالى خلق فينا القدرة على الاختيار، وعلى التمييز بين الحق والباطل. الله تعالى لا يعاقب المخطئ والناسي والمُكره، إنما يعاقب المختار المتعمد.

السؤال أيضًا الذي يتكرر هو: **"ألم يسبق في علم الله أن هذا مؤمن وأن هذا كافر؟"**

أي نعم.

كيف سيحاسبهم ويجازيهم؟

علمه المحيط جل وعلا سابق وليس سائق، لأنه سبحانه عنده الكمال لا يجهل شيئًا، لكنه ليس سائقًا لعباده.

أمثلة توضيحية:

مثلاً، أنت كأب لأربعة أولاد مثلاً، وتعرف أولادك من أول ما كانوا بذرة صغيرة إلى أن صاروا كبارًا، تعرف أن هذا خلقه كذا وطبعه كذا وصفته كذا.

عندما ترى شيئًا بشكل معين في البيت، تقول: "فلان الذي فعلها".

هل معنى ذلك أنك ظالم له؟ كلا أنت فاهم أن فلان هذا يحب كذا فهو الذي أخذ هذه القطعة أو هو الذي أكل كذا أو هو الذي كسر هذه.

لأنك أب وتعرف أولادك، فعندك علم بأن ابنك هذا فعل كذا وكذا.

فعلمك هذا لأنك أبوه، لأنك أنت الذي ربيته، لأنك أنت الذي تفهم قدراته وتفهم ميوله وتفهم غرائزه؛ لكن هل أنت أكرهته على الخطأ؟

هل أنت اضطررته أن يخطئ ويفعل هذا الكلام؟ كلا.

عندما يكون عندك ابن يلعب كثيرًا ولا يمسك كتابًا ولا يذاكر ولا غير ذلك، فيأتي يقول لك: "لقد حصلت على صفر".

فتقول له: " أنا أعلم أنك ستفشل" هل كونك تعلم أنه سيفشل يعني أنك أكرهته على الفشل؟ كلا، فالمقدمات تقول إن هذا لن ينجح.

فعلمك هذا لأنك أبوه وتعرف أحواله جيدا، فلذلك تعرف أن المقدمة تقول إن النتيجة سيئة ، إذاً أنا لم أُكرهه على الفشل.

شخص يسير مع صديق سوء. هذا الصديق السيء هو الذي سيعلمه الخمر أو المخدرات. ما الذي تتوقعه غير ذلك؟

هل صديق السوء سيأخذه إلى المسجد؟ هل صديق السوء سيهديه إلى حلقة تلاوة؟ لن يحدث هذا.

إذن ؛ علم الله سابق وليس سائق، وعلم الله لا يعرفه أنا ولا أنت.

إذاً، كيف ستحتج على الله بشيء أنت لا تعرفه؟ ولذلك من أضل الضلالة أن واحدًا لا يؤمن فيقول لك: "لو شاء ربنا أن أؤمن سأؤمن، لو شاء ربنا أن يهديني سيهديني، تماما كما قال المشركون: **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}** (سورة الأنعام: الآية 107)"، ولكن أنتم فيكم رسول الله، ويُسمعكم آيات الله، ويدلكم على طريق الهداية والنجاح.

وكانوا يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق وأنه لا يكذب ، لكنهم اختاروا الضلالة على الهدى. **{اسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}** (سورة فصلت: الآية 17).

وقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا عندما قال الصحابة:

"يا رسول الله، إذا كان الأمر قد قُدر، ففيم العمل؟ قال: "اعملوا فكل ميسر لما خُلق له". وتلا الآيات: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} (سورة الليل: الآيات 5-10).

لو أنا ذاهب إلى مدينة في الشمال وسرت في الجنوب، فلن أصل أبدا!!

فالجنة على اليمين والنار على اليسار. لو أخذت اليسار وأقول أنا في طريق الجنة، فأنت كاذب، تكذب على نفسك.

العفو الإلهي والعدل

عندما نتحدث عن عفو الله وعدم المؤاخذة، نقول إن رب العالمين عندما يعفو، يعفو عن المعترف بخطئه، النادم، أوعن الناسي، أو المخطئ.

أما المعاند المستكبر المستعلي بكفره، هل يعفو عنه؟

إذاً الله سبحانه وتعالى لم يطلعنا على ما في علمه ومشيئته، وإنما بيّن لنا ما ما يجب علينا فعله.

فمن اختار راشدًا، مختارًا، عامدًا، لا يأتي ويلقي اللائمة على القضاء والقدر. فهذا احتجاج العاجز أو احتجاج الفاشل.

وصية جعفر الصادق:

يقول جعفر الصادق: "إن الله أراد فينا أشياء وأراد منا أشياء، فلو انشغلنا بما أراده منا عما أراده فينا لفلحنا".

أراد فينا أشياء هي الحوادث التي تقع، وأراد منا أشياء هي التكليفات الشرعية، الحلال، والحرام، والطاعة، والمعصية، فانظر ماذا أراد الله منك، ودع المقادير تمضي حيث شاء الله عز وجل.

الخلاصة :

عندما تأخذ الطريق الصحيح: **{فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}** (سورة الليل: الآيات 5-7).

ستجد عون الله ومدده: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ}** (سورة يونس: الآية 9). أي بسبب إيمانهم.

أما الثاني: **{وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}** (سورة الليل: الآيات 8-10) الله ييسر له العسرى لأنه سعى في طريقها؛ هذه هي سنن الله في الكون.

فرب العالمين لم يُلزم الله أحدًا بإيمان ولا كفر، لم يُلزم أحدا بطاعة أو معصية، ولذلك رب العالمين قال مطمئنًا عباده: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}** (سورة النساء: الآية 40) نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم والفهم والبصيرة،

وأن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين. اللهم آمين. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

****

الفصل الثامن

الفاتحة دعاء وشفاء

المبحث الأول/ اشتمال الفاتحة على دعاء الثناء ودعاء الطلب .

المبحث الثاني/ كيفية الرقية بالفاتحة .

المبحث الثالث / الاستشفاء بالفاتحة من السحر.

المبحث الأول

اشتمال الفاتحة على

دعاء الثناء ودعاء الطلب

سورة الفاتحة نصفها ثناء على الله ونصفها دعاء وطلب منه عز وجل.

والدعاء ينقسم إلى قسمين:

- **دعاء الثناء.**
- **ودعاء الطلب .**

أولا/ دعاء الثناء

دعاء الثناء يعني تمجيد الله وتعظيمه ووصفه بما هو أهله. ويسمى دعاء، لأنك عندما تمجد الله وتعظمه وتصفه بما يليق بجلاله، فأنت بذلك تطلب كرمه، وفضله، ورضاه.

ولتقريب الأمر، فترة الدولة العباسية، كانت الدولة الإسلامية قوية آنذاك، وكانت فترة ازدهار وغنى، وحضارة وترف.

فكان الشعراء يذهبون إلى الخلفاء والأمراء، ويلقون قصائد في مدحهم دون أن يطلبوا شيئًا صراحة.

فإذا أجاد الشاعر المدح، انتشر شعره في الآفاق، وكان الخليفة أو الأمير يعطيه عطاءً سخيًا، وكان الشعراء يتنافسون في بلاغة قصائدهم في الثناء على الخليفة أو الأمير، ولم يكن يطلب المال أو يُعرِّض بطلب المال، بل كان فقط يذكر محاسنه ومحاسن آبائه، ويذكر الصفات الجميلة كالكرم، أو يصفه بأنه كالبحر أو كالشمس.

أهل الثناء والمجد :

ولله المثل الأعلى، فالذي يمدح بحق وصدق هو الله عز وجل، وهذا معنى قول النبي ﷺ: **"أهل الثناء والمجد"**. أي يا من أنت أهل وجدير بأن يُثنى

عليك ويُمجَّد، فإذا أثنيت على الله تبارك وتعالى، فأنت بذلك تطلب عطاء أكرم الأكرمين؛ الذي لا يرد من طلب عطاءه أبدًا.

وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: **"إن ربك يحب المحامد"**

عندما نقرأ في تفسير "الحمد لله رب العالمين"، نجد حديث الرسول ﷺ يقول: **"أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله".**

فـ "الحمد لله" دعاء ثناء، لأنك عندما تقول **"الحمد لله "**، فأنت تنسب النعمة لله، وتتحدث بنعم الله، وتمجد الله، وتصفه بما يستحق من كمال، وتقر بنعمته عليك.

فتكرار **"الحمد لله الحمد لله"** فيه حب ورضا وتعظيم وإجلال وطلب للعطاء وطلب لكرم الكريم، لهذا هي أفضل الدعاء.

في يوم عرفة، قال النبي ﷺ: **"خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلته أنا والنبيون قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".**

سبحان الله! هذا ذكر ولكنه فيه معنى دعاء الثناء؛ أنت تمجد الله بما يستحقه من التوحيد، فتقول مقرًا "لا إله إلا الله"، وتؤكد وحدانيته "وحده لا شريك له"، ثم تقول: "له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير".

كل هذا ثناء وتمجيد لله سبحانه وتعالى، فتستحق من الله الإكرام والإنعام.

أمثلة على دعاء الثناء

- **أعظم سورة في القرآن هي سورة الفاتحة؛ لأن فيها ثناء وتمجيدًا لله ووصفًا له بما هو أهله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.**
- **أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي (سورة البقرة، آية 255)؛ لأن كلها كلام عن الله وتمجيد له: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ**

عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

- **سورة الإخلاص ثوابها عظيم؛ لأن فيها وصفًا لله بما يستحق: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.**
- **دعاء سيدنا يونس عليه السلام :﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. لماذا قال الرسول ﷺ إن هذا الدعاء مستجاب؟ "ما دعا بها مسلم في كرب إلا أجابه الله"؛ لأنه بدأ بالتوحيد، وثنى بالتسبيح، ثم ختمه بالاستغفار.**
- **دعاء سيد الاستغفار :**

لماذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار؟

لأن فيه مدحًا لله وثناء وتمجيدًا، وإقرارًا بالذنب، وطلبًا للعفو. "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

- **دعاء الهم والحزن :عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال اللهمَّ إني عبدُك ابنُ عبدِك ابنُ أمَتِك ناصيَتي بيدِك ماضٍ فيَّ حُكمُك عَدْلٌ فيَّ قضاؤُك أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك أوْ علَّمْتَه أحدًا مِنْ خلقِك أو أنزلته في كتابِك أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك أنْ تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي ونورَ صدري وجلاءَ حُزني وذهابَ هَمّي إلا أذهب اللهُ همَّه وحُزْنَه وأبدله مكانه فَرَجًا قال : فقيل : يا رسولَ اللهِ ألا نتعلمُها فقال : بلى ينبغي لِمَنْ سمِعها أنْ يتعلمَها.) رواه الإمام أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر.**

"اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك" كل هذا تمجيد لله، وإقرار بالعبودية لله: يا رب أنا عبد لك وأبي وأمي عبيد لك .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : (كفاني فخرا أن تكون لي ربا ، وكفاني عزا أن أكون لك عبدا)

"ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك" سبحانك تحكم فيمضي حكمك وتقضي بما تشاء، فأنت يا ربي تقضي بما تشاء بحكمتك، وتحكم ما تريد بعزتك.

ثم يسأله ممجدًا إياه **"أسألك بكل اسم هو لك"**، سواء الاسم في القرآن أو في علم الغيب أو علمه الله أحدًا من خلقه، أتوسّل إليك بكل اسم من أسمائك الحسنى، وهذا هو أعظم أنواع التوسّل إلى اللَّه تعالى بالدعاء، بالثناء عليه وتمجيده بأسمائه الحسنى ؛كما قال تعالى: **"وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا"** [الأعراف: 180]

أهمية تعظيم الله وإجلاله

ولو تتبعنا هذه المواضع في القرآن لطال بنا المقام، ولكن أريد الإشارة إلى هذا المعنى العظيم الذي نغفل عنه.

لذلك دائمًا عندما تتكلم عن رب العزة، مجّد الله، عظّم الله. قل :**الله تبارك وتعالى، الله سبحانه وتعالى، الله جل جلاله، الله عز وجل ،سبحان الله العظيم**، فيكون في قلبك ولسانك تعظيم الله وإجلاله.

فالله ليس كواحد مثلنا، الله ليس كأحد من خلقه، **الله ليس كمثله شيء** . فعندما أمجد وأعظم الله، أنا أعظم من هو أهل للتعظيم، وأهل للتمجيد والإجلال، سبحانه ذو الجلال والإكرام.

في نفس الوقت، فإن الله تعالى يبغض العبد الذي يرفع نفسه فوق العباد أو يتكبر أو يتعالى؛ لأنه لا يليق بالعبد الضعيف المخلوق أن يتسامى في مقام رب العزة.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: "العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني شيئًا منهما قسمته"، وفي رواية: "أدخلته النار".

لماذا؟ لأنه طمح إلى مكانة لا تليق إلا بواحد فقط، هو الحي الذي لا إله إلا هو جل جلاله.

فالعبد عبد والرب رب، لن نتجاوز قدرنا ولن نتجاوز حدنا، نحن عبيد لله.

ولذلك نجد أن القرآن لما أشار لعظمة الرسول ﷺ ذكره بعبوديته لله.
﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ (سورة الإسراء، آية 1).

"أسرى بعبده" كلمة عبد كلمة مذمومة تشمئز منها النفس إنْ كانت عبودية للبشر ؛ لأن عبودية البشر للبشر يأخذ فيها السيد خير عبده ، لكن عبودية البشر لله تعالى يأخذ العبد خير سيده ، فالعبودية لله عزٌّ وشرف وقوة ومنَعة وللبشر ذُلٌّ وهوان؛ وكان هذا الوضع الموجود أيام بعثة النبي ﷺ، فالعبيد كانوا أشبه بالمتاع في البيت أو بالبهيمة التي ترعى، يُسبّ ويُهان ويُلعن ويُعذّب ويُقتل ويُجرّ من رقبته بحبل ويُباع في الأسواق.

فجاء النبي ﷺ ليعلمنا أن العبودية لله عبودية عز؛ لأنك منتسب إلى رب العالمين.

وقد شرّف الله رسوله بقوله: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**﴾ (سورة الجن، آية 19). وهذا من أحب الأسماء إلى رسول الله وأصدق الصفات لجميع رسل الله.

وفي سورة ص رب العزة يقول: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ**﴾[ص: 17] و﴿ **وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ**﴾ (سورة ص، آية 45).

والرسول ﷺ عندما كان يأكل، كان يأكل على ركبتيه ويقول: **"إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد".**

ولما نصره الله تعالى ودخل مكة فاتحًا، كان موقفًا حاشدًا... الرسول ﷺ دخل مكة ومعه عشرة آلاف جندي، وهذا جيش كبير جدًا بالنسبة للأعداد الموجودة في زمانهم، فعشرة آلاف بالنسبة لعدد سكان الجزيرة العربية رقم كبير؛ ولذلك عندما قال أبو سفيان: "هذه خزاعة جاءت لتقاتلنا"، قيل له: "إن خزاعة أذل وأقل من ذلك" لم يتخيلوا أبدًا هذا العدد من العرب، ظنوا أنها فارس أو الروم.

فلما دخل النبي مكة ماذا فعل؟ طأطأ رأسه حتى كادت ذقنه تلامس رحل الجمل (مؤخرة سنام الجمل) إجلالًا لله سبحانه وتعالى.

لم يقل: أنا القائد المظفر المنتصر القاهر...الخ هذه الألقاب الكبيرة التي يخلعونها على أنفسهم؛ كلا إنما طأطأ رأسه إجلالًا لله سبحانه وتعالى الذي منّ عليه بعد أن خرج منها متخفيًا، رجعها جهارًا نهارًا بعشرة آلاف موحد بعد ثمان سنين.

خلاصة المعنيين العظيمين

إذا هنا أمران:

1. **الثناء لله والتمجيد لله :** هذا فيه طلب للإنعام من الله سبحانه وتعالى ونيل عطائه.
2. **الإقرار بالعبودية، والإقرار بالضعف، والإقرار بالفقر، والحاجة، والمسكنة.**

إذا حققت هذين الأمرين في دعائك ومناجاتك لله، أبشر بأن دعاءك إن شاء الله مستجاب. أن تعظم الله وتجله، وتظهر فقرك وحاجتك. سبحان الله!

الصلاة ودعاء الثناء

الصلاة كلها تمجيد لله وتعظيمً له:

- أول شيء في الصلاة تفعله هو **"الله أكبر"** :تمجيد لله.
- ثم تضع اليد اليمنى على اليسرى: هذه وقفة العبد بين يدي سيده.
- ثم تأخذ في **دعاء الاستفتاح** :فيه تعظيم لله: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك".
- **الفاتحة** :تعظيم وتمجيد لله سبحانه وتعالى.
- **الركوع** :تعظيم لله. تنحني إجلالًا لله سبحانه وتعالى وتقول: "سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم".
- **السجود** :تعظيم لله وتمجيد له. تقول: "سبحان ربي الأعلى".

- **التشهد** :تمجيد لله: "التحيات لله والمباركات والصلوات والطيبات".

فكل هذا يقع تحت النوع الأول (دعاء الثناء). وما شرعت الصلاة إلا لتعظيم الله وإجلاله وتمجيده وطلب عطائه ومثوبته جل وعلا.

دعاء المسألة

ثم النوع الثاني الذي في الفاتحة أيضًا هو **دعاء المسألة: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولضالين)**

دعاء المسألة هو أن تسأل الله، فعندما تسأل الله بعد الثناء والتمجيد، يكون الدعاء أرجى في الإجابة، وهو الدعاء الصريح: **"اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني".** لكنك تقدم بين يدي مسألتك الثناء على الله سبحانه وتعالى.

إذن دعاء الثناء هو أن تثني على الله بما هو أهله، ودعاء الطلب هو أن تسأل الله حاجتك.

أيهما أعظم؟

إذا أردت أن تقتصر على دعاء الثناء، فقد ورد في الحديث، وفي سنده ضعف وحسّنه بعض أهل العلم: **"من شغله القرآن وذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه".** [27]

أتعرف لماذا؟

عندما تطلب من شخص مبلغًا معينًا، تقول له: أريد 100 دولار سلف، أو 500 دولار سلف، أنت حددت المبلغ الذي تريد.

---

[27] رواه الترمذي (حديث رقم 2926) في "سننه"، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل من تعلم القرآن وعلّمه، وقال الحافظ في الفتح بعد ذكر هذا الحديث: رجاله ثقات، إلا عطية العوفي ففيه ضعف، وضعفه ابن تيمية في الفتاوى (13/408) وصحّحه الألباني في *السلسلة الصحيحة* (رقم 331)

لكن عندما تذهب إلى شخص كريم وتقول له: "أنت كريم ومعدن الكرم، وآباؤك من أهل الكرم، وأنت وأنت..." وتسكت، فبدلًا من أن يعطيك الـ 100 التي في بالك أو الـ 500، قد يعطيك 5 آلاف أو 10 آلاف! [28]

إذا أثنى عليك المرء يوما:

عن الحسين بن الحسن المروزي قال : سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة . فقال : **لا إله إلا الله وحده لا شريك له.....**

فقلت له : هذا ثناء وليس بدعاء.

فقال : أتعرف حديث مالك بن الحارث ؟ هو تفسيره.

فقلت : حدثنيه أنت ، فقال : حدثنا منصور ، عن مالك بن الحارث قال : يقول الله عز وجل : **(إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)** .

قال : وهذا تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم قال سفيان : أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى عبد الله ابن جدعان يطلب نائله (عطاءه) ؟

فقلت : لا . فقال : قال أمية:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ..... حياؤك إن شيمتك الحياء

وعلمك بالحقوق وأنت فرع ..... لك الحسب المهذب والسناء

إذا أثنى عليك المرء يوما ..... كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال : يا حسين، هذا مخلوق يكتفي بالثناء عليه دون مسألة ، فكيف بالخالق ؟

---

[28] طبعًا ليس في الزمن الذي نحن فيه، هذا زمن لا يعلم به إلا الله، ولكن في التاريخ الإسلامي وتاريخ العرب حتى قبل الإسلام، تجد الناس كانت تقدر هذه المعاني.

أيهما أفضل دعاء الثناء أم دعاء الطلب؟

العبد بحاجة إلى هذين النوعين من الدعاء، والأفضل له أن يجمع بينهما، يبدأ بالثناء ثم يثني بالطلب والسؤال.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام نافع جداً أنقل بعضه:

(والمقصود هنا أن لفظ الدعوة والدعاء يتناول هذا وهذا قال الله تعالى **(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)** وفي الحديث **(أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله)** رواه ابن ماجة وابن أبي الدنيا .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: **(دعوة أخي ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته)**

سماها دعوة لأنها تتضمن نوعي الدعاء فقوله :**لا إله إلا أنت** ،اعتراف بتوحيد الإلهية ، وتوحيد الإلهية يتضمن أحد نوعي الدعاء فإن الإله هو المستحق لأن يدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة وهو الله لا إله إلا هو.

وقوله **(إني كنت من الظالمين)** اعتراف بالذنب، وهو يتضمن طلب المغفرة....الخ ما قال رحمه الله.

****

المبحث الثاني

كيفية الرقية بالفاتحة

سبق أن ذكرنا في فضل الفاتحة قصة أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، وكيف أنه رقى رجلًا من لدغة حية، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما يدريك أنها رقية؟" نذكر القصة مرة أخرى ثم نفصل الكلام عن الرقية بالفاتحة .

أولا/ قصة رقية أبي سعيد الخدري بالفاتحة

في " الصحيحين " من حديث أبي سعيد الخدري ، قال : (انطلق نفر من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب ، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم.

فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء.

فأتوهم ، فقالوا : يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟

فقال بعضهم : نعم والله إني لأرقي ، ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلا ، فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ، ويقرأ : الحمد لله رب العالمين ، فكأنما أنشط من عقال ، فانطلق يمشي ، وما به قلبة.

قال : فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقتسموا فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا.

فقدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكروا له ذلك فقال : " وما يدريك أنها رقية ؟ " ثم قال : قد أصبتم ، اقسموا واضربوا لي معكم سهما .)

قوله: **(فاستضافوهم، فلم يضيفوهم)** بضم الياء، أي طلبوا منهم الضيافة ، أو أن ينزلوا عندهم ضيوفاً، فلم يقدموا لهم طعاماً ولا شراباً، ولم يقبلوا نزولهم، بل رفضوا ذلك.

وكان من أخلاق العرب المحمودة قبل الإسلام وبعده إكرام الغريب وإضافته دون سؤاله عن شيء، وذلك لأن طبيعة الصحراء قاسية جدا، والمسافر يقل طعامه وزاده من الماء، فكان من المستغرب أن يمتنع هؤلاء القوم عن ضيافة الصحابة.

(فقالوا لهم: هل فيكم راق؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب)

ومعنى هذا أن المؤمنين نزلوا بمكان قريبا منهم، وأنهم حاولوا علاجه بما جرت به عادتهم في علاج العقرب، فلم ينفعه علاجهم.

قال الحافظ ابن حجر: واستعمال اللدغ في ضرب العقرب، مجاز، والأصل أنه الذي يضرب بفمه، أما الذي يضرب بمؤخره، فضربه اللسع، وقد يستعمل هذا مكان هذا تجوزاً، وفي الرواية الأخرى: (فإن سيد الحي سليم لدغ) والسليم هو اللديغ، سمي بذلك تفاؤلاً، من السلامة، وقيل: سليم بمعنى مستسلم لما به من الآلام.

وكان الراقي هو أبو سعيد، وأما الرواية الأخرى: **(فقام معها رجل ما كنا نظنه يحسن رقية وفيه فلما رجع قلنا: أكنت تحسن رقية؟)** ففي ذلك إشعار بأنه غيره، والجواب كما قال ابن حجر: أنه لا مانع من أن يكني الرجل عن نفسه.

وأما قوله ما كنا نظنه يحسن الرقية ليس مستبعداً من القوم، ولا من أبي سعيد نفسه، فهو في نفسه يعتقد أنه لا يحسن رقية، وإنما ذهب معها محاولاً قراءة قرآن، واختار الفاتحة، وهو لا يدري أنها رقية، يؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **(ما أدراك أنها رقية؟)**

كيف تؤثر الفاتحة على المريض؟

يقول ابن القيم : ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة ، فما الظن بكلام رب العالمين ، الذي فضله على كل كلام كفضل الله على

خلقه الذي هو الشفاء التام ، والعصمة النافعة ، والنور الهادي ، والرحمة العامة الذي لو أنزل على جبل ؛ لتصدع من عظمته وجلالته .

قال تعالى : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) [الإسراء : 82] ، و" من " هاهنا لبيان الجنس لا للتبعيض ، هذا أصح القولين كقوله تعالى : (**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**) [الفتح : 29] وكلهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

فما الظن بفاتحة الكتاب التي لم ينزل في القرآن ، ولا في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور مثلها ، المتضمنة لجميع معاني كتب الله ...

ثم قال: وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من الأدواء ، ويرقى بها اللديغ، وبالجملة فما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية والثناء على الله ، وتفويض الأمر كله إليه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وسؤاله مجامع النعم كلها ، وهي الهداية التي تجلب النعم ، وتدفع النقم من أعظم الأدوية الشافية الكافية .

وقد قيل : إن موضع الرقية منها : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء ، فإن فيهما من عموم التفويض والتوكل ، والالتجاء والاستعانة ، والافتقار والطلب ، والجمع بين أعلى الغايات ، وهي عبادة الرب وحده ، وأشرف الوسائل وهي الاستعانة به على عبادته ، ما ليس في غيرها .

استشفاء ابن القيم بالفاتحة:

ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه ، وفقدت الطبيب والدواء ، فكنت أتعالج بها آخذ شربة من ماء زمزم وأقرؤها عليها مرارا ، ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع بها غاية الانتفاع .

كيف تؤثر الرقية بالفاتحة من السموم؟

يقول رحمه الله: وفي تأثير الرقى بالفاتحة وغيرها في علاج ذوات السموم سر بديع ، فإن ذوات السموم أثرت بكيفيات نفوسها الخبيثة ، كما تقدم

وسلاحها حماتها التي تلدغ بها ، وهي لا تلدغ حتى تغضب ، فإذا غضبت ثار فيها السم ، فتقذفه بآلتها ، وقد جعل الله سبحانه لكل داء دواء ، ولكل شيء ضدا ، ونفس الراقي تفعل في نفس المرقي ، فيقع بين نفسيهما فعل وانفعال ، كما يقع بين الداء والدواء ، فتقوى نفس الراقي وقوته بالرقية على ذلك الداء فيدفعه بإذن الله ، ومدار تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والانفعال ، وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين ، يقع بين الداء والدواء الروحانيين ، والروحاني ، والطبيعي ، وفي النفث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء ، والنفس المباشر للرقية ، والذكر ، والدعاء ، فإن الرقية تخرج من قلب الراقي وفمه ، فإذا صاحبها شيء من أجزاء باطنه من الريق والهواء والنفس ، كانت أتم تأثيرا ، وأقوى فعلا ونفوذا ، ويحصل بالازدواج بينهما كيفية مؤثرة شبيهة بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية .

وبالجملة : فنفس الراقي تقابل تلك النفوس الخبيثة ، وتزيد بكيفية نفسه ، وتستعين بالرقية وبالنفث على إزالة ذلك الأثر ، وكلما كانت كيفية نفس الراقي أقوى كانت الرقية أتم ، واستعانته بنفثه كاستعانة تلك النفوس الرديئة بلسعها .

وفي النفث سر آخر فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة ، ولهذا تفعله السحرة كما يفعله أهل الإيمان .

قال تعالى : (ومن شر النفاثات في العقد) وذلك ؛ لأن النفس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة ، وترسل أنفاسها سهاما لها ، وتمدها بالنفث والتفل الذي معه شيء من الريق مصاحب لكيفية مؤثرة ، والسواحر تستعين بالنفث استعانة بينة ، وإن لم تتصل بجسم المسحور ، بل تنفث على العقدة وتعقدها ، وتتكلم بالسحر فيعمل ذلك في المسحور بتوسط الأرواح السفلية الخبيثة ، فتقابلها الروح الزكية الطيبة بكيفية الدفع ، والتكلم بالرقية وتستعين بالنفث ، فأيهما قوي كان الحكم له ، ومقابلة الأرواح بعضها لبعض ، ومحاربتها وآلتها من جنس مقابلة الأجسام ، ومحاربتها وآلتها سواء ، بل الأصل في المحاربة والتقابل للأرواح والأجسام آلتها وجندها ، ولكن من غلب عليه الحس لا يشعر بتأثيرات الأرواح وأفعالها وانفعالاتها لاستيلاء سلطان الحس عليه ، وبعده من عالم الأرواح وأحكامها وأفعالها .

والمقصود : أن الروح إذا كانت قوية وتكيفت بمعاني الفاتحة ، واستعانت بالنفث والتفل ، قابلت ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة فأزالته ، والله أعلم .[29]

الرقية الشرعية وشروطها

في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب – نسأل الله أن نكون منهم – أن النبي صلى الله عليه وسلم وصفهم بقوله: **"هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون". وفي رواية: "هم الذين لا يرقون".**

وهذه الكلمة فيها تفسيرات عدة للعلماء، أوضحها وأرجحها أن معنى **"لا يسترقون"** أي لا يطلبون رقى شركية، لأن العرب كانوا إذا حدث لأحدهم شيء يذهب إلى كاهن، والكهنة معهم الشياطين، فيطلب منه الرقية فيرقيه؛ كما هو الحال الآن مع السحرة والدجالين.

فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، لكنه لم يمنع الرقية التي عُرفت فيما بعد بالرقية الشرعية، فقال: **"لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا."**

ولذلك، اشترط العلماء عندما تُجرى الرقية شروطا:

الشرط الأول: أن تكون بكلام مفهوم:

سواء باللغة العربية ، أو أي لغة مفهومة، فلا تصح الرقية بكلمات أشبه بالطلاسم غير واضحة المعاني، فهذا لا ينبغي للمسلم أن يقع فيه، لأنك لا تدري ماذا تقول.

عندما يقولون لك هذا اسم الله الأعظم بالسريانية ، لماذا أترك اللغة العربية التي أفهمها وأفهم معانيها؟ وأقول: **" اللهم يا أهيا شراهيا ..."** وعندما سألت عن معناها قالوا: هذا هو اسم الله الأعظم بالسريانية ومعناه: **(الحي القيوم)**

---

[29] زاد المعاد لابن القيم (162/4 وما بعدها)

عندنا في السنة النبوية الدعاء: **"يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث".**

لماذا أتركها وأقول هذا الكلام غير المفهوم؟!

ليس عندنا معرفة باللغة السريانية، ولا عندنا مراجع تقول هذا الكلام صواب أو خطأ.

كذلك أحد المفتونين يقول تكرار هذه الجملة 111 مرة لقضاء الحاجات!!(**اهمن سقكن حلعن يصو)** وكلها كلمات مجهولة المعنى.

وثالث يقول: **(حلا روحن كسن شندخ)** تقولها 10000 مرة".

ماذا تعني "حلا روحن"؟ هل هذا اسم عفريت أو شيطان؟

ومن "كسن" و "شندخ"؟ هل هؤلاء شياطين أم أنها شتائم أماذا؟!!

والرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام كانوا يدعون الله تبارك وتعالى بكلام عربيّ فصيح بليغ، ولم نسمع عن أحد من خير القرون أنه التجأ إلى الله بلغة من اللغات الأخرى أو تعبّده بأسماء غريبة وغير ذلك.

وما الذي يضطرنا إلى أن نخاطب الله سبحانه ونسبحه ونقدّسه بلغة لا نفهمها؟ ألا يعلم الله سبحانه كلّ لغة وكلّ حرف وكلّ صوت؟

الشرط الثاني :ألا يكون في هذا الكلام استغاثة أو توسل بغير الله تعالى:

فلا أستغيث لا بحق سيدي فلان ولا فلان، أستغيث بالله وبأسمائه الحسنى، ولا أستغيث بأحد من البشر، سواء كان من أهل البيت أو من الشيوخ ، بل أدعو الله مباشرة، قال تعالى: **"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"** (غافر: 60).

الأمر الثالث :أن تعتقد أن الراقي والرقية لا يشفيان بذاتهما ، وإنما هما سبب :

الشافي هو الله عز وجل ، فيقيننا أن الذي يكشف الضر -سبحانه وتعالى-، فيلتمس منه وحده الشفاء، ويمكن لأي شخص أن يرقي نفسه، وأن يرقي غيره، والله سبحانه يتقبل من المتقين .

ومع الأسف تسمع بعض الناس يقول هذا شيخ قوي، وهذا شيخ رقيته قوية ، حتى سمعت أن بعضهم فتن وسمى نفسه: **(قاهر الجن والعفاريت)**

وقد يتأخر الشفاء لأمر يريده الله سبحانه وتعالى، فهو يعلم ونحن لا نعلم، وقد قال سبحانه :(**وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) [البقرة .216]**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :لامرأة كانت تصرع" :إن شئت دعوت الله فشفاك، وإن شئت صبرت ولك الجنة ."

وتأخر الشفاء، نوع من أنواع الابتلاء والاختبار، هل يثبت الشخص على إيمانه أم أنه يتجه إلى الخرافات، والسحرة والدجالين ؟

والمريض يثاب على مرضه، إن هو صبر واحتسب، لما ورد في ذلك من الأحاديث، ثم إنه يثاب أيضًا إذا هو دعا ربه -سبحانه وتعالى - أن يكشف البلاء، فالدعاء هو العبادة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

والعبد يثاب كلما دعا، سواء كشف ما به من بلاء أم لم يكشف .

وقد مرض نبي الله أيوب عليه السلام مرضًا شديدًا طويلاً، وصبر، وقال الله في شأنه :(**إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب**] (ص :44]

أنواع الأمراض وكيفية الشفاء

الأمراض نوعان:

1. **الأمراض العضوية** : وهي الأمراض المعروفة التي نعرف أسبابها من خلال التحاليل والأشعة والكشف أو التشخيص الطبي.

مثل ارتفاع ضغط الدم، أو انخفاضه ، مشاكل في المعدة، آلام الظهر... الخ.

ما علاجها ؟

علاجها فيما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم: حينما سألوه: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال : (تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد الهرم) أخرجه الإمام أحمد وغيره

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ما أنزل الله عز وجل داء، إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله . أخرجه ابن حبان

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : (إن الله لم ينزل داء -أو لم يخلق داء- إلا أنزل -أو خلق- له دواء. علمه من علمه، وجهله من جهله، إلا السام قالوا: يا رسول الله وما السام؟ قال: الموت).

الهرم : الكبر ووهن الجسم فليس له دواء

والسام :الموت ..

والجامع بينهما نقص الصحة، أو لقرب الشيخ الهرم من الموت وإفضائه إليه.

2- الأمراض الروحية :

الأمراض الروحية هي الأمراض التي تنشأ من أسباب غير مادية، مثل السحر، الحسد، أو المس الشيطاني، وقد تكون لها آثار على الصحة الجسدية أيضاً .

وهذه كلها موجودة ولا ينكرها إلا جاهل، وليس من رأى كمن سمع !!

وكثير منا يجهل تفاصيل هذا العالم الخفي **(عالم الجن والشياطين)**، ولدينا من الموروث الشعبي أوهام كبيرة جدًا في هذا الموضوع.

تأثير الجانب النفسي على الأمراض العضوية

كم من الأمراض العضوية سببها نفسي؟

- ارتفاع ضغط الدم، أغلب أسبابه نفسي.
- المعدة العصبية، والترجيع، سببه نفسي.
- القولون العصبي.
- المثانة العصبية.
- آلام الأعصاب.

- الصداع والشقيقة.
- آلام الجسم بدون سبب.

والمرض النفسي لا يحدث بين يوم وليلة، بل يأتي نتيجة التوتر والقلق على سبيل المثال:

- شخص مسؤول في شركة أو منصب رسمي، دائمًا يأخذ الأمور على أعصابه، دائمًا كل شيء يجب أن يراجعه. فالضغط النفسي هذا يعمل له مصائب على المدى البعيد.
- واحدة تعيش حياة زوجية لا تطاق، فتقول سأتحمل من أجل الأولاد، ماذا أفعل؟ تبدأ تلاحظ أنها أصابها السكر والضغط ومشاكل في الغدد، لماذا؟ لأنها تعيش حياة كلها نكد وألم وهم وغم ومعارك ومشاكل.
- جو المحاكم والقضايا والمحامين، تعرفون ماذا يفعل في الإنسان.
- بعض الناس تتعب من الامتحانات، مجرد أن يعرف أن لديه امتحان، يأتي له التعب النفسي: إسهال، ارتفاع في الضغط، ترجيع.

الرقية الشرعية كعلاج للأمراض الروحية والنفسية

نحن لدينا نعمة كبيرة من الله؛ وهي وأذكار الصباح والمساء، الاستعاذة بالله، الرقية الشرعية، قراءة القرآن، ومع قراءة القرآن والذكر تتنزل السكينة، قال تعالى: **"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"** (الرعد: 28).

لدينا الآن ضغط شديد، ما الذي يهون عليك الموضوع؟ إيمانك بالله.

كيف أحقق الإيمان بالله؟

أن أبدأ أعزل الشياطين عن الصدر الذي يوسوس فيه، وأبدأ في الطاعة والذكر والعبادة وآيات السكينة، وتنزل الملائكة عند نزول القرآن.

وأي شخص الملائكة حوله، فالشياطين ستنفر عنه.

الحسد وتأثيره

الحسد ناتج عن الكره، والغيرة، والحقد، وهذا الشيء ينتج عنه أذى يصاب به الإنسان بسبب العين الحاسدة.

يقول لي أحدهم: كيف مجرد عين تنظر لشخص تمرضه؟

أنت لديك الآن بعض الأشعة غير المرئية لها أثر غير متوقع بالنسبة للإنسان؛ اقرأوا عن أشعة الليزر واستخداماتها، بل يمكنك ببعض أنواع الأشعة الآن أن تفلق الحديد، والليزر يعالج أمراض وأشياء لا تخطر بالبال.

انظر إلى الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية، وأشعة جاما [30]، وأنواع أخرى كثيرة جدًا يكتشفها العلم الحديث الآن ، ولها تأثير كبير جدا على الإنسان.

قنابل صوت لتفريق المتظاهرين:

المعروف أن الحكومات عندما تريد تفريق المتظاهرين، يضربون القنابل المسيلة للدموع.

لأول مرة أقرأ هذا الخبر: قبل أيام قليلة، كانت هناك مظاهرات في دولة اسمها صربيا، وقامت وزارة الأمن هناك عملوا قنبلة صوت ضربوها في مكان المظاهرة ففرقت المتظاهرين.

---

[30] الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية وأشعة غاما هي كلها أنواع من الإشعاع الكهرومغناطيسي، لكنها تختلف في طول موجتها وترددها، وبالتالي في طاقتها واستخداماتها.

الأشعة تحت الحمراء :(IR) هي إشعاع كهرومغناطيسي ذو أطوال موجية أطول من الضوء المرئي، وتقع في الطرف الأدنى من الطيف الكهرومغناطيسي .يمكن الشعور بها كحرارة، وتستخدم في العديد من التطبيقات مثل أجهزة التحكم عن بعد، والتسخين، والتصوير الحراري .

الأشعة فوق البنفسجية :(UV) هي إشعاع كهرومغناطيسي ذو أطوال موجية أقصر من الضوء المرئي، وتقع في الطرف الأعلى من الطيف الكهرومغناطيسي .يمكن أن تسبب حروق الشمس وتلف الحمض النووي، ولكنها تستخدم أيضًا في التعقيم وبعض العلاجات الطبية .

أشعة جاما :(γ) هي إشعاع كهرومغناطيسي ذو أطوال موجية قصيرة جدًا وترددات عالية جدًا، مما يجعلها الأكثر طاقة في الطيف الكهرومغناطيسي .تعتبر أشعة جاما خطيرة وتستخدم في العلاج الإشعاعي للسرطان .

الفرق الرئيسي بينها:

الأشعة تحت الحمراء: حرارية، وتستخدم للتدفئة والتصوير الحراري.

الأشعة فوق البنفسجية: قد تسبب حروقًا وتلفًا، ولكنها تستخدم في التعقيم.

أشعة جاما: عالية الطاقة، وتستخدم في العلاج الإشعاعي .

ما هي قنبلة الصوت هذه؟ قالوا إنها تعطيهم موجات لا يستطيع الإنسان أن يتحملها!!! انظر ماذا يفعل الشر بالإنسان.

ومن الممكن أن تكون هذه العين معجبة، كما في الحديث: عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة، فما لبث أن لُبِط به.

فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له: أدرك سهلاً صريعاً.

قال: مَن تتهمون به؟ قالوا: عامر بن ربيعة.

قال: علام يقتل أحدكم أخاه؟! إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة، ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره، وأمره أن يصب عليه. رواه ابن ماجه

فالرجل لم يرد الأذى بصاحبه ، وإنما أعجب بأخيه دون أن يدعو له بالبركة.

إذن من الممكن أن تصدر أشعة ضارة مؤذية من عين المعجب أو الحاسد، وتؤذي الإنسان؛ فيصبح مريضًا، ويذهب لإجراء الفحص الطبي، فيقولون له: ليس لديك شيء.... لكن يا دكتور أنا أشعر بكذا وكذا؛ يقولون: اذهب لطبيب نفسي أو خذ مسكنًا، هذا كل ما لديهم، ليس لديهم تفسير، فعندنا أمراض ليس لها تفسير علمي، نقول لك: هنا ممكن أن يكون لها تفسير روحاني.

هذه تجربتي مع الرقية بعد أن أصبت بالعين

ذات مرة منذ عدة سنوات نزلت عندنا بكندا عاصفة شديدة، حوالي 30 أو 40 سنتيمترًا من الثلج، بعد انتهاء العاصفة كما تعودنا بكندا أخذت (الكريك)[31] ، لممارسة رياضة إزالة الثلج من أمام السكن.

---

[31] كلمة "كوريك" هي كلمة عامية مستخدمة في مصر للدلالة على الرافعة أداة لرفع الرمل (أو أي شيء آخر) تعادل في العربية كلمة "مرفاع" أو "أداة رفع"

لي جار عمره 80 سنة، هذا الرجل لديه وقت فراغ قاتل، يبقى بالساعات ينظف الثلج، ويراقب كل شيء يمر به: سيارة إنسان حيوان ...الخ.

العلاقة بيني وبينه هي التحية فقط؛ فانتبهت فجأة لأجده واقف أمامي وظل ينظر إليّ، وأنا لم أدرِ ما الأمر، قمت بتحيته بالفرنسية صباح الخير "بونجور بونجور "لم يرد بل ربما بدا لي أنه غير واع أو به شيء الله أعلم لكنه ظل واقفا يتابعني وأن أقوم بإزاحة الثلج.

انتهيت ودخلت البيت، بعدها لم أستطع أن أتحرك، وشعرت أنني مكبل وضعيف جدا وعندي صداع نصفي لا يُوصف، لم أر مثله من قبل.

قلت: لعلي أصبت ببرد، لأن الحرارة وقتها كانت عشر درجات تحت الصفر، فمع العرق وبرودة الجو، أصبت ببرد، لكن هذا برد ليس طبيعيًا- لم تكن كورونا قد اكتشفت آنذاك- هذا الكلام كان بعد الظهر.

ظللت في الفراش لا أستطيع أن أتحرك.

صليت وأنا جالس من التعب.

عند العشاء تذكرت الرجل، وقفته كانت غريبة ونظراته كانت عجيبة.

قمت وأحضرت الماء وقرأت عليه الرقية من الحسد، أقسم بالله العظيم ما إن شربت منه وغسلت وجهي ووضعت الماء على رأسي، كأن شيئًا لم يكن، قمت إنسانًا طبيعيًا، لا صداع ولا ذلك الشعور بأنني رجل عجوز عندي 90 سنة، ولا أي شيء مما كان بي.

قلت: آمنت بالله ورسوله، آمنت بالله ورسوله.

أسوق هذه القصة لعل الله ينفع بها من يقع بمثل هذه المواقف لينتبه سريعا للرقية الشرعية.

الشياطين وتأثيرها والتحصين منها

الجن عمومًا لديهم طاقة أضعاف طاقة الإنسان.

في الفيزياء عندما تكون الطاقة قوية جدًا، تؤثر على الطاقة الضعيفة، فالذين يعملون السحر يركزون على هذا الموضوع، الشياطين المسخرة من

قبلهم تعمل لك خللًا فيزيائيًا في الجسم، خلايا الجسم تختل، يعمل لك ألمًا في عضو من الأعضاء، تعطيلًا لوظيفة عضو من الأعضاء، خللًا في التفكير، في كيمياء الدماغ.

كيف أمنع هذا؟

أعزل الشياطين عني، أحصن نفسي كأنني في حصن من الزجاج لا يستطيع الشيطان أن يقربني.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)

واذكر أن أحد المشايخ الرقاة كان يرقي امرأة، فقال الشيطان: أنا سأخرج منها على شرط أن أدخل فيك!! قال الشيخ: أنا موافق، ادخل فيّ.

فرجع الشيطان وقال: لا، لا أستطيع أنت اليوم قلت: **"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"** مئة مرة.

لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال :لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان، يومه ذلك، حتى يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال :سبحان الله وبحمده، في يوم، مئة مرة، حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) رواه البخاري

إذاً، لا يوجد مانع من أن أرقي بالقرآن، وحتى الأمراض العضوية، لا يوجد مانع من أن أرقي بالأدعية النبوية: **"اللهم أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي"** (رواه البخاري ومسلم)

باعتبار أن الفاعل لكل شيء هو الله سبحانه وتعالى، مع عدم إهمال الأخذ بالأسباب.

كيفية تطبيق الرقية بالفاتحة

أريد أن أوضح شيئًا: بعض الإخوة الذين يمرون بتجربة السحر المريرة يتعودون كل يوم على قراءة سورة البقرة طوال عمرهم، وهذا ليس فيه سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

السنة: أن **تنفث بالمعوذات**، وبعض العلماء يضيفون إليها **الفاتحة** لحديث أبي سعيد الخدري الذي ذكرناه.

كيف تنفث؟

تجمع الكفين على الفم وتقرأ سورة الإخلاص (قل هو الله أحد)، وسورة الفلق، وسورة الناس.

النفث هو ما يخرج مع النفس بريق خفيف، مع القراءة.

بعد القراءة، تمسح بهما ما طال من جسدك، ثم تعود وتقرأ مرة أخرى سورة الإخلاص، وسورة الفلق، وسورة الناس، وتمسح ما طال من جسدك ثلاث مرات.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يحصن نفسه قبل النوم بهذه الكيفية.

في الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها.

الطفل الصغير الذي يبكي كثيرًا، اعمل له هذه الرقية.

الولد الذي تراه غير طبيعي، ويقولون له: "أنت متعفرت ليه يا ابني؟" هذا يحتاج رقية.

كذلك عند غروب الشمس أو قبيل الغروب بقليل، نمنع الأطفال من الخروج، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم)** رواه البخاري ومسلم.

جنح الليل هو ظلامه، فكفوا صبيانكم أي: امنعوهم من الخروج ذلك الوقت.

فمن الممكن الولد وهو يلعب في الحديقة أو غيرها أن يصيبه مس أو أذى من الشياطين.

طرق أخرى للرقية

من ضمن الطرق أن تقرأ هذه الرقية على الماء.

بعض المشايخ الرقاة الذين لديهم خبرة يقولون لك: "هذا ثلاث مرات، هذا سبع مرات، هذا 21 مرة".

كل هذه الأعداد اجتهادية، لا يوجد دليل عليها؛ حتى في الفاتحة، لدينا النص في المعوذات ثلاث مرات فقط، هذا هو النص الوارد، لكن لو قرأت الفاتحة ثلاث مرات أو سبع مرات أو 50 مرة، فالأمر يعتمد على التجربة، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: **"لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا".**
وقال: "من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه" (رواه مسلم).

وليس كل شيء يقوله الشيخ قطعيًا، إنما هو اجتهادي ظني.

مثلما يقول لك الطبيب: هذا الدواء تأخذ منه حبة وهذا ثلاثة، هذا رجل دارس أن المادة الفعالة في هذه الجرعة تساوي كذا وتعمل مفعول كذا في الجسم، وإذا كانت امرأة حامل أو مرضع، لا نقلل الجرعة، لا ينفع للحامل ولا للمرضع لأنه سيؤثر على الجنين، فبحكم خبرة الطبيب وصف لك الدواء بهذا الشكل، كذلك الشيخ الراقي، هو يعالج مرضًا من الأمراض، فبالتالي يقول لك: اقرأ سورة كذا واقرأ سورة كذا... سورة يس تنفع من كذا، سورة الصافات تنفع من كذا.

ما دليله: دليل التجربة وعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا** "والأدلة على الرقية كثيرة والأحاديث النبوية كثيرة، لكني أوصل الموضوع.

تجربة الإمام ابن القيم مع الرقية

ذكرنا قبل قليل كلام الإمام ابن القيم عن الاستشفاء بالفاتحة ، وقد ذكرها عدة مرات بكتبه: وخلاصتها أنه عندما كان في مكة أصيب بمرض كان لا

يقوى معه على الحركة، قال: "فكنت أستشفي بماء زمزم، أجلب ماء زمزم وأقرأ عليه الرقية بالفاتحة فقط". قال: "فأقوم وما بي بأس".

فمن الممكن إذا كان لدي مرض عضوي أن أستشفي بالفاتحة، كما الرجل الذي لدغ من العقرب، هذا شيء عضوي لكنه رقاه بالفاتحة، فببركات الفاتحة شفاه الله.

ولا يوجد مانع في الأمراض النفسية أو المظنون أنها روحية أن أرقي بهذا الشكل.

سأجلب ماء، وإذا كان ماء زمزم فيه بركة فهذا أفضل.

أقرب فمي من الماء وأقرأ: **"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" (الفاتحة: 1-7).**

ممكن أن أنفث هكذا إذا كنت أنا الذي سأشرب منه، إذا كان لشخص آخر فلا داعي لذلك، ستقرأ الفاتحة مرة أو ثلاث مرات أو سبع مرات، أو تقرأها في كفيك وتمسح، كل هذا من الاستشفاء بالقرآن الكريم.

قوة اليقين في الشفاء

في تجربة لأحد الإخوة من الذين هم على الفطرة، والقصة أنه كان يعاني من حصوات الكلى، وهذه من أصعب الآلام، كما وصف لي، عندما يكون لدى أحد حصوة وتنزل من الكلية إلى الحالب.

قال: اشتد علي الألم لدرجة أنني لم أستطع أن أمشي معتدلا بل كنت أمشي منحنيًا كالرجل الكبير في السن، وأنا أقرأ الورد القرآني في سورة طه: **"ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا"** (طه: 105). فوضعت يدي على مكان الألم، وظللت أقرأ هذه الآية وأقول: "يا رب، قادر على أن تنسف الجبال، والحصوة بنت الكلب التي تعذبني هذه ألا تنسفها يا رب؟" سبحان الله، يقول شعرت بعدها بدقائق أنني أريد الذهاب إلى الحمام، ونزلت الحصوة التي كانت تعذبني وتحول حياتي إلى نكد وجحيم.

فكنت لا أدري بأيهما أفرح: باستجابة الله لدعائي، أم لزوال هذه الحصوة التي تعذبت بسببها أياما؛ اللهم لك الحمد.

حقيقة الشياطين

قال الله سبحانه وتعالى :(إن كيد الشيطان كان ضعيفًا)[النساء: 76]

وقال سبحانه: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون *إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)[النحل-99 100]

الشيطان ليس كما يتوهم الناس، ليس وحشًا كاسرًا الشيطان **كالحشرة الحقيرة**، بل أحقر منها؛ فإذا أردت أن تؤذيه، فعليك بطاعة لله.

إذا أردت أن تضعفه، أضعفه بذكرك لله؛ قال سفيان الثوري -رحمه الله: **ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول لا إله إلا الله.**

الأوهام التي في رؤوسنا عن الشياطين والجن والعفاريت: وأنا خائف يطلع لي عفريت ما المشكلة؟ هذا حظه الأسود أنه طلع لك أنت!

إنهم يفرون منكم كما تفرون منهم، والشياطين تخاف منك كما تخاف منهم. هذا كلام السلف.

كان الشيطان يرى عمر بن الخطاب في طريق فيجري إلى الطريق الآخر. الشيطان جبان خائف ذليل.

الشيطان أحقر وأذل وأخس مما تتصوره.

الشياطين سكان المزابل، ويحبون النتن.

وإذا سمع أحدهم الأذان، ولى مفزوعًا مذعورًا من سماعه فقط للأذان. الشيطان يؤذيه القرآن ويعذبه الذكر والدعاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل

حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول :اذكر كذا، اذكر كذا -لما لم يكن يذكر - حتى يظل الرجل لا يدري كم صلي ."

ويمكنك بذكر اسم الله أن تمنعه من دخول بيتك وتناول الطعام أو المبيت فيه:

عن جابر بن عبدالله، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول" :إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان :لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان :أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال :أدركتم المبيت والعشاء . "

وعن حذيفة رضي الله عنه قال :كنا إذا حضرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم طعامًا لم نضع أيدينا، حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيضع يده، وإنا حضرنا مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذ بيده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان يستحل الطعام ألا يذكر اسم الله عليه .وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها .فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيده !إن يده في يدي مع يدها ."

الشيطان لا يحب العمل الصالح ولا يحب الطاعة.

عمل الشيطان كله الوسوسة: **"الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس"** (الناس: 5-6).

وجامع ذلك قول الحق تبارك وتعالى: "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله" (البقرة: 102).

وكما في حديث أبي المليح عن أبيه قال :كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثر بعيري، فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول: بقوتي صرعته ولكن قل: بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة . أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح. قاله :شعيب الأرناؤوط.

الشيطان قادر على أن يؤذي بالأسباب التي سبّلها الله في الكون، وأنا كمسلم قادر على أن أرد وأدفع هذا الأذى بيقيني بالله، وقوة الله ، وحفظ الله تعالى لي، لأن عندنا الاستعاذات النبوية والرقية الشرعية، نحصّن أنفسنا بها مستعينين بالله.

أسأل الله أن يبارك فيكم وأن يحفظكم من كل سوء

وأن يجعلنا في حفظه وعنايته ورعايته.

اللهم آمين.

****

المبحث الثالث

حقيقة السحر

إتماما للفائدة أختتم تفسيرنا لسورة الفاتحة والرقية بهذه السورة المباركة بتوضيح بعض النقاط المهمة في موضوع السحر.

وموضوع الشياطين والسحر ، يرتكز على الكثير من الخرافات والأوهام الشعبية المتوارثة.

منذ صغري، وأنا أرى أن فاكهة المجالس تتلخص إما في الحديث عن النساء (والنساء يتحدثن عن الرجال بالطبع)، أو عن السحر والشياطين والجن، والقصص الغريبة والعجيبة التي يتناقلونها ويتواصون بها. كل هذا موجود، والناس مولعون بهذه القصص.

حقيقة الجن والسحر

الجن موجودون فهم حقيقة، وليسوا خرافة، والشياطين موجودون، والأذى موجود، والسحر موجود، وهذه الأشياء لا ينكرها مسلم.

لكن السحر أنواع، منه ما هو **تخييل** ومنه ما هو **حقيقة**.

سحر التخييل

عمل المهرج يعتمد على نظرية تحضير العفريت ليبرر لك غرابة ما يقوم به من حركات ، فبمجرد رؤيته، تعتقد أن هناك أشياء غير طبيعية ستحدث. لديه لباس معين وهيئة غريبة وملفتة للنظر، بالإضافة إلى أنه قد يرسم على وجهه، فيعرض الفم أو يكبره، ويعرض منطقة العين ويجعلها كبيرة، وقد يرسم قرونًا لنفسه، كل هذا تهيئة نفسية، خاصة للأطفال، ليظهر وكأنه إنسان يختلف عن بقية البشر.

سحر التخييل يعتمد على الخفة والحركة السريعة: لو أن شخصًا لا يعرف كيف تعمل المروحة، فلن يصدق أنها بثلاثة أجنحة فقط.

انظر إلى المروحة وهي تعمل، واسأل شخصًا جاهلًا، فسيقول لك: "حوالي 60 جناحًا" كلا، إنها ثلاثة أجنحة فقط، ولكن لسرعة الحركة، يحدث لك تخييل بأنها ليست ثلاثة أجنحة فقط.

نكتة سريعة: وأنت تركب السيارة أو القطار، تشعر وكأن كل الأشياء تجري خلفك: البيوت، الأشجار، المباني، كل شيء يجري خلفك.

هل هذا حقيقة؟ الحقيقة أنك أنت الذي تجري، لكن حدث لك تخييل بأن هذه الأشياء كلها تجري وراءك.

الساحر أو المهرج، عندما يُحضر العفريت في ذهنك، يبدأ في عمل أشياء هو مدرب عليها تدريبًا عاليًا، حتى أتقنها لأنه كررها آلاف المرات.

وتعتمد على الخداع البصري وعلى السرعة، فأنت لا تركز.

حضرت بعض هذه العروض، عندما يحضرهم الإخوة في الأعياد أو المناسبات، فيُحضر منديلًا من مادة معينة، أنت تراه منديل قماش، لكنه مادة مضغوطة، فيخرج منه منديل واثنان وثلاثة وأربعة وخمسة وستة وسبعة، والناس منبهرة.

هذا أمر عادي، إنها مادة مضغوطة يقوم المهرج بتفريقها عن بعضها، ليست معجزة.

الشيء الغريب الذي لا أزال لا أعرف له تفسير هو أن يمد يده في الكم ويُخرج حمامة أو اثنتين أو ثلاثًة، وأنا أركز لأعرف أين تذهب الحمامة وتختفي.

والعجيبة أنه يحك قفاه ويخرج أرنبًا، لا أعرف كيف كان يضعه في قفاه. هو يقوم ببعض الأشياء، ولديه اثنان من المساعدين يقومان بالتمويه والمساعدة على التشويش لئلا يكتشف الناس السر.

ويمكنك أن تبحث في اليوتيوب عن الخدع السحرية، يعرضون لك كيف تقوم بالخدع السحرية وعروض للأطفال الصغار أو للترويج بأشياء بسيطة جدًا ولا توجد بها أي مشكلة.

وهناك سوق رائجة لهذه الأشياء تباع أونلاين وموجودة إذا أردت أن تمارس هذه المهنة.

ويقال في بعض كتب التفسير أن سحرة فرعون الذين كانوا أمام كليم الله موسى عليه السلام كان لديهم خبرة بالكيمياء، وكان لديهم مادة اسمها الزئبق، هذه المادة عندما تتعرض للحرارة تتمدد، فجلبوا أنابيب مطاطية وضعوا فيها هذه المادة، وكان الناس موجودين في وقت الضحى في حر الشمس، فلما ألقوا حبالهم وعصيهم، تمددت هذه الحبال والعصي بداخلها الزئبق، فصارت تتلوى كالحيات الحقيقية، **ولذلك قال تعالى: "فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ" (الشعراء: 44). وقال: "يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى" (طه: 66).**

رأيت مرة مقطع فيديو لفيلم، عن طفل صديقه فيل ، الفيل الذي كان بالفيلم كان شيئا مصنوعا بشكل بالغ الدقة ، قاموا بعمل تمثال كامل لفيل، تمثال كامل مصنّع، وقاموا بعمل آلات لتحريك الأرجل والذيل والزلومة، تتخيل أن الفيلم الذي مدته ساعة ونصف أقنعك أن الفيل يتكلم ويتحرك ويتعامل مع الطفل.

أفلام الديناصورات التي نراها منذ التسعينيات، هل هناك ديناصورات حقيقية؟ أنت مصدق هذا الكلام؟

كلها تعتمد على آلات معينة وتخطيط وإعداد ومصاريف ضخمة، لأنهم في المقابل يكسبون الملايين.

أفلام الإنمي، تعرض لك الحيوانات تتكلم مع بعضها وتكلم البشر، الأسد يتكلم والدب يتكلم ، وأنت تصدق هذا الكلام أيضًا ومقتنع به وتعيش معه. هذا كله تخييل.

السحر الحقيقي والاستعانة بالشياطين

وهناك السحر الحقيقي الذي يعتمد على **الاستعانة بالشياطين** ، لأن رب العالمين خلق الجن، وهم يختلفون عن طبيعة الإنس، فهم ليسوا مثلنا، ليست لديهم أجسام لها حجم وكتلة وكثافة.

الجن لديهم سرعة حركة، ومنهم من له أجنحة يطير بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من هو حيات وعقارب، ومنهم من يحلون ويظعنون (يقيمون في مكان ثم يرحلون منه).

نقرأ هذا في قصة سيدنا سليمان عليه السلام عندما قال: **"قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" (النمل: 38).**

"قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ" (النمل: 39).
سيدنا سليمان في فلسطين وعرش بلقيس في اليمن، مسافة طويلة تتجاوز ألفي كيلومتر وأكثر... سيقطع هذه المسافة ويقتلع العرش ويأتي به لسيدنا سليمان في فلسطين.

هذا يعني أنه مثل طائرة شحن جوي، وقبل أن تقوم من مقامك، هذه تعني فترة اجتماع سيدنا سليمان، الاجتماع كان نصف ساعة أو ساعة.

لكن ليس كل الجن لديهم هذه القدرة التي تحدث عنها هذا العفريت، حتى نحن في لهجتنا الدارجة، عندما يقوم أحد بعمل شيء مبهر نقول: "أنت عفريت". أو هذا "ولد عفريت". سبحان الله.

قصة الشيخ الشعراوي مع ساحر هندي:

ذكر الشيخ في أحد دروس التفسير: إنه سافر مرة لمؤتمر في باكستان. وسفير السعودية في باكستان كان صديقًا له، وقال له: "يا شيخ، هناك ساحر هندي هنا في قرية بباكستان يقوم بعرض غريب جدًا، أريدك أن تراه وتخبرني ماذا يحدث".

ذهب الشيخ الشعراوي كمتفرج؛ وجد الرجل يُحضر كومة قطن، وبسرعة عالية جدًا يقوم بفتلها حبلًا على شكل عمود، كل هذا القطن يفتله ويتشكل على شكل عمود كأنه عمود معدني من الحديد.

ثم يأتي طفل ويقول له: "تسلق العمود هذا" فيتسلقه الطفل وينزل.

من المفترض أن هذا قطن رخو، فكيف يتسلقه؟

تعجب الشيخ الشعراوي: "ما هذا؟" يمكننا أن نصدق أنه فتل القطن بسرعة وبكفاءة، لكن الولد صعد على العمود القطني هكذا ولم يسقط ولم يمل ولم يهتز.

فقال الشيخ للسفير: "ممكن تحضر لي كاميرا لأصور؟" (كان هذا قديمًا، ليس أيام الكاميرات الديجيتال).

فجلب كاميرا وصور العرض كله لكي يتمكن من رؤيته جزءًا بجزء وما الذي يحدث. وكانت المفاجأة:

المفاجأة أن الشيخ الشعراوي يقول بعدما حمّضوا فيلم التصوير، وجدوا كل شيء غير موجود، لا يوجد سوى الساحر فقط. الساحر وحده هو الذي صُوّر، أما القطن وفتل القطن حبلًا والحبل الذي صعد عليه الولد ونزل، كل هذا غير موجود.

ثم قال هذا اسمه **استعانة بالشياطين** الذين قاموا بعمل سحر التخييل لكل من حضر هذا العرض .

ما هو تفسيرنا لهذا؟

لكي يكون الساحر بهذه الدرجة وتسخّر له الشياطين، يجب أن يكون من أكثر الخلق كفرًا والعياذ بالله، ويجب أن يرضي كبير القبيلة من الشياطين، فيسخر له الشياطين من القبيلة.

بماذا يرضيه؟

بأن يذبح له من دون الله، يخضب جسمه بالدم، يختلي في مكان قذر، أو يقوم بأشياء كفرية لا أريد أن أفسرها.

في النهاية عندما يرضى عنه الشيطان سيد هذه القبيلة، يسخر له الشياطين، فيستعملهم لأكل الأموال، أو لأذى العباد وعمل الأعمال السحرية.

تأثير السحر على الإنسان

السحر يؤذي الإنسان لأن طاقة الشياطين غير طاقة الإنسان؛ جسم الإنسان له قوانين، فيأتي الشيطان ويقوم بعمل خلل فيزيائي لخلايا الجسم، بحيث

يشعر الإنسان بالخمول دائمًا والكسل، أو تشعر بالمرض، ثم يتسلط عليك بالوساوس فتشعر بالفشل، والتفكير في الانتحار، والهواجس والوساوس القهرية، التفكير دائمًا في المصائب ، ووسواس تطليق الزوجة، وسواس عمل المعصية الفلانية، على حسب الغرض الذي عمل من أجله السحر.

وعلى الرغم من هذا، هناك نصابون كثيرون لا يعرفون الشياطين ولا حتى لديهم معرفة بها، لكن لهم صيت بين الناس.

فأنت ذاهب إلى شخص قام بعمل دعاية لنفسه مع لباس معين ، بحيث يجعل نفسيتك مهيأة لهذه الأشياء، ويدفع الناس أموالا طائلة للحفظ من السحر والحسد بعمل حرز أو حجاب، ومنهم من يدفع مالا كثيرا لعمل سحر فيه أذى لغيره ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حجاب آية الكرسي

التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق من خرزات ونحو ذلك للحفظ من السحر، أو للوقاية من الحسد، ويسميها بعض الناس حرزا، ويسميها بعضهم حجابا، وسميت تميمة لاعتقادهم أنهم يتم أمرهم ويحفظون بها.
وتعليق التمائم محرم ، وهو من التشبه بالجاهلية، **لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: من تعلق تميمة فلا أتم الله له ـ وفي رواية أخرى: من تعلق تميمة فقد أشرك ـ**
وإن اعتقد فيها النفع والضر من دون الله عز وجل ، فهذا شرك أكبر ، وإن اعتقد أنها سبب للسلامة من العين أو الجن ، فهذا شرك أصغر ، لأنه جعل ما ليس سبباً سبباً.

قال لي أحد الإخوة: "سمعتك في الدرس تقول أن حمل الحجاب وهذه الأشياء حرام وفيها كفر واستعانة بالشياطين، وأنا رجل أخاف الله، لكن زوجتي عندما نزلت للبلاد عملت حجابين للحفظ بـ 160 دولارًا.

الرجل الدجال قال لها: الحجاب بـ 100، ولكن بما أنك عملت حجابين لك ولزوجك، سأعمل لك خصمًا، فخفض لها الحجاب الواحد إلى 80.

ثم أعطاهم لي قائلا: "افعل بهم ما شئت ."

قلت له: "دعنا نفتحهما."قال: "لا، سأقف بعيدا عنك !!

كل حجاب كان مخيطًا في قماشة صغيرة ؛ فأمسكت المقص وفتحتهما .

ماذا وجدت بالداخل؟

وجدت آية الكرسي، مطبوعة على ورقة عادية والله!!

فناديت عليه قلت له: "بـ 160 دولارًا، كم مصحفًا تشتري؟" قال: حوالي عشرين مصحف.

قلت له: "الرجل طبع لك آية الكرسي على ورقتين، لم يكتبها بيده، وباعها لأهلك بـ 160 دولارًا". سبحان الله العظيم.

الرجل أخذ يضحك ويضرب كفًا بكف، ثم قال: "والله كنت مرعوبًا وخائفًا ولا أعرف ماذا أقول لك؟!!!

لذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **"من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما قال، فقد كفر بما أنزل على محمد"** (رواه أحمد).

لماذا؟ لأن من يعتقد أن هذا الدجال وشياطينه ينفعون ويضرون من دون الله، فقد وقع في الشرك والعياذ بالله، **أما المسلم الحق** فإنه يوقن أن الحافظ له هو الله، وأنه باستعاذته بالله والمحافظة على الرقية الشرعية والأذكار، لا يستطيع الشيطان أن ينال منه.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: 98-100).

الوسائل الشرعية التي يُتقى بها السحر قبل وقوعه

من أهم الوسائل التي يُتقي به خطر السحر قبل وقوعه هو التحصن بالأذكار الشرعية ، ومن ذلك :

1- قراءة آية الكرسي عند النوم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :وكلني رسولُ اللهِ ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضانَ، فأتى آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته ...وفي النهاية قال له:

"إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آيةَ الكرسيِّ، لن يزالَ معك من اللهِ حافظٌ، ولا يقربُك شيطانٌ حتى تُصبِحَ".
فقال النبي ﷺ: صدقك وهو كذوبٌ، ذاك شيطانٌ".رواه البخاري

2- قراءة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) والمعوذتين ثلاث مرات صباحًا ومساءً:

عن **عبد الله بن خُبَيب رضي الله عنه** قال:قال لي رسول الله ﷺ:

"اقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء" رواه أبو داود

3 -قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة ليلًا:

عن **أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه**، عن النبي ﷺ قال: **" من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه "رواه البخاري ومسلم**

والمعنى: كفتاه **من كل شر وبلاء**.

4-التعوذ بكلمات الله التامات عند نزول منزل:
عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك"رواه مسلم

5-قول: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء... ثلاث مرات:
عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ:ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، فيضره شيء". رواه أبو داود

وهذه الأذكار من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان ، وثقة بالله واعتماد عليه ، وانشراح صدر لما دلت عليه.

الخاتمة

- الرقية الشرعية من العين والحسد
- الرقية الشرعية من السحر

الرقية الشرعية من العين والحسد

أولا / من القرآن الكريم:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

1-﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 1-7]

2-﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 1-5]

3-﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 17-20]

4-﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: 69]

5-﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 109]

6-﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]

7-﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 285-286]

8-﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 173-175]

9-﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: 32]

10-﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 54]

11-﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 67-68]

12-﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: 16-18]

13-﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: 39]

14-﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: 131-132]

15-﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: 48-49]

16-﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 21-24]

17-﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 1-4]

18-﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 51-52]

19-﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 1-8]

20- -﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 1-6]

21-﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1-4]

22-﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 1-5]

23-﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 1-6]

ثانيا / من السنة النبوية

1-بسمِ اللَّهِ أرقيكَ، مِن كلِّ شيءٍ يؤذيكَ، مِن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عَينٍ، أو حاسِدٍ اللَّهُ يَشفيكَ، بِسمِ اللَّهِ أَرقيكَ.

2-أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة.

3-(بسم الله) 3 مرات ، وتقول : (أعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما أجد وأحاذر) 7 مرات

4-اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً.

5-بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

6-حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم.(7 مرات)

7-اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظَمتك أن أُغتال من تحتي.

8-أعوذُ بكلِمَاتِ اللهِ التامَّاتِ مِنْ شرِّ مَا خَلقَ

9-أعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التّامات مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وشَرّ عِبَادِهِ ، ومِنْ هَمَزَاتِ الشّيَاطِينِ وأَنْ يَحْضُرُونِ"

10- (أعوذُ بِكلِمَاتِ اللهِ التامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ ، مِنْ شرّ ما خَلقَ وبَرَأَ وذرَأَ ومِنْ شَرّ ما يَنزِلُ مِنْ السَّماءِ ، ومِنْ شَرّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ، ومِنْ شَرّ ما ذَرأَ في الأرَضِ ومِنْ شَرّ ما يَخْرُجُ مِنْهَا ، ومِنْ شرّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ ، ومِنْ شرّ كلّ طَارقٍ إلاّ طَارقاً يَطرُقُ بِخَيْرٍ يا رَحْمَن.)

****

الرقية الشرعية من السحر

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

1-﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 1-7]

2-﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 1-5]

3-﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102]

4-﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137]

5-﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: 163-165]

6-﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]

7-﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 285-286]

8- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 18-19]

9-﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ

يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 173-175]

10-﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 83]

11-﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: 117-122]

12-﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال: 12-14]

13-﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 79-82]

14-﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ

تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 65-70]

15-﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 97-118]

16-﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ

وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 19-22]

17-﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]

18-﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 30-31]

19-﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 77-83]

20-﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 1-10]

21-﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ

مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: 29-32]

22-﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 33-36]

23-﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 44-55]

24-﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: 7-10]

25-﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 21-24]

26-﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِى الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: 1-15]

27-﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 1-8]

28- -﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 1-6]

29-﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1-4]

30-﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 1-5]

31-﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 1-6]

ثانيا / من السنة النبوية

1- بسمِ اللَّهِ أرقيكَ، مِن كلِّ شيءٍ يؤذيكَ، مِن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عَينٍ، أو حاسِدٍ اللَّهُ يَشفيكَ، بِسمِ اللَّهِ أَرقيكَ.

2- أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة.

3-(بسم الله) 3 مرات ، وتقول: (أعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما أجد و أحاذر) 7 مرات

4-اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً.

5- بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

6- حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم.(7 مرات)

7- اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظَمتك أن أُغتال من تحتي.

8-لا إلهَ إلاَّ اللهُ العَظيمُ الحليمُ ، لا إلهَ إلاّ اللهُ ربُّ العرْشِ العظيمُ ، لا إلهَ إلاّ اللهُ ربُّ السمواتِ وربُّ الأرْضِ ، وربُّ العرْشِ الكريم

9-أعوذُ بكلِمَاتِ اللهِ التامَّاتِ مِنْ شرِّ مَا خَلقَ

10-أعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التّامات مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وشَرّ عِبَادِهِ ، ومِنْ هَمَزَاتِ الشّيَاطِينِ وأَنْ يَحْضُرُونِ "

11-(أعوذُ بِكلِمَاتِ اللهِ التامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ ، مِنْ شرِّ ما خَلقَ وبَرَأَ وذرَأَ ومِنْ شَرّ ما يَنزِلُ مِنْ السَّماءِ ، ومِنْ شَرّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ، ومِنْ شَرّ ما ذَرأَ في الأرَضِ ومِنْ شَرّ ما يَخْرُجُ مِنْهَا ، ومِنْ شرّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ ، ومِنْ شرّ كلّ طَارقٍ إلاّ طَارقاً يَطرُقُ بِخَيْرٍ يا رَحْمَن.)

نسأل الله أن يحفظنا بحفظه

وأن يرعانا بعينه

وأن يجعلنا هداة مهتدين،

لا ضالين ولا مضلين، اللهم آمين.

الفهرس

الموضوع	ص
المقدمة	3
الفصل التمهيدي: التعريف بالسورة، أسماؤها، ما ورد في فضلها، بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بها.	5
الفصل الأول/ أسرار ومعاني الاستعاذة	18
الفصل الثاني/ أسرار ومعاني بسم الله الرحمن الرحيم	25
الفصل الثالث/ "الحمد لله رب العالمين"	30
المبحث الأول / أسرار ومعاني "الحمد لله رب العالمين"	31
المبحث الثاني / رب العالمين	42
المبحث الثالث/ عبودية الكائنات لرب العالمين	47
الفصل الرابع/ تفسير "الرحمن الرحيم"	54
الفصل الخامس/ تفسير "مالك يوم الدين"	59
الفصل السادس/ تفسير "إياك نعبد وإياك نستعين"	65
المبحث الأول / أسرار ومعاني "إياك نعبد"	66
المبحث الثاني/ المعنى الشامل للعبادة.	73
المبحث الثالث/ أعظم العبادات أجرا عند الله تعالى.	79
المبحث الرابع/ شروط قبول العبادة.	88
المبحث الخامس / الاستعانة بالله (وإياك نستعين)	100
الفصل السابع/ تفسير "اهدنا الصراط المستقيم"	106

المبحث الأول/ أنواع الهداية .	107
المبحث الثاني/ ما السر في طلب الهداية في كل صلاة .	131
المبحث الثالث / فتن الشهوات والشبهات.	121
المبحث الرابع/ أقسام الناس الثلاثة على الصراط .	131
المبحث الخامس / الضالون عن الصراط.	136
المبحث السادس/ الصراط المستقيم ومنهج السلف.	144
المبحث السابع/ الصراط المستقيم والبدعة في الدين.	155
المبحث الثامن/ الهدى والضلال إجبار أم اختيار؟	169
الفصل الثامن/ الفاتحة دعاء وشفاء	177
المبحث الأول/ اشتمال الفاتحة على دعاء الثناء ودعاء الطلب	178
المبحث الثاني/ كيفية الرقية بالفاتحة	187
المبحث الثالث / الاستشفاء بالفاتحة من السحر	206
الرقية الشرعية من العين والحسد	215
الرقية الشرعية من السحر	221